

کتابخانہ اصیف سیکراری حیدرآباد دکن

۱۲۲۲

نمبر داخلہ

تاریخ داخلہ

اتحاد ملوک الزمان شدت شافعی

نام کتاب

فن کتاب

تاریخ

نمبر کتاب فن مذکور

۱۱۵۹

أهواله الشافي من كابلته
الزمان يسارع الأبرار
ترجع من القربى
إلى الله تعالى خليفة
ويليه الجزء الثالث

2551
51A

فهرست الجزء الثاني من كتاب انخاف ملوك الزمان بتاريخ الایمیراطور شرکان

صفحه

٢

المقالة الخامسة

٢

مطلب عجب اهل اوردنيا كافة على الایمیراطور

٣

مطلب العسة المنعة على الایمیراطور

٤

مطلب صيرورة اهل فاورنة حرين مستقلين بانفسهم

٥

مطلب عدم نشاط عساكر الایمیراطور

٦

مطلب دخول جيش فرنساوية بلاد ايطاليا

٧

مطلب طلاق البابا و تخليه سبيله بامر الایمیراطور

٩

مطلب ما طلبه ابراه ورمس الملك فرنسيس والملك هنرى

١١

مطلب ادعاء الامير طور الى الحرب

مسبب دعاء الملك فرنسيس الایمیراطور الى المقاتلة الشخصية وهى

١١

سبب رنة ايرير في الميدان

١٢٥

مطلب تقوية عادة تلك المقاتلة المسماة بالدويل ببدء الحادثة

١٣

مطلب خروج عساكر الایمیراطور من مدينة ومة

١٤

مطلب حصار اهرناوية لمدينة نابلى

١٥

مطلب الحوادث التي طالتوها مدة المحاصرة

مطلب قيام الامير اندرودورية على فرنساوية ودخوله في حرب

١٦

الایمیراطور

١٨

مطلب الصنك سل لفرنساوية أيام نابلى

١٨

مطلب جمع احصار

١٩

مطلب رجوع مجنور الى حرة يته

مطلب سلوك الامير دية الذي يدل على أنه كان خليعا عن الاغراض

٢٠

شريف النفس

٢١

مطلب الحرب في دوسه ملان

مصحف

٢١

• طلب الهدايات التي حصلت بين ملك فرنسا والامير اطور
مطلب انعقاد مشاركة خصوصية بين البابا والامير اطور في ٢٠ من

٢٢

سهر حزيران
مطلب الصلح المنعقد بمدينة كبريه بين الامير اطور والملك فرنسيس
في شهر آي

٢٤

٢٤

مطلب بون هذه المشاركة فيها شرف وخار للامير اطور

٢٦

مطلب كون هذه المشاركة مصرية بهرض الملك فرنسيس

٢٦

مطلب امتثال الملك هنري وصاها بالمشاركة

٢٨

مطلب نزول الامير " " سنة ١٨

٢٩

مطلب تلاطفه الامير اطور واساها

٣١

مطلب تنصيب عائلة سيدسين ثانيا في فلورنسة

٣١

مطلب حالة المصحف في المدينة في بلاد ألمانيا

مطلب مشورة الديانة المعقدة بمدينة سبيرة في ١٥ من شهر اذار

٣٣

سنة ١٥٢٩

٣٤

مطلب مناقشة الامير لوتيرليدا الامر في ١٩ من نيسان

٣٥

مطلب المداكرة في حصول بين الامير اطور

٣٥

مطلب حضور الامير اطور في مشورة بيتة لائحة

٣٥

او كسور في ١٢ من شهر اذار سنة ١٥٢٥

٣٦

مطلب عثمانداوسهورع

٣٧

مطلب الصراخ الصعب الصادر في سقي لمعدله

٣٨

مطلب عصبة المعتزلة للمعتقد بمدينة سمالكالاد

٣٨

مطلب عرض الامير اطور في جعل اياه ملكا على الومانيين

٣٩

مطلب مع ارضة المعتزلة في جعله ملكا على الرومانيين

٤٠

مطلب انصاف دندندوقولينه

مطلبه

- ٤٠ مطلب مداولة المعتزلة مع مملكة فرانسا
- ٤١ مطلب مداولة المعتزلة مع ملك انكلترة
- ٤١ مطلب مدحه سر لكان للمعتزلة
- مطلب الشروط المنعقدة بين الايبراطور والامراء المعتزلة في ٢٣
- ٤٢ من شهر تموز
- ٤٣ مطلب الجهاد في بلاد المجر
- ٤٤ مطلب مقابلة الايبراطور البابا عند رجوعه الى بلاد اسبانيا
- ٤٥ مطلب ما حصل من المداولات في شأن انعقاد مشورة قيسية عامة
- مطلب في كون الايبراطور كان له غرض اخر يستدعي المنفعة وهو قوامه
- ٤٦ الامن والاطمئنان في بلاد ايطاليا
- ٤٧ مطلب ما كان يقصده ملك فرانسا في شأن الايبراطور
- ٤٨ مطلب مداولة ملك فرانسا مع البابا لاضرار الايبراطور
- ٤٩ مطلب مقابلة البابا مع الملك فرنسيس
- ٤٩ مطلب ما سلكه البابا في شأن تطبيق ملك انكلترة لزوجته
- ٥١ مطلب ابطال حكم البابا من مملكة انكلترة
- ٥١ مطلب موت البابا كليمان السابع
- ٥٢ مطلب انتخاب البابا پولس الثالث
- ٥٢ مطلب عصيان طائفة الامايبيست في بلاد ألمانيا
- ٥٣ مطلب منشأ هذه الطائفة وبيان آرائها وعقائدها
- ٥٤ مطلب استيطانهم في مدينة مونستر
- ٥٥ مطلب استيلائهم عليها
- ٥٥ مطلب حكومتهم الجديدة التي لحدوها تلك المدينة
- ٥٦ مطلب اغارة اسقف مونستر عليهم
- ٥٧ مطلب ازداد شوكة خناد وليد بين طائفة الهامانست

٥٣٦

مطلب توليته مملكا بطريق الانتخاب

٥٨

مطلب خضاد ملوكه

٥٩

مطلب العصبة التي تعصت على طائفة الانابايتية

٥٩

مطلب حصار مدنة مونتير

٦٠

مطلب قضاة المحصورين وحياتهم

٦٠

مطلب اخذ المدة في اول يوم من شهر تموز

٦١

مطلب عقاب الملك واتباعه

٦١

مطلب حال مذهب الانابايتية بعد ذلك

٦٢

مطلب اعمال عصبة سجال كالديان شوكتها

مطلب تعيين پولس الثالث مدينة ماتوه لعقد الجمعية القيسية

٦٣

العامة

٦٤

مطلب اغارة الايمبراطور على بلاد افريقية وحالة تلك البلاد

٦٥

مطلب منشأ دول بلاد البربر

مطلب مشروع هوروق زاخيه خير الدين الملقب كل منهما بذي

٦٥

الحيمة الشقراء

٦٦

مطلب تغلب هوروق بربروس على بلاد الجزائر

٦٧

مطلب تقدم خير الدين ونجاحه

٦٨

مطار، شروعه في فتح بلاد تونس

٦٩

مطلب نجاح بربروس

٦٩

مطلب ازدياد شوكتها

مطلب استعانة المولى حسن بعد طرده من المملكه

٧٠

بالايمبراطور شرلكان

٧٠

مطلب تجهيزات الايمبراطور لهذه الغزوة

٧١

مطلب نزول الايمبراطور في افريقية

صفحة

- ٧١ مطلب محاصر قلعة غوليطة
- ٧٢ مطلب اخذ القلعة عنوة في ٢٥ من شهر غور
- ٧٣ مطلب هزم الايبراطور جيش بربروس
- ٧٤ مطلب تسليم مدينة تونس
- ٧٥ مطلب تولية الايبراطور للمولى حسن على كرسى مملكته
- ٧٦ مطلب الخمر الذي حازها الايبراطور بسبب هذا الحرب
- ٧٦ المقالة السادسة من اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الايبراطور شرلكان
- ٧٦ مطلب اسباب حرب جديد وقع بين الايبراطور والملك فرنسيس
- ٧٨ مطلب عدم وجود نصير لفرنسيس
- ٧٨ مطلب مداولته مع معتزلة ألمانيا
- ٧٩ مطلب سلوكة فيما يغضب امراء ألمانيا
- ٨٠ مطلب امتناع ارباب عصبة جمالكاد عن الانضمام الى حزبه
- ٨١ مطلب توجه جيش فرنسا وية الى ايطاليا
- ٨٢ مطلب تغلب فرنسيس على دول الامير دوق ساوية
- ٨٣ مطلب عود مدينة جنويرة الى حريتها
- ٨٥ مطلب موت الامير سفورسي دوق ميلان
- ٨٦ مطلب دعوى الملك فرنسيس في شأن دوقية ميلان
- ٨٧ مطلب تأهب الايبراطور للحرب
- ٨٨ مطلب اتقاده على فرنسيس
- ٨٩ مطلب دعاء الايبراطور والملك فرنسيس الى مقاتلة خصومية
- ٩٠ مطلب اسباب تفاخره وتظاهره بملج نفسه
- ٩١ مطلب دخوله في مملكة فرنسا
- ٩٣ مطلب تغلب الايبراطور على حزم من دول دوق ساوية
- ٩٤ مطلب صورة ما دبره الملك فرنسيس للمطافعة عن مملكته

- ٩٩٩ مطلب تقييد اجراء هذا الامر الى المارشال مونتجورانسى
- ٩٩٩ مطلب وضع معسكره قرب مدينة اويشون
- ٩٩٥ مطلب دخول الايبراطور في اقليم زروونسة
- ٩٩٦ مطلب محاصرة المدينة من سيليا
- ٩٩٦ مطلب ثبات مونتجورانسى في تقييد مادبره للمدافعة عن مملكة فرانسا
- ٩٩٨ مطلب التجاء جيش الايبراطور وما آل اليه من الجملة السينة
- ٩٩٩ مطلب الحرب في اقليم ييكارديا
- ١٠٠٠ مطلب موت الدوقين اى ولى العهد
- ١٠٠٠ مطلب نسبة موته الى السم
- ١٠٠١ مطلب الفرار من الصادق من ديوان برلمان باريس في شأن الايبراطور
- ١٠٠٢ مطلب اقتتاح الحرب في مملكة البلا والواطية في شهر اذار
- ١٠٠٣ مطلب المهادنة المتوقعة في مملكة البلاد والواطية
- ١٠٠٣ مطلب المهادنة المتوقعة في اقليم بيمون
- ١٠٠٤ مطلب اسباب هذه المهادنة
- ١٠٠٤ مطلب كون السبب الاقوى هو معاهدة الملك فرنسيس مع سلطان الدولة العثمانية
- ١٠٠٦ مطلب المذاكرة في شأن الصلح بين الايبراطور والملك فرنسيس
- ١٠٠٦ مطلب توسط البابا بنفسه في الصلح
- ١٠٠٦ مطلب مقابلة الايبراطور وشرلكان مع الملك فرنسيس في مدينة ايفومورت
- ١٠٠٨ مطلب قبل اسكندر دوميديس
- ١١٠ مطلب تولية كوم دوميديس على دولة فلورنسة
- ١١١ مطلب تصدى النفيين من فلورنسة تلحق توليته
- ١١٢ مطلب تناقص المحبة التي كانت بين الملك فرنسيس والملك هنرى الثامن

صفحة

- ١١٤ مطلب حقوق التسخ (اي ائماع دائرة الدين الجديد)
- ١١٤ مطلب المداولات والانسائسر التي حصلت لاجل عقد مشورة قيسية
- ١١٦ مطلب ازالة الياسا العنة مفاسد من ديوان رومة
- ١١٦ مطلب العصبة التي تربت لاعادة عصبة المعتزة
- ١١٧ مطلب خوف المعتزة وفزعهم
- ١١٧ مطلب ادخال دين المعتزة في بلاد سكت
- ١١٩ مطلب قيام العساكر الايمراطورية وخروجهم عن الطاعة
- ١١٩ مطلب انعقاد مشورة وكلاء مملكة قسطنطين في مدينة طليطلة
- ١٢٠ مطلب تشكي ارباب المشورة وتعلمهم
- ١٢٠ مطلب ابطال الرسوم القديمة التي كانت يجعولة لمشورة القرطس
- ١٢١ مطلب بيان كون اعيان اسبانيا كان لهم مع ذلك خزاييا كبيرة
- ١٢٢ مطلب عصيان مدينة غندة
- ١٢٢ مطلب دعوى اهل غندة
- ١٢٣ مطلب عصيان اهل غندة وعرضهم على مملكة فرانسأ أن تدخل مدينتهم تحت حكمها
- ١٢٥ مطلب امتناع الملك فرنسيس عن قبول عرضهم
- ١٢٦ مطلب اعلامه للايميراطور بمقاصدهم
- ١٢٦ مطلب مداكرة الايميراطور في شأن سفره الى مملكة البلاد الواطة
- ١٢٦ مطلب عرضه المرور بمملكة فرانسأ
- ١٢٧ مطلب برضاء الملك فرنسيس
- ١٢٧ مطلب دخول شرل كان في مملكة فرانسأ
- ١٢٨ مطلب قلق الايميراطور
- ١٢٩ مطلب كذب الايميراطور

- ١٤٠ مطلب قمع أهل غنطة
- ١٤١ مطلب عقاب الإهالي في ٢٠ من شهر نيسان
- ١٤٢ مطلب امتناع شريك كان عن التوفية بوعده في شأن دوقية ميلان
- ١٤٣ مطلب امر البابا بإنشاء الطائفة اليسوعية
- ١٤٤ مطلب حمية لواءة الذي أسس هذه الطائفة وأفرط غيرة على الدين
- ١٤٥ مطلب الأسباب التي دعت البابا إلى إقرار إنشاء تلك الطائفة
- ١٤٦ مطلب كون قوانينها وأحكامها جديدة بالالتفات إليها
- ١٤٧ مطلب بيان الغرض من الطائفة اليسوعية المختص بها
- ١٤٨ مطلب مقابلة أصولها لغيرها لاسيما فيما يخص شوكة الرئيس
- ١٤٩ مطلب الأسباب التي كانت تعين لواءة حتى الإغارة على إجراء ذلك التصرف المطلق
- ١٥٠ مطلب ازدياد ثروة الطائفة اليسوعية
- ١٥١ مطلب النتائج الشيعية التي ترتبت على هذه الطائفة للجنس البشري
- ١٥٢ مطلب القوائد الجليلية التي ترتبت على حدوث هذه الطائفة
- ١٥٣ مطلب نفع اليسوعية خصوصا في إقليم براغة
- ١٥٤ مطلب ما ربه اليسوعية لمعية على الصبح
- ١٥٥ مطلب الأثر من سنة ١٩١١ في السنة المذكورة
- ١٥٦ الطائفة اليسوعية وعلى تقدمها
- ١٥٧ مطلب مصالح ألمانيا
- ١٥٨ مطلب المذاكرة التي حصلت بين علمه اللاهوت السماوية
- ١٥٩ وعلماء المعتزلة
- ١٦٠ مطلب عدم قمع تلك المذاكرة
- ١٦١ مطلب إتمام شورة الديانة المعتنقة بمدينة تراسبون على عقد

صفحة

- ١٤٦ جمعية خيرية عامة
- ١٤٦ • مطلب غضب المعتزلة والقائلون بقيمة مما حكمت به مسورة الديانة
- ١٤٦ مطلب سعى الامير اطور شرلكان في استمالة قلوب المعتزلة ورصاء
- ١٤٦ حاطرهم
- ١٤٧ مطلب مصالح بلاد البحار
- ١٤٨ مطلب موت ملك البحار
- ١٤٨ مطلب سعى فرديند في اخذ تاج مملكة البحار
- ١٤٩ مطلب بيان طبع جورجي مارتينوزى وصولته
- ١٤٩ مطلب استعانه بالاسلام
- ١٤٩ مطلب ما فعله السلطان سليمان مما لا يليق بالملك
- ١٥٠ مطلب ما عرضه فرديند على السلطان
- ١٥١ مطلب سفر الامير اطور الى ايطاليا
- ١٥١ مطلب اغارته على بلاد الجزائر والاسباب التي دعت الى ذلك
- ١٥٣ مطلب تجهيزاته
- ١٥٤ مطلب خروج الامير اطور على سواحل افريقية
- ١٥٤ مطلب دمار جيشه
- ١٥٥ مطلب دمار الدونغا
- ١٥٦ مطلب اضطراب شرلكان الى الارتحال
- ١٥٧ مطلب كرم نفس الامير اطور وعزمه
- ١٥٧ مطلب رجوعه الى افرويا
- ١٥٨ المقالة السابعة من اتحاف ملوك الهمان بتاريخ الامير اطور شرلكان
- ١٥٨ مطلب تجديد الملك فرنسيس للحرب
- ٥٩ مطلب كون قتل رسل فرنسيس هو السبب في الحرب
- مطلب مهارة فرنسيس في تجهيزاته للحرب

- ١٦٢ مطلب تجهيز بحملة جيوش
- ١٦٣ سر بطم الجيوش المتقدمة
- ١٦٤ تجهيزات لحرب جديد
- ١٦٦ مطلب مداولة الايبراطور مع هنرى الثامن ملك انكلترة
- ١٦٦ مطلب خصام هنرى مع مملكة فرانسوا ومملكة ايقوسيا
- مطلب المعاهدة المتعقدة بين الايبراطور وشرلكان وهنرى ملك انكلترة
- ١٦٧
- ١٦٨ مطلب مداولة الملك فرنسيس مع السلطان سليمان
- ١٦٩ مطلب بدء الحرب في مملكة البلاد الواطية
- ١٦٩ مطلب قلب الايبراطور على دوقية كليوس
- ١٧٠ مطلب محاصرة لنديرسي
- ١٧١٠ مطلب دخول السلطان سليمان في مملكة البحار
- ١٧١ مطلب نزول بربروس على بلاد ايطاليا
- ١٧٢ مطلب تجهيزات حرب جديد
- ١٧٢ مطلب مصالح ألمانيا
- ١٧٣ مطلب حكم الامير موريس دوق سكس بعدموت ليه
- ١٧٣ مطلب مقاصد هذا الامير وسلاوكه
- سأب عرض ابابا والتماسه عقد مشورة قسمسة عامة
- ١٧٤ في مدينه ترسته
- مطلب طلب البابا انعقاد مشورة قسبسية وهدور فرنان منه
- في هذا الشأن
- ١٧٥
- ١٧٥ مطلب اضطرار البابا الى تأخير المشورة
- ١٧٥ احتداد الايبراطور في استمالة حزب الكنتزلة
- ١٧٦ بادئة صعبة حصلت من عصبة سمالكاله

مطلبه

- ١٧٦ مطلب انعقاد الديتة بمدينة سيرة سنة ١٥٤٤
- ١٧٧ مطلب طلب الايبراطور الاعاقلى ملك فرنسا
- ١٧٨ مطلب اعطاء الايبراطور من ايا عظيمة للمعتزلة ليعتقلهم اليه
- ١٧٩ مطلب الامداد الذى امتدت الايبراطورية مشورة الديتة
- ١٧٩ مطلب مداولة شرائكان مع كل من ملك دانيرقة وملك انكلترة
- ١٨ مطلب اقتتاح القرنساوية في الحرب باقليم يميون
- ١٨١ مطلب توجه عساكر الايبراطور الى هذه المدينة لاعتها
- ١٨١ مطلب واقعة مدينة سيريزوله
- ١٨٣ مطلب قبيحة هذه النصره
- ١٨٣ مطلب اقتتاح الحرب في مملكة البلاد الواطية
- ١٨٤ مطلب محاصرة الايبراطور لمدينة سندينير
- ١٨٤ مطلب حصار هنرى الثامن لمدينة بولونيا
- ١٨٥ مطلب ما وقع من مدينة سندينير من المدافعة العظيمة
- ١٨٦ مطلب دخول الايبراطور في وسط فرنسا
- ١٨٨ مطلب اضطرار الايبراطور الى الرجوع
- ١٨٨ مطلب الصلح المنعقد في مدينة كريسبي
- ١٨٩ مطلب الاسباب التي دعت الايبراطور الى عقد الصلح
- ١٩١ مطلب استمرار الحرب بين انكلترة ومملكة فرنسا
- ١٩٢ مطلب غيم الدوفين من الشرطه المنعقد في كريسبي
- ١٩٣ مطلب مقاصد الايبراطور في شأن بلاد ألمانيا
- ١٩٣ مطلب طلب البابا انعقاد مشورة كسيسية عامة بمدينة ترنته
- ١٩٤ مطلب انعقاد مشورة الديتة بمدينة ورمس في ٢٤ من شهر اذار
- مطلب الحاح فرد شند على اهل ألمانيا ما قربوا المشورة القسيسية
- ١٩٥ والرضا باحكامها

صبيحة

- ١٥ مطلب حضور الايبراطور في مدينة ورمس
- ١٩٦ مطلبه تالوث موريس امير سكس في مسورة الدبشة
- ١٩٧ مطلب اوتياب المعتزلة من الايبراطور
- ١٩٨ مطلب موت الدوق دورليان ابن ملك فرنسا
- ١٩٩ مطلب اعطاء البابا دوقية برمة ودوقية بليرنبة لابنه
- ٢٠٠ مطلب اضرام هنري امير برونسويك نيران الحروب في بلاد ألمانيا
- مطلب فشردين المعتزلة في اقليم بلاطشة المسي ضد اهل النما
- ٢٠١ يقالذ
- ٢٠١ مطلب انعقاد المشورة القيسية بمدينة ترنة
- ٢٠٣ مطلب اجمال المشورة القيسية
- ٢٠٣ مطلب خوف المعتزلة
- ٢٠٤ مطلب مذاكرة المعتزلة
- ٢٠٦ مطلب عدالات المعتزلة مع الايبراطور
- ٢٠٦ المقالة الثامنة من اتحاد ملوك الزمان تاريخ الايبراطور شرلكان
- ٢٠٦ مطلب موت لوتير
- ٢٠٧ مطلب طبع لوتير
- ٢٢٠ مطلب سعي الايبراطور في مخادعة للمعتزلة
- ٢١١ مطلب ما حكمت به الجمعية للقيسية في شأن المعتزلة
- ٢١٢ مطلب بدء الايبراطور في اظهار عداوته للمعتزلة
- ٢١٢ مطلب مداولات الايبراطور مع البابا
- ٢١٢ مطلب المهادنة المنعقدة بين الايبراطور والصلطن سايمان
- مطلب استمالة الايبراطور للامير موريس وغيره من اعيان امراء
- ٢١٣ ألمانيا
- ٢١٤ مطلب انعقاد مشورة المدينة عند سنة ثمان مائة

مخيفه

٢١٥

مطلب محرر المعتزلة

٢١٦

مطلب المشاركة المنعقدة بين الإمبراطور والبابا

مطلب الحيل والمخادعات التي سلكها الإمبراطور ثانيا ليضيق مقاصده

٢١٧

عن المعتزلة

٢١٨

مطلب كشف البابا لاسرار الإمبراطور

٢١٩

مطلب تجهيزات المعتزلة للمداخلة عن أنفسهم

٢٢٠

مطلب استعانة المعتزلة بأهل البنادقة

٢٢١

مطلب استعانة المعتزلة بأهل السويصة

٢٢٢

مطلب استعانة المعتزلة بالملك فرنسيس الاول والملك هنري الثامن

٢٢٣

مطلب تجهيز المعتزلة بجيش كبير برزوا به الى ميدان الحرب

مطلب كون الإمبراطور لم يكن عنده من العساكر من يكفي في مقاومة

٢٢٤

المعتزلة

٢٢٥

مطلب اشتغال المعتزلة بالمداولة عوضا عن الحرب

٢٢٦

مطلب - تم الايام رابعي - في رئيسي عصبة المعتزلة

٢٢٧

مطلب سيدأ حرب المعتزلة

٢٢٨

مطلب عدم ادارة الاسام

٢٢٩

مطلب وصول عساكر البابا الى الإمبراطور

٢٣٠

مطلب تقدم المعتزلة بجهه جيش الإمبراطور

٢٣١

مطلب - مع الامبراطور - اقتتال

٢٣٢

مطلب وصول العساكر القلنكس الى الإمبراطور

٢٣٣

مطلب حالة الجيشين

٢٣٤

مطلب ما رتب موريس دوسكين

٢٣٥

مطلب مخادعته ومحاولته في ارتقاء مقاصد

٢٣٦

مطلب تغلب موريس على دول منتخب سكس

صفحة

- ٢٣٧ مطلب عرض المعتزة الصلح على الایمراطور
 ٢٣٧ مطلب امتناع عشر لکان عن الصلح
 ٢٣٨ مطلب شتات عساکر المعتزة
 ٢٣٨ مطلب دخول اغلب ارباب عصبة المعتزة تحت طاعة الایمراطور
 ٢٤٠ مطلب الزام الایمراطور للمعتزة بشروط صعبة
 ٢٤١ مطلب رجوع الایمیر منتخب سکس الى بلاده واسنيلانه عليها
 ١٠١ مطلب زالة الطرد عن المبعوم عن منتخب سکس وحاكم هيسة
 ٢٤٢ مطلب اخذ البابا الخنوده
 ٢٤٣ مطلب القصة الحاد في جنويرة لقصد تغيير حکومتها
 ٢٤٣ مطلب قصد العاصين وخرضهم
 ٢٤٤ مطلب كون الامیر فیسک قوتة لوانة هوريس العصبة
 ٢٤٥ مطلب دسائس العصبة وتجهيزاتها
 ٢٤٦ مطلب اجتماعهم لاجل تنصير مقصدهم
 ٢٤٨ مطلب خطب الامیر فیسک الى احرارهم
 ١٤ مطلب محاطبة ديسک زوجته
 ٢٢ مطلب هجوم اميرين على المدينة
 ١٥١ مطلب نشر الامیر الاطمشان في مدينة جنويرة
 ١٠ مطلب فرج الایمراطور
 ٢٥١ مطلب ابقاء حربه في امداس الى وقت آخر

بيان ما وقع في الجزء الثاني من كتاب انصاف ملوك زمان بتاريخ الامير طوير
 شر لكان من الخط والصواب

خطا	مصواب	صحيفه	سطر
ضرائ	حضر الى	١١	١٠
تتاهما	تتاهله	٢٨	٢٤
لتثبت	لتبت	٣٨	١
وما طه	بما طه	٥٠	٤
ذوى الفخار	ذرى الفخار	٧٦	٥
والمشقاق	والشقاق	٧٦	٢١
وكلاهما	وكلاهما	١٠٦	١٢
أن لا يعطوه	أن يعطوه	١٢٠	١
منهما	منها	١٢٠	٢١
وسارعا	وسارعا	١٢٨	١١
السلطان	السلطان	١٥٨	٢٥
حطر	حط	١٧٥	١١
افتحت	افتحت	١٩٤	٦
والتشديد	والتشديد	٢٠٢	١٨

السطر الاول من صحيفه ٢١٣ مكرر مع السطر الاخير من صحيفه ٢١٢
 المذاكر

الجزء الثاني من التحاف
ملوك الزمان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المقالة الخامسة

من اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الإمبراطور شرلكان
ولما رأى أهل أوروبا ما كان يقاسيه البابا اذ كان من سبي المعاملة امتلأت
قلوبهم فزعوا ورجعوا وتجنبوا كل الحب من الإمبراطور شرلكان حيث
تجاسر على فعل ذلك في حق سيد أبناء المدينة وخليفة الصفوة المسيحية
وقبض عليه واخذوا به ارضيق عليه في الامر مع انه بموجب عهده من أبناء
النصرانية بل وبجوسه ودمه ومقامه كان ينبغي له أن يدافع عن الكنيسة
ويذب عنها من اراد تنكس مراتها فظهر لجميع الافرنج ان هذه الفعالة من قبيل
الكفر والالحاد فلا سر لامة من فاعله . لا يجب على جميع أبناء النصرانية
أن تصاتقوا ويتعاهدوا لينتقموا من الال ولا سيما وكان كل من هنرى
ملك انكلترة والملك فرنسيس قد لحقه الفزع من نجاح الإمبراطور
في بلاد ايطاليا فتعاهدوا معا وحصل بينهما التمام اكيد قبل احدى مدية
روسة وعزم على ردع الإمبراطور وفتح نفسه الطماعة فانتقم على شن العارة
تملكه بلاد الواطية لبشاءه ويظهر عن النظر لبلاد ايطاليا وانضم

في تلك الايام سبب آخر وهو انهما قصدا اتفاد اليها من يد اليمبراطور
 ورمقه خيالي فيه اعانه لهما على نيل حرامهما زيادة على كونه يكسبهما
 لشرف واختصاص النسبة للديانة ولا يمكن رأيا انه لا يمكنهما تصب في هذا الغرض
 الا اذا قطعوا التطوع عن الاغارة على البلاد الواطية ووجها يعيوشهما الى بلاد
 ايطاليا حيث ظهر لهما انه لا يمكنهما اتفاد رومة ولا فلك البلبا كليان
 من ربة الاسرار مع بذل كل الجهد وصرف جميع الهمة وكان الملك فرنسيس
 انذاك قد اخذ يد رلمان ثقة تدقيقه في القاصد السياسية سي عزم عليه ان شان
 بلاد ايطاليا قد اضاقت به الى كل رومة وخطب كان كثر اهله وتسا له
 قدادت الى ان تنزي عليه خصه اليمبراطور شر لكان بامور كان يسهل
 على نشره ان يكون عديله فيها عشاء على ذلك اراد فرنسيس
 ان يبدل معه حتى يجمع من قسمه من قتلها الى ملقته بسبب تلك القفال
 هذا وكان الملك هنري يرى انه يلزم معاهدته وانضمامه الى ملك فرنسا
 لينح اليمبراطور عن ان يصير يده ملك بلاد ايطاليا وتصرف فيها كيف
 يشاء لانه ان تملك على هذه البلاد تقوى شوكته وتعلم صوته ولا يجد في ملوك
 الا فرج يعارضوا ولا مناضا لا امره فيلزمهم بمناشاة لاسيما وكان الملك
 فرنسيس قد استمال اليه قلب الوزير ولسي ببطايا جليله وهذا اجزله
 فصار هذا الوزير يحرض سيده الملك هنري بكل ما يقره من
 اليمبراطور ووجوب البغضاء والشقاق بينهما ويزاد على ذلك كان ثمميب آخر
 قوي حسن من املك هدي وهذا من املك هدي
 ومن من يريد يصق بوجهه كاتر بنة ميره اراضون غير انه كان
 الطلاق غير مشروع في دين النصرانية رأى الملك انه في الغرض لأبنة
 من حكم لبالي الذي هو امام هذا الدين فاو اد ان يصنع معه بلا يعينه على
 الخروج من الاسم اساعده في الغرض لذلك كوروه ملام زوحه
 وكان كاه الملك هنري وملك فرنسا س باتده هدي مع رضة
 اليمبراطور ووالده معه اليها باله تطل مدة التذكرة ما هنا شان قنوص

سنة ١٥٢٧

١٨ من شهر اب

الملك هنري لويزر ولسيت هذا الامر مع الملك فرنسيس واما الملك فرنسيس
 فلم يوافق على هذه الفرض بل تذا كرفيه بنفسه مع الوزير ولسي
 بمدينة اسبان ولما وصل الوزير ولسي الى هذه المدينة تلقى فيها مع غاية
 الترحيب والاکرام وقوبل بالتبجيل والاحترام وعومل معاملة الملوك واتخذ
 الرأي بينهما على امور اولها زواج الدوق دووليان ابن الملك فرنسيس
 بالاميرة مارية بنت الملك هنري ووقع الاتفاق بينهما على ان اباطاليا
 تكون ميدان الحرب وتعين مقدار العنا كروفعها ومقدار المبالغ التي
 يعطيا كل من الملکین واتقوا على أن تعرض على الاميراطور الشروط اللازمة
 فان يادرجبولها والادعي الى الحرب يمدون مهلة ولا تراخ وكان من طبع الملك
 هنري التجيل بغير ما يشرع فيه فوقعتم عليه غبارا بال دخول في هذه
 المعاهدة الجديدة حتى انه لما يدتوله وتأكده تازل عما كان يدعيه ملوك
 انكثرة قبله في شان تاج مملكة فرانس ليكون ذلك برهانا جليا على محبة
 وصلته مع الملك فرنسيس واتما جعل له في نظير ذلك خمسين الف ليكود دفع
 كل سنة له ولعقبه

ومع ذلك كان البابا يرسل اسيرا سجوناً تحت يد الامير آلرسون في غاية الضنك
 والضيق بسبب تشديد هذا الامر عليه واتما كان باقيا اسيرا الى ذاك الوقت لانه
 كان لا يمكنه أن يوفي بالشروط التي اتخذ عليها الرأي في المشاورة وكان اهل
 فلورنسة يجرّدان ونحوها على خبراتهم البابا واخذ مدينة رومة عصوا
 وطردوا الكردشال كودرون من بلادهم وكان يحكم المدينة بالنيابة
 عن البابا وكسروا نيشانات اقتدار العائلة المدييسية (عائلة منها البابا
 كليان) وكسروا النخال المرموم عليه شخص البابا ليون وكذلك قتال
 البابا كليان واظهروا الجزية والاستقلال واعادوا الى ملكتهم الحكومة
 الاهلية التي كانت فيما ساقا واراد ايضا اهل البنادقة أن يكون لهم حظ من
 سلب البابا فاخذوا قلعة رابوننة وبعض قلاع اخرى من القلاع القسيسية
 متعلين بانهم يريدون حطها تحت ايديهم على سبيل الوديعة ونظن دوق اوربان

مطلبهم
 صيرورة اهل فلورنسة
 حزين مستغلين بانفسهم

* (المقالة الخامسة) *

تاريخ الامير الماورشركان

ودون شارة انه لا رجوع للملأ اليها بعد هذه المصائب والاهوال فآخذ
 كل منهم ما جرت عليه دوله واستولى عليه
 واراهم الامير لانواي كذلك أن يستفيد فآخذ من هذه الواقعة التي
 يقصها سيده الامير الماورشركان في اقداره أدركه وشوكته وصولته بين ممالك
 الاخرى وللهذا القصد توجه الى رومة مع الامير مونكاد والمتمزم
 ودوغواست حجة العساكر الى امكنهم جمعها من مملكة نابلي وكان وصول
 هذه العساكر الى رومة ازدياد في مصائب سكانها وذلك ان هؤلاء العساكر
 لما دخلوا تلك المدينة ورأوا ان العساكر الذين كانوا قدامهم قبلهم قد غنموا
 مغنيا كبيرا قامت بهم الغيرة فتعلو امع السكان امورا فاحشة من الظلم
 والتهب وسلبوا منهم ما كان قديمي من نهب العساكر الاسبانولية
 والالمانية

وكان لا يوجد اذذاك في بلاد ايطاليا جيش يمكنه مقاومة عساكر
 الامير الماورشركان واداه هؤلاء العساكر التغلب على مدينة بولونيا وغيرها
 من المدن التي لم تكن يديهم من بلاد البانيا لكفاهم في اخذها الحضور حول
 اسوارها ولم يلزم لهم حرب ولا ضرب الا انهم في عهد الدوق دي بوربون كانوا
 قد تعودوا على عدم الطاعة والانتقياد لضبط العسكرية وربطها وكانوا مدة
 اقامتهم في رومة قد اشربت اللذات في قلوبهم ولم يجدوا لهم رئيسا ينعمهم
 عن الامور التي كانوا يرتكبونها نصارا اعداء لضبط والربط رافضين
 الى كريمة ما هموا الى تركها بالتوجه الى المادائن الاخرى لقصد
 اخذها والتغلب عليها ابوا الخروج منها من غير أن تدفع لهم ما هيبتهم المتأخرة
 لهم وكانوا يعلمون ان ذلك متعسر واظهروا ايضا انهم قد اتفقوا امير دوونجه
 واقاموه سرعسكر على جيوشهم وانهم لا يطيعون غيره امرا حين رأى الامير
 لانواي انه لا يامن بحمل نفسه ما دام مع هؤلاء العساكر الماسين الذين كانوا
 يكرهونه ويحتقرون منصبه عاد الى مملكة نابلي وبعد ذلك بمدة قليلة تبعه
 الامير مونكاد والمتمزم ودوغواست لهذا السبب وحيث ان الامير

سنة ١٥٢٢

دورهم لم يثبت له منصب السر عسكري على الجيش الا باختيار العساكر
الذين طقوا بغير واسبب فبحا حرم وعدم ضبطهم وربطهم كان يراى خاطرهم
ويخشى بأسهم أكثر من مرقاتهم لا وصره وبناء على ذلك لم يفر الا بمرطور
بأنه من القوائد التي كان يؤملها بسبب تغلبه على رومة بل لحظه غم شديد
حيث رأى ان هذا الجيش العظيم الذي لم يتسره جمع مثله قبل ذلك قد تراكمت
عليه اسباب الكسل وعدم النشاط وتصور الهمة حتى لم يمكن حث رجاله
وتشجيع قلوبهم بوجه من الوجوه

وبهذه الاسباب اتسع الوقت مع ملك فرنسا ومع البنادقيين حتى اجتمعوا
امهم وتعاهدوا واتفقوا على اعادة البابا والذين عن حقوق مملكة ايطاليا
وانضم اليهم جمهورية فلورنسة لعدم سزمها وكان اهل ايطاليا يهتفون
للامير لوتريك بالفضل والمعارف وينصفون في الحكم عليه أكثر من انصاف
فرنسيس له فاختره سر عسكري على جيوش العصبة لكنه لم يقبل هذا المنصب
الا بعد التوقف الكلي والاشترار خوف من أن يصير فيما بعد عرضة للوم اوقع
في الخيرة والمجرب باب افعال الملك فرنسيس او خبت طوية لإخصانه
المقرين له كما حصل له قبل ذلك * ثم انه بعد توليته سارا الى بلاد ايطاليا
ومعه اعظم عساكر مملكة فرنسا واحسنها وامامك فرنسا فانه
قبل أن يدعو الا بمرطور الى الحرب دفع مبلغا جسيما ليستعان به على
مضاريه تلك الفزوة وسلك السر عسكري لوتريك في مبدأ الامر سلك الحزم
والثبات وحصل له الطفر والبصاح وذلك انه باعانة الامير اندره دوريه الذي
كان فريذا العسر في البحرية تغلب على جمهورية جنورة واءد فيها
حرمانا له حرب القريوس وابت فيها حكم فرنساوية وحاصر مدينة
الإسكندرية البغليانية وادخلها تحت الطاعة بعد ايام قلائق وادخل
تحت الطاعة ايضا جميع البلاد التي أمام نهر تيزان واخذ عن مدينة ياوية
التي كانت في الواقعة السابقة قد مكنت زمنا طويلا وهي تقاوم جيوش
فرنسيس ولغلق عليها دخلها العساكر فرنساوية ونهبوها مع قسوة

مطلب
دخول جيش فرنساوية
بلاد ايطاليا

سنة ١٥٢٧

أزدادت بما كان راسخا في أذهانهم من الاخطار والاهوال والمشاق التي
 كبدها حين انهم اسلمهم في الواقعة الاولى تحت اسوار هذه المدينة ولوقوعه
 لوزيرك الى مدينة ميلان وحاصرها السلطنة بقيادة لان الامير اسوان
 دوليوه الذي كان يحفظها لم يكن معهم للعساكر المحاذين الا عدد قليل وكان
 لا يمكنه تحصيل الذخائر اللازمة لهم ولا يمكنه اسماهم ويجزهم عن العصيان
 الا بهزمه وسياسته وحسن تدبيره لكن لم يتعبس لوزيرك على هذا الامر
 الذي فوشر فيه وقمعه لحد عليه بالشرف والفخر وعاد على العصبية بالتأفف
 الجسمية والقوائد العظيمة وسبب عدم عزمه على ذلك هو ان الملك فرانسيس
 كان يعلم ان المتعاهدين معه يغارون منه اذا اخذ بعض اراض من بلاد
 ايطاليا وان مقصدهم من المعاهدة معه هو اضعاف شوكة الامبراطور فخشي
 انه ان سعى واعاد الامير سفورس الى حكم دوقية ميلان فتمنعمة
 المتعاهدين معه ولا يصنونه حق الاعانة في الاغارة على مملكته نابلي فلاجل
 ذلك صبر منه امر الى الامير لوزيرك أن لا يكثر من التفتوح في بلاد
 لومبرديا لاسيما لو كان البابا يلج عليه في الاستغاثة به وكان اهل فلورنسة
 يدعونه الى حيايتهم والمدافعة عن بلادهم فتعل بذلك وقوجه الى رومة
 ولم يلتفت الى تضرع الامير سفورس ولا الحاح اهل البنادقة الذين
 كانوا يدعونه الى حصار مدينة ميلان .
 ثم ان الامير لوزيرك توجه مع الجيش الى رومة وكذا يسير مع التوجة
 والتأني فاسمع الوقت مع الامبراطور حتى امكنه أن يذكري في شان ما ينبغي له
 فعله في حق البابا الذي كان اسيرا تحت يده قطعة سلتاج ومع ان الامبراطور كان
 يظهر التدن من حصول منه في عدة فرص ما يدل على انه لم يكن له اعتناء بالدين
 وانه كان يظهر خلاف ما يظن خصوصا في فرصته اسر البابا فقد أظهر الرغبة
 الشامة في قتل البابا الى بلاد اسبانيا ليضال انه قد اسر في ديوانه ملكين
 هما اعظم ملوك أوروبا يعني الملك فرانسيس والبابا لكنه خشي أن يزداد
 عليه غضب ملوك الأفرنج ويغضه زعابا اذ هو فعل مثل ذلك مع امام دين

طلب
 اطلاق البابا وتخليته سبيله
 باصر الامبراطور

التصراية فاستصوب أن لا يحضره ييلاد إسبانيا هذا وكان المتصاهدون
 المتعصبون عليه قد تمسكوا ببلاد كثيرة من إيطاليا وغلغروا في وقائع جمة
 فرأى أنه يجب عليه اطلاق البثا من الأسر ووضعهم بمثل آخر غير قلعة ستناج
 لكن كان هناك اسلب حملته على إظهار الأمر الأول وهو تحلية بيديه منها
 أنه كان محتاجا لكل الاحتياج إلى الدراهم لجميع جيشه الذي تشتت منه
 ويصرف له الماهيات المتأخرة وكان قبل ذلك قد جمع مشورة وكلاء مملكتي
 قسطنطينية بمدينة والادوليد في أوائل السنة ليعرض عليهم أمره ومعاله
 مصالحه فاعلمهم أنه يلزمه أن يستعد بأموور جسيمة وقوى عظيمة حتى يتمكن
 أن يقاوم أعداءه الذين تعصبوا عليه لغيرتهم من نجاحه وغلغره وطلب منهم
 أن يعذوه بالمبالغ الحسية اللازمة له لتجيز هذا المقصد العظيم غير أن رباب
 تلك المشورة أبوا أن يضربوا شيئا من المغارم على الملة حيث كان قبل ذلك
 قرا خدمنها بالمبالغ جسيمة وصمموا على إيلهم مع ما بذله من الجهد من الترخيب
 والترهيب في علمهم على إجابته فرأى حيث أنه لم يبق له وسيلة في تحصيل
 الدراهم اللازمة له سوى كونه يأخذ من البابا كاثبات على طريق القداميلغا
 يصرف منه ماهيات عساكره حيث كان يعلم أنه لا يمكن إخراجهم من مدينة
 رومة قبل أن يدفع لهم المتأخر من استحقاقهم

هنا وقد كان البابا يبذل غاية جهده ليخلص من رقة الأسر حتى عرف بتقلعه
 ووداعته كيف يستميل الكردي نال كولون ويزيل من قلبه الحقد والعداوة
 لآسيا وكان هذا الكردي نال يجب أن يعيد البابا إلى منصبه ليرى أهالي
 أوروبا أنه ذو اقتدار عظيم حيث أنه بعد أن أذله ووضع أعلى درجته ورفع
 واستمال البابا أيضا قلب الأمير مورون بزخرف القول والمواعيد وكان
 لهذا الأمر انصاف عجيبة وأمر غريبة تدل على حقيقة طبعه وكنه حاله
 الدلالة فانه عرف كيف يسترجع ما كان له من الصولة وقود الكلمة
 عندوزاء الأمير بطور وأحواله وكان الكردي نال كولون يمكن من المكر
 والتخديعة فينفوذ كلمة مورون ويخادعة كولون زالت الجوانب والموانع

بنة ١٥٢٧

التي كان يعطل بها رسل الإمبراطور ما قرب البابا وتمت في اقرب وقت
مشرطة الاطلاق البابا من الاسر على شروط ملائمة للعادة التي كان عليها البابا
وتقتضون كانت في الواقع وتمس الامر محبة وبها صلها ان البابا الزم بدفع مائة
الف ايكو تبصر على الجيش والتزم أن يدفع مثل هذا المبلغ بعد خمسة عشر
يوماً وأن يدفع مائة وخمسين الف ايكو بعد ثلاثة اشهر والزم ايضا بأن يعد يانه
من الان فصاعداً لا يكون له مدخل في حرب المتعصين على الإمبراطور
ولا يساعدهم في القتال مع عساكر الإمبراطور يلاذ لتبرديا ولا بمملكة
نابلي وتعهد بأن يتبرع للإمبراطور بعشر الإيرادات القسيسية التي تحصل
من بلاد اسبانيا وأذن له بغزوة صليبية (الغزوات الصليبية كمنطلق على
القتال لاخذ بيت المقدس تطلق أيضاً على قتال الخوارج الذين خرجوا عن دين
الكنيسة ومن يجعل من اهل تلك الغزوات يعد سعيداً عند النصراري دينا
وأخرى) ودفع البابا الى الإمبراطور رهائن ليستوثق بها حتى يفعل بمقتضى
ما ذكر في المشارطة واعطاء زيادة على ذلك عدة مدائن لتبقى تحت يده حتى يفي
بالشروط التي حصل الاتفاق عليها

وبعد أن باع البابا المتاسب والوظائف القسيسية وفعل ما يبين اصول الكنيسة
وقوانين دين النصرانية ودفع المبالغ الاول عينوا يوماً لاطلاقه وتخليته سبيله
الافعة في مدة مجتهه التي بلغت ستة اشهر كان قد تمت نفسه واشتازت وصار
يخشى نواب الدهر وغوائله كما هو دأب من فعل بالنكبات تخاف أن يتوقف
بها الإمبراطور الذين مدته حتى في التلبه التي قبل اليوم
العين لاطلاقه تنكر في صفه يساع ويخرج من القلعة ولم يعرفه احد واثما لمكنه
ذلك لان الامير آلرسون كان لا يدق عليه منه عقد المشارطة ثم سار حتى
وصل قبيل الفجر الى مدينة اوريسطو ولم يكن معه لارجل من شبابه
فلما نزل بهذه المدينة بعث كتابا الى الامير توتريك يفتي عليه فيه التنازل الجليل
وفهمه انه هو السبب في خلاصه من رقة الاسر واطلاقه من السجن
وفي اثناء تلك المناكرة ذهب رسل ملك فرانسوا وملك اسكتلغة الى

مطلبه
ما طلبه الإمبراطور من
الملك فرنسيس والملك هنري

اسبانيا ليعرضوا على الاميراطور ما اتفق عليه الرأى في المشاركة المنتهدة
بين الملك فرنسيس وولسى وديرمك انكثرة وكان الاميراطور لا يريد
أن يعادى هذين الملكين ويخاطر نفسه في الحرب معهما فان ذلك يقضى
بقواه وخراته الى الضعف والتفقد فظهر منه انه يخرج الى التساهل في بعض
امور من الشروط الصعبة المذكورة في المشاركة المنتهدة بمدينة مدريد
وكان الى ذلك الوقت يدقق في طلبها كل التدقيق ولا يرضى أن يتساهل في شيء
منها فعرض انه يرضى بقبول المبلغ الذي كان عرضه عليه اول الملك فرنسيس
(وهو مليونان من الايكو) في تطير زوجه عن دوقية بورغونيا ورضى ايضا
أن يحتل سبيل ولديه السجويين عنده بشرط أن يخرج جيشه من بلاد ايطاليا
ويرد الى الاميراطور جنويرة وغيرها من البلاد التي تطلب عليها في ارض
ايطاليا واما الامير سفورس فتشدد الى اميراطور في انه لابد من عقد مشورة
فيما عهده قضاة ليحكموا عليه بما يستحقه في تطير خيانه هذا ما طلبه
الاميراطور فلما عرض ذلك على الملك هنري وكان الملك فرنسيس يريد الصلح
واجتناب ما يجز الى قلب بلاده وتعب رعيته لما توقف في قبول هذه الامور
لقرىها جدا عما كان يطلبه بنفسه قبل ذلك لكن كانت مقاصده قد تغيرت
بالكلية وذلك انه لما رأى ان الملك هنري قد تعاهد معه وصار حليفه ورأى
أن سر عسكره الامير لوتريك قد خرج في ايطاليا وفتح منها بلادا كثيرة
وان جيشه يفوق جيش الاميراطور ايقن بالصلاح واته يأخذ ملكة نابل
فتعلن يا موروا في قبول ما عرضه الاميراطور بل طلب منه أن يرده الى الامير
سفورس سائر دوله بدون مقابل ولا شرط منظرا أن ذلك من باب الشفقة
وللأفة بالامير المذكور مع انه قبل ذلك كان لا يخاطر بساله مثل هذا الامر
وطلب منه ايضا أن يحتل سبيل ولديه قبل أن يخرج جيوشه من ايطاليا
وبلاد جنويرة فالتان الوتوق بكلام الاميراطور على اير الكياسة والتبصر
فغضب الاميراطور من هذه المطالبات الصعبة المشوبة بالقدح والتوبيخ وندم

سنة ١٥٢٧

شهر كانون الثاني

سنة ١٥٢٨

مطلب

دعاء الاميراطور الى الحرب

على كونه تساهل في الشروط الاولى واظهر انه لا يتصرف عن ادنى شيء
من الامور المذكورة فاختاروا مكان لا يظن احد ان الملك هنري
فرانسيس على طلب مثل هذه الامور لكنه اتفق عليها وبعث رسلا مع رسل
الملك فرانسيس الى الاميراطور ليعرضوا عليه ما رغب ملكهم فاجاب الاميراطور
ان يقبلوا وانصرفوا من عنده على ذلك

وكان مع هؤلاء الرسل رسولان آخران احدهما من طرف الملك هنري
والآخر من طرف الملك فرانسيس وكانا قد ارادوا دعاء الاميراطور الى الحرب
اذا هو لم يرض بالشروط المبعوث اليه مع هؤلاء الرسل وكانا قد مكثا مختفين عن
الاعين حتى يراهما يرضى الاميراطور بالشروط المعروضة عليه ام لا فلما ظهر
لهما ان الاميراطور قد ابى ان يقبل تلك الشروط حضر الى ديوانه في اليوم
الثاني بعد انصرف الرسل المبعوثين بالشروط وطلبا منه الحرب كل عن لسان
سيده فلقاهما الاميراطور مع الهيبة والجلالة التي تليق بمقامه وتطالب كلاهما
بخصوصه على وجه يدل على ما في ضميره لكل من الملكين فاجاب رسول الملك
هنري مع ثبات وعزم مشوب ببعض علامات تدل على الاعتبار والاحترام
واخلط القول حين اجاب رسول الملك فرانسيس واخبره ان يقبل سيده فرانسيس
بان الاميراطور من الان فصاعدا لا يعتبره في شيء بل يمدّه بمن لا يقول عليهم
ولا يوفق بكلامهم ويخبره عن لسانه انه عار على شرف العرض والفضائل
التي يمتاز بها الامراء والاشراف فخلو وصل الرسل الى الملك فرانسيس
واخبره بقول الاميراطور وكان عظم اترفيه ودهشه التائبين ثم
على ان يقابل الاميراطور مقاتله شخصية بمعنى انه يوزن اليه بنفسه في الميدان
لينتقم منه في نظريته والقدر فيه فيحدث سوره فورا الى الاميراطور واصل
معه بطاقة يدعوهم الى المبارزة معه في الميدان وطلب منه ان يعير زمن القتال
ومكانه وانه يختار ما يشاء من انواع الاسلحة ولم يكن الاميراطور دون في النسيط
والسجاسة تحمل هذه الاخبار بدون توقف ولكن حصل بينهم مراسلات ومكاتبات
في شأن هذه القاتلة وكانت تلك المكاتبات مشحونة بالوم والتوبيخ

مطلب

دعاء الملك فرانسيس

الاميراطور الى القاتلة

الشخصية وهي مبارزة

الفرين في الميدان

سنة ١٥٢٨

المشعر بالمسبة واسماء الادب من الجانبين قنبوسى هذا الامر وهو فى الحقيقة لا يلىق بهما اذ هما اعظم ملوك دالة العصر واتما هو من شأن الابطال المأثور ذلك عنهم فى الحكايات

ولما حصل هذا الامر من ملكين كذا اعظم ملوك دالة العصر فتمت به اذهاق الناس ونشأ عنه تغير عظيم فى اخلاق بلاد اوربا وقد قدمنا فى الاتحاد ان عادة الدويل (الدويل اصله باللغة الايطينية دويلوم ومعناه القتال بين اميرين) ثم توسع فيه حتى صار يطلق على كل حرب شخصى يحصل بين اثنين اياما كان نسيهما او مقامهما ومعنى دو اثنان كانت قد مكنت زمانا طويلا توسعها الشرائع والقوانين فى سائر بلاد الافرنج حتى كانت معدودة شطرا من قواتين الملل الافرنجية وربما حكم بها القضاء للمدينة فى بعض الاحوال من حيث كونها واسطة فى قطع النزاع فى الدعاوى المدنية والجنائية لكن لما كان القتال الشخصى اذ ذاك معتبرا كانه امتحان يظهر فيه الله سبحانه وتعالى العدل والانصاف ويخلص الحقوق لاربابها كانت الشرائع والقوانين لا توجه الا فى اتمام المصالح والدعاوى العامة وكانت تبين الكيفية التى يكون بها هذا القتال وحيث كانت تلك العادة جارية فى المحاكم اقتدى بها الناس واستعملوها فى مشاجراتهم الشخصية فبعد ان كان الدويل لا يعمل الا بامر من الحاكم صار من وقتئذ يعمل بدون امره وتوسع فى استعماله حتى صار يجري فى صور لم تكن مقررة فى القوانين فلما حصل بين الاميراطور شرلكان والملك فرنسيس انهما ارادا القتال الشخصى معا والبروز فى الميدان تقوت هذه العادة كل التقوية وكثر استعمالها فكان اذا حصل ادنى ساسة فى عرض اميرين اليكزادات فرأى ان له الحق فى الانتقام من خصمه فيدعوه الى الميدان ليخلص منه حقه فقام من ذلك تسامح مضرة حيث كان الناس يوشمخ شجاعتهم وكم يوقوسهم ذوى خشونة وشراسة اخلاق فكانت تكثر اسائتهم وتقدم لبعضهم تلك اعظم اهالى اوربا فى الميدان فكم هلك فى هذا القتال اناس يعظم تقهم للوطن ولتقديم اوقات كان بها

مطلب
تقوية عادة تلك القتالة
المسماة بالدويل بهذه الحادثة

سنة ١٥٢٨

القتال الشخصي اهل واشتد من الحروب للدين والفتن الداخلية فانظر الى حكم العادة وقوة تقوا حكامها واقبائها على الاحكام الشرعية والسياسية حيث ان هذه قوت عقوبات صعبة واستعطى ومقتل دينية في ابطال هذا الامر الذي لم يكن معروفا عند الاقدمين ولا يستحسنه العقل والذوق السليم ومع ذلك فلم يمكن ابطاله ولا قطع عرقه ولكن ينبغي أن نعترف أن ذلك الامر مع شناعته ترتب عليه الآن تهذيب الاخلاق وتخصيها واحترام الناس لبعضهم حتى صارت معاملات الناس ومعاشراتهم جارية على وجه لطيف مستحسن لم يسبق نظيره عند اعظم الملل السالفة واكثرها غمدا ورغاية واحسنها اخلاقا

ولنرجع الى موضوعنا فنقول انه في مدة ما كان الاميراطور والملك قرنيين يريدان انهاء دعواهما بالقتال الشخصي كان الامير لوتريك مستترا على الحرب في ايطاليا مع عساكر الاميراطور وكان جيش لوتريك قد اذله اعداده حتى بلغ خمسة وثلاثين الفا فساهم الى مملكة نابلي فلما دنا منها حصل لعساكر الاميراطور فزع ورعب زاده المالح رئيسهم امير اورنجيه وحمله على الخروج من مدينة رومة فتوجهوا ثم خرجوا منها بعد أن مكثوا فيها عشرة ايام وهم يظلمونها ويرتكبون فيها ما لا مزيد عليه من انواع المظالم والمظالم لكن لم يبق من هؤلاء العساكر الايمبراطورية الذين دخلوا رومة فيها ورقت عظيم الانصاف وهلك الباقي فيما بالظالمون والامراء اني حدثت في من طول مدة التذلة والبطالة وانهم اكهم على اللذات والشهوات مذقة طمعتهم بها وقد بذل الامير لوتريك غاية جهده ليجتنب من المصوم على عساكر الاميراطور وهم متوجهون الى ارض نابلي ولونجح في ذلك لانتهى الحرب لوقته الا ان هؤلاء العساكر طرزمهم وتبقيهم افسدوا عليه ما دبره في هذا الشأن حتى وصل العساكر لمدكورون الى نابلي ولم يلبث منهم الا القليل وكان من عادته اهالي مملكة نابلي أن يسلموا العزب الاقوى الغالب وكانوا يودون التخلص من حكم اهل اسبانيا

مطلب
خروج عساكر الاميراطور
من مدينة رومة

سنة ١٥٢٨

شهر سباط

مطلب
حصار الفرنساوية
لمدينة نابلي

والاميراطورهم صالوا بجيش الفرنساوية مع القرح وكانوا يتلقونهم مع البشاشة
اجتازوا من بلادهم حتى لم يبق لعاكر الاميراطور من المدائن الحصينة والقلاع
سوى مدينة نياطة وعريضة نابلي فأما الاولى فلم تبق بايديهم الا لانها
كانت حصينة متينة الاسوار وكان السبب في حفظ مدينة نابلي هو حضور
عساكر الاميراطور بها ومدافعتهم عنها ومع ذلك تقدم الامير لورين
بالجيش الفرنساوي الى نابلي وضرب معسكره تحت اسوارها لكنه رأى
انه لا يمكن الاستيلاء عليها الكثرة العساكر والحماطين بها فاقترع على حصارها
حصاراً حاطة وان كان يعلم ان طريقة الحصار بطيئة غير انه رأى هادون الهجوم
خطراً وبعد ان رتب الحصار وسد الكلف المدينة وارجمها كتب الى سيده
الملك فرنسيس يعلمه بان عساكر الاميراطور سيضطرون عن قريب الى
التسليم لشدة القحط والمجاعة لانه قد قطع عنهم الوارد وسد عليهم جميع الابواب
وقد حصلت حيث سادته تقوى بها هذا الامل عند حرب فرنسيس وهي
أن عياصكر الاميراطور شنوا الغارة ليتغلبوا على البصر فرجعوا خائبين
وذلك أن سفن الامير ابدرة دورية التي كان حكمدارها ابن اخيه الامير
فيليب كانت تحفر داخل الميناء فارد الامير مونكاد وكان قد خلف الامير
لاواي على حكومة نابلي أن تغلب على البصر فجهز مقداراً من السفن
يزيد على سفن الامير ابدرة دورية ونزل فيها هو والمتمم غواست وأعظم
الضباط والعساكر الأسبانية ووجه على سفن الامير دورية قبل أن تلحقها
سفن الفرنساوية ومن جمهورية البنادقة ولكن كان الامير دورية
يفوق اعداءه في فن البحرية والحركات العسكرية فانتصر على عساكر
اسبانيا مع شجاعيتهم وكثرة عددهم وعددهم وقيل الامير مونكاد حاكم
نابلي وتلف معظم مفرقه وأهمل المتمم غواست وعدة من اكبر الضباط
الاسبانية فوضعهم الامير فيليب في السفن التي اخذها من الاعداء
وارسلهم الى عمه ابدرة دورية بعلامة على نصره على الاعداء
ونظروهم

مطلب
الحوادث التي طالت
إيها مدة المحاصرة

ومع هذا الصباح الذي تقوى به اهل الامير لوريك في حصول النصر عن
قريب حصلت ^{٢٠} معوالات اخرى افسدت عليه آماله وذلك ان البابا كايان
وان اعترف غير مرتدان الملك فرنسيس هو الذي انتقذه مع الاسر وبالغ
في الاساءة الى حركته من طرف الامبراطور ~~كان~~ لايمك في اموره على
حسب ما كان يعترف به ويظهر من صدق المحبة للملك فرنسيس واغرب
من ذلك انه تهاوى بفضله للامبراطور وصار لا يبعث عن الاشواق منه لنفسه
في تغيير اسائه له وذلك انه كان من عادته ان لا يأمن صروف الدهر وغيره
بل يعترف بهما امكن في اموره فلما حلت به المصائب ووقع اسيرا في قبضة
الامبراطور وخلص من ذلك زاد احتراسه من نكبات الدهر فكان كلما تفكر
فيما حصل له ازداد خوله وكثر ترددده فيمن كان يلاهي الملك فرنسيس
بالمواعيد المزخرفة كان يتفاوض سر ^{٢١} مع الامبراطور شرليمان لاسيما وكان
البابا المذكور يريد ان يثبت لعائلته الحكم الذي كان له في بلاد فلورنسة
قبل ان يخرج عن طاعته وتصبير جمهورية مستقلة وكان يعلم ان الملك فرنسيس
لا يساعده على ذلك حيث انه تعاهد مع هذه الجمهورية معاهدة أكيدة
وان الامبراطور هو الذي يتبعه في مثل هذا الامر فكان ميله الى الامبراطور
الذي هو عدو ما كثر من ميله الى الملك فرنسيس مع انه كان سببا في خداعه
من الاسر فلما لم يساعده الامير لوريك ادى في مساعدة هذا وكان اهل
البنادقة يعادون من نجاح حين الترساوية فالتملوا ^{٢٢} بدجيزه
بحريه ^{٢٣} بلاد باي حركات مدح طرغم فلم ياتوا الى اعانة جيش
الترساوية على اخذ مملكة باي فارتوا مصلحة انفسهم على المصلحة
العامة

واما ملك انكلترة فلم يمكنه ايضا ان يفض الغرض الذي كان عزم عليه لاجل
من اعطاه الامبراطور فاضاعه في الحيرة وهذا الغرض هو الهجوم على مملكة
البلاد اوطية وكانت من عمال الامبراطور وكان السبب الذي منعه عن
تعيينه هو ان رعاياه كانوا الارضون بهذا الحرب لكونهم رأوا انه لا يعود عليهم

سنة ١٥٢٨

بالمصلحة بل يترتب عليه تعطيل تجارتهم وكسادها فلما شاهد منهم ذلك اعتد
بعاملمهم بما يسكن به غضبهم ويمنع من حصول قسنة بينهم حتى اضطر الى عقد
هدنة مدة ثمانية اشهر بينه وبين ملكة البلاد الواطية وقد حصل ايضا من
الملك فرنسيس * اهمال وتربخ كما هي عادته فلم يرسل الى الامير لوزيان
المبالغ اللازمة لمصاريف الجيش ولوازمه

فتبكت الاسباب فترت همة العساكر الفرنسية وهمة الامير لوزيان
وحصلت حادثة اخرى سدت عليهم جميع الابواب واوقعتهم في اليأس والتشوط
وهي عصيان الامير اندره دورية وذلك أن الامير المذكور كان جمهوريا
وكانت تربيته من صغره في البصرية فكان مع حبه للاستقلال كاهل
الجمهوريات متعلقا بالاخلاق الحميدة من طيب السريرة وخلوص الطوية
وغير ذلك من الصفات الحمودة التي يمتاز بها البصرية وكان طبعه يأبى المداينة
والاتباع الذين لابد منهم ما لم يراد أن يكون له خطوة في دواوين الملوك وكان يعرف
مقدار نفسه وجلاله شأنه فكان يبدى رأيه في كل امر بحسب ما يستحسنه عقله
ويتعلم عن يضربه فلا يخشوا بأسا وكان وزراء الفرنسية غير متعديين
على مثل هذا الشتم فعزموا على اهلاك هذا الامير حيث كان لا يحسن
معاملتهم ويسلك معهم مسلكا يرونه مخالفا لشروط الادب والاحترام وكان
فرنسيس يعلم أن هذا الامير يتفهم كل النفع وكان يعد فيه كرم الاخلاق ومع
ذلك لم يرزل اخصاؤه وارباب ديوانه يقدمون فيه ويسالغون في ذمه ويصفونه
بالكبر وسوء الخلق وانه يؤثر مصلحة نفسه على مصلحة قرائنا فزال حسن ظن
فرنسيس فيه بالتدريج وصار لا يتق به ومن وقتئذ حصل للامير اندره دورية
اسمته وتوكل لاطيقه النفوس فكانت ماهيته لا تدفع له اقوالا بآول كالسابق
بل كان في الغالب لا يسمع قوله ولا يقبل رأيه في المصالح البصرية وارادوا
أن يأخذوا من ابن اخيه الامير فيليبين جميع من أسرفهم في الحرب البصري
الذي حصل بينه وبين سفن الايطاليين في صينا فالبى . وبينما كان الامير
اندره دورية متخبرا من هذا الامور غاية المتخبر اذ حصلت حادثة اخرى عيل

مطلب
قيام الامير اندر دورية
على الفرنسية ودخوله
في حرب الايطاليين

سنة ١٨٤٥

بها صبره وهي أن القرساوية يأخذوا يحصنون مفرقة ساون وقطنون
 ميناها وقلوا اليامن القنارة بعض فروع كانت مخصوصة بمدينة جنورية
 التي هي موطن لهذا الامير وظهر منهم انهم يريدون جعل مدينة ساون
 المذكورة عاصمة بالتجارة والثروة بمدينة جنورية وكان اهل جنورية
 يغضون تلك المدينة ولا يصبون أن تشر كمهم في القنارة فلم يستطع ذلك
 واختارها الجمعية على وطنه فتشكى من هذا الامر وقد القرساوية بانهم ان
 لم يرجعوا عن هذا المقصد حل بهم الضرر وتدموا كل التدم وكان خواص
 فرنسيس يغضون هذا الامير فلما حصل منه ذلك اخبروا به الملك بعد
 أن بالغرافيه و اضافوا اليه امورا دينة من عندياتهم فاصدين تغير الملك عنه
 فغضب فرنسيس كل الغضب وبعث امر الى الاميرال (قبطان باشا)
 باريزيو أن يتوجه بحبة الدونما القرساوية الى جنورية ويقض
 على الامير اذره دورية ويستولى على مامعه من السفن وسكان يلزم
 المحاسبة مهما امكن على اخفاء هذا الامر الصادر عن غير حزم وتبصر لكن
 لم يعن باخفائه فعلم به الامير اذره دورية من قبل فالتذ منته ورساها
 في محل آمن بحيث لا يخشى من اعدائه مادام فيه وكان الملتزم غواست
 وقتئذ اسير اعنده فلما رأى هذا الملتزم غم هذا الامير اخذ يقره من القرساوية
 ويذكره ما يرضيه في الانضمام الى حزب الاميراطور فلما رأى أن الغضب والجحد
 قد تمكك منه غاية ما يمكن انتهز تلك الفرصة وسجله على أن يبعث ضابطا من ضباطه
 الى الاميراطور يتس منه الدخول في خدمته بموجب شروط يبعثها مع ذلك
 الضابط وكان الاميراطور يعلم أن دخول هذا الامير في خدمته مما يهين اتم
 الاعانة على اعدائه فبادر بقبول الشروط المعروضة عليه من طرزه وادخله
 في حوزة فيميرداتنام هذا الامر لاسل الامير دورية الى الملك فرنسيس
 ينشاه وحط عن سفنه بنذيرة القرساوية وابتدأها بنذيرة الاميراطور ورفع
 الشراع وسار حوله مدينة ناطلي لقصده خلاصها واتخاذها لقصده حصار
 ميناها كالمسابق.

سنة ١٥٢٨

مطلب
الضئلة الذي حصل
للفرنساوية تامام نالي

فبعد وصوله الى المدينة نالي قُتعت طرق البحر وصارت تلك المدينة في راحة
من العيش بعد أن كانت في اشتد الكروب من القحط والجذب واما الفرنسيون
فانهم بعد أن تركهم الامير بذرهم دوية ضاعت منهم سلطنة البحر وبعد مدة
قليلة قد زادهم وذا بهم وآلوا الى اسوء حال وكان الامير دورنجه قد وثق
الرياسة على جيش الایميراطور بعد موت النائب الذي كان كما على بلاد نالي
فذلك هذا الامير ما صار به اهل لهذا المنصب العظيم وكما عجزنا عن
العساكر بحسب ما لديهم لانهم اتصروا معه من اراغيدية وبجروا كل القبح
فكانوا يطيعونه ويتقون اوامرهم بالتسول وخلوص النية فكان دائموا لبدأ
يتقش على الاحداه بصاكره ويخيم حتى اذا فهم العذاب الاليم وكنت قوامهم
وتلاشي عزمهم * ومن سوء حظ الفرنسيون نزلت بجيشهم الامراض
التي تكبر عادة تلك البلاد في فصل الصيف وكان الفرنسيون قد أسروا جلته
من عساكر الایميراطور فبعهم بشايا الطاعون لانهم كانوا عدينة دومة واتوا به
معهم الى نالي فلما دخل هؤلاء الاسارى في معسكر الفرنسيون ظهر
فيه الطاعون فمعا قليل هلك عساكر الفرنسيون ولم يسلم من العدوى الا مقدار
قليل من الضباط والعساكر بقي في الجيش الا دون اربعة لاقت بقدرة على حمل
السلاح ولا شك ان هذا المقدار لا يكفي في المدافعة عن المعسكر فحاصر عساكر
الایميراطور ومن بقي من جيش الفرنسيون وضيقوا عليهم كل التضيق حتى
شغل بهم مثل ما كان حال عساكر الایميراطور ثم كثر رقيسهم الامير لوتريك
مدة طويلة وهو يمارض تلك العوارض والمصاب ثم اصيب بالطاعون وكان
قد عظم عليه الامر واشتد به الكرب فهلك وهو متأوه من احوال الملك
فرنسيس وخيئته حفاة ومتعاهديه حيث تربت عليها فقد ابطال
الفرنساوية وشجعانهم وكان لا يوجد بعدهم من يصلح للرياسة على الجيش لان جميع
الضباط من الجنرالان كانوا مرضى فانبط بها الملتزم دوسالوس ولم يكن
عند من المعارف ما يكفي في تدبير هذا المنصب المهم الجسم فاخذل نظامه
وقال مدينة اويسة هو ومن بين من الجيش وكانوا شر ذمة قليلة قد اتفقهم

١٥ من شهر ابريه

مطلب
رفع الحصار

منه ١٥٢٨

مطلب
رجوع جنوري الى
حزنها

من التعب والنصب ما لا مزيد عليه فعند ذلك اتاه الامير دورنجة الحصار على مدينة اوربسة فبعثا طيل اضطر دوسالو الى التسليم ووقعت المشاورة على أن يبقى اسرا عند مير عسكر الاميراطور ويقتله في سائر موارده ومهماته وأن يجزئه القرباوية عن الاسلحة ويرسلوا الى مملكة قرقاسا بدون سلاح ولا رايات وقصصهم سرية من عساكر الاميراطور لاجل خفرهم حتى يصلوا الى ضواحي تلك المملكة فبهذه المشاورة المورثة المعززة كانت نجاة بقايا الجيش القربساوي * ويعزم الاميراطور وحزم رؤسائه وحسن سلوكهم رجوع الى ما كان عليه من القوة وقهوا الكلمة والشوكة في بلاد ايطاليا وقد اعقب تدمير هذا الجيش في محاصرة نابلي ضياع جنورية وكان الامير دوربسة يطمع في اقتاذ وطنه من حكم الاجانب حيث ان ذلك هو الحاملي له على التخلي عن حزب الملك فرنسيس والدخول في حزب الاميراطور ولم يكن لاحد له فرصة اعظم من ذلك في تقيم هذا المشروع المدحوح وكان اهل مدينة جنورية قد هاجروا منها لوجود الطلوعون بها وكان محافظو هامن القربساوية قد تلحقهم الفخير والساعة حيث كانت لا تدفع لهم ماهيتهم وكانوا قد تساقص عددهم بسبب الامراض الوبائية ولم يأتهم امداد جليل يدعيهم ويشد عضدهم ولما بعث الامير دوربسة رسلا الى تلك المدينة وأمان بقى من اهلها فاستموا من حكم القربساوية وحكم اهل اسبانيا حتى صاروا يودون أن يتخذهم احد من ذلك ووعدها بأنه ان تصدى هذا الامير لا تهاذهم يادروا بجلالاته ومساعدته في جميع مشروعاته فلما بلغ ذلك الامير دوربسة وايقن أن مقتضيات الاحوال تساعد في تخير هذا المقترض توجه بهتة في نهر جشورة فلما دنا منها تساعدت عمل السفن القربساوية واخرج سرية من عساكره الى البر فهاجأ المدينة ليلا وقتلت على باب من ابوابها وكان حكم دارها ذلك الامير تريولس القربساوي فهاوى الى القلعة مع محافظيها وكانوا في عدد قليل وغلقوا الابواب فاستولى الامير دوربسة على المدينة بدون قتال وكان الامير تريولس وهو في القلعة لا يجد ما يلزمه

٢٤ من شهر ايلول

سنة ١٠٢٨ هـ

من الذين رزوا زادا فاضطر بعد قليل الى التسليم ولما كان بقاء التلعة من الاكار التي
تذكر اهل جنورة باستعبادهم ورقمهم على بحر الايام يادروا بازالتها
وجعلوا عاليا بها ظها

ولا يخفى أن الامير دورية كان يحسنه بدون عائق ان يصير حاكما مطلقا
في جنورة ينصرف فيها كيف يشاء حيث اتخذا من ايدي الاجنب
فانه كانت له شهرة عظيمة وكان له احباب كثيرون وكان له موقع عظيم في قلوب
ابنا وطنه لهؤلاء الواقعة وكان الامير اطور عليهم الفخل ذلك يسلم عليه الاخذ
بزمام الحكومة ويحسنه اليه لكن اشرف نفسه وعلاو حتمه لم يلتفت الى مصلحة
نفسه ولم يبحث عن الحكم بل اتر على ذلك فخر اعادة الحرية الى وطنه ولا شك
ان هذا اعظم شيء طمعت فيه النفوس البشرية وقد جمع هذا الامير الاهالي
في مساحة قصيره وذكرا لهم ان ما داخله من القرح والسرور من رؤيته اهل وطنه
احرارا كما كانوا هو اعظم مكافاة في تطير خدمته وتعبه وأن لقب ابن البلد ان
عند من لقب الملك والحاكم وانه لا يريد أن يحكم ابناء وطنه او يتعالى عليهم
بل يتركهم يرتبون حكم جمهوريتهم كيف شاؤوا وكانوا يسعون كلامه وادمعهم
تساقط من ذلك عجا وطربا فانتضوا من بينهم اثني عشر رجلا ليربوا صورة
الحكومة وتأسى اهل جنورة يعاونهم هذا الامير ويحلوا بفضائله
ويتخلقوا باخلاص حتى نسوا ما كان بينهم من التناقض والتناق الذي مكث مدة
طويلة يمزق دولتهم كل ممزق واحترسوا باحتراسات حازمة حتى لا يعود هذا
التناقض الى دولتهم ثانيا ثم رتبوا صورة ملكهم على وجه غريب فكنت
حكومة جنورة على هذه الصورة من ذال العصر الى وقتنا هذا من غير
أن يحصل لها تغيير ولا تبدل وعمر الامير دورية طويلا وكان يحتمل ما مهابا
ميجلا محبوبا يعتد ابناء وطنه بعمدة حياته ولم يزل على الهمة شريفة النفس فلم
يتطلب لنفسه قط امتياز اذا تميز به عن غيره ومع ذلك كانت له الكلمة النافذة
والحل والعقد في المشاور والمجتمعات تلك بالجمهوريات التي له الفضل عليها حيث
اعادها فخارها القديم واحياها وقد كانت من الزمير ولاشك أن للصولة

مطلب
ملوك الامير دورية الذي
يدل على انه كان خليعا عن
الاوضاع شريفة النفس

التي كان يحظى بها كانت احب اليه مما كان يثبت له لو تولى الحكم مرة على
الجمهورية لان صولته كانت مؤسسة على اعتراف الالهالي بالشكر ومحبتهم له
بخلاف ما لو كان ملكا عليهم فان صولته تكون مؤسسة على خوفهم منه وذلك
خطرا لتوحيد عاقبته غالبا ومن ثم ترى اسمه محترما عند لعل جنويرة الى
الآن فتي عماراتهم الصلوة ومبانيهم آثار دالة على ذلك كأن تا كيف مؤرخهم
ترى فيها اسمه محلي باسرف الانصاب ونفرها كيف لا وهو مقلب فيما بأبي
وطنه ومعيد حريته

ولما كان الملك فرنسيس يريد أن يسترجع شهرة عساكره بعد ضياعها
بسبب المصائب التي حلت بهم والهزيمة التي حصلت لهم غير مرة اغار ثانيا
على دوقية ميلان ولكن جعل سر عسكر جيشه القوتة سانبول وكان
على ما فيه من المسارة خاليا عن التجاوب فلم يكن فيه صلاحية لمساومة
الامير الطولان دوليو رئيس العساكر الايمبراطورية وكان امهر ضباط
الايمبراطور وواشيهم وكان يعرف فن الحرب حق المعرفة فامكنه مع قليله من
العساكر أن يطرد الفرنسيين ويضد عليهم ما كانوا يدبرونه فانه وان كان
هرما لا ينزل من العربة انما توجه الاله فاق الفرنسيون نشاطا ومهارة
وقريحة فاجأهم يوما وهزمهم وقبض على سر عسكرهم الامير سانبول
واستأصلهم في دوقية ميلان قتلا كما فعل الامير دورنجة بالجنين
الفرنساوي أمام مدينة نابلي

ومع استمرار الحرب بين الفريقين كان يلوح على كل منهما انه يريد الصلح فكانت
المداولات مستمرة بينهما في هذا المعنى وذلك أن ملك فرنسا رأى أن خيرا منه
قد قدت وعساكره قد هلكت فلا يمكنه اطلاق اولاده من القهر فاقمه أن يسلك
مسلك الملائمة وأن يرضى خاطر الايمبراطور حتى يغفر زجره ويخلص اولاده
من الاسر هذا وكان البابا كليمان يطمع انه اذا عقد مشاركة مع الايمبراطور
يمكنه أن يسترجع ما ضاع منه في مقابلة الحرب بل ان الايمبراطور فانه وان كان
هو الظاهر الغالب الاله كان ينجح الى الصلح لاسباب قوية وذلك أن السلطان

سليمان كان قد تغلب على بلاد الجمر وأوشك أن ينقض بجيوشه المشرق
على بلاد الأوستريا وزيادة على ذلك كان دين لوتير كل يوم في ازدياد
واتسار في سائر بلاد ألمانيا وكان الأمراء الذين ينصرون هذا الدين
وبعض رونه قد عقدوا مع بعضهم عصبة يخشى منها تعكير الإمبراطورية وإقناع
الفتن بها وكان أهل أسبانيا يلومون الإمبراطور على هذه الحروب ويتظلمون
منها حيث كان معظم مشاقها عليهم لاسبانيا وكانت قد عظمت واتسعت دائرتها
فرأى الإمبراطور إرادته لا يكتفي في مصارعها وإنما كان نصره على عدوه
لوفور حظه ومهارة قبسطه ورؤسائه عساكره وهذا يجزئه لا يكتفي في استئثار
نصرة عساكره الذين كانوا في الغالب لا يبعدون ما يلزم لهم على صاكر العدو
الذين كانوا يرمل عندهم ما يقوى همهم ويستوعق لهم الصبوح على أعدائهم هذا
ولا يخفى أن الملوك الذين كانوا متعصبين على الإمبراطور لم يستطيعوا إخفاء
مقاصدهم وأغراضهم بخلاف الإمبراطور فلم يلزم أعداءه بشروط صعبة
حتى لا يتوهما بجزءه عن استئثاره على القتال وأما البابا فكان لا يريد
أن يقتل عن معاهدته قبل أن يتعاهدا ويعقد مشاركة مع الإمبراطور
فكان يحاولهم ويخادعهم من جهة ومن جهة أخرى كان يتشاور مع
الإمبراطور سرًا ولما كان الملك فرنسيس يخشى أن يسبقه معاهدته
وحلفائه إلى الصلح مع الإمبراطور سلك في هذا الأمر مسلكًا يحل بالمرءة
في الإنسانية وشاغل معاهدته حتى لا يفتوا على ما دبره في هذا الشأن

فيما كان كل فريق يرغب في الصلح ولا يتحاصر على طلبه ولا على السعي
في تحصيله شرعت أمماتان في إيقاع هذا الأمر الذي كان يرغب فيه سائر
ملوك الأفرنج أحدهما صرغريطة أميرة الأوستريا الوارثة أعظم
شبهة عن زوجها وهي خلة الإمبراطور والثانية الأميرة لورث أم الملك
فرنسيس فاتفقتا على أن يتقابلتا في مدينة كبريه لأجل المفاوضة في هذا
الشأن وسكنتا في بيتين متلاصقين وقصبت بينهما فرجة واجتمعتا على وجه
الحبة والالفة بدون التزام ما فيه كفة وجعلتا يتذاكران ولم يكن معهما

سنة ١٥٢٩.

ثالث وكانت كل اميرتهم اعترف باحوال ديوان مملكتها ومصالحتها حق المعرفة
وكانت كل منهما تنق يصاحبها فمما قليل انطخ الرأي بينهما على امور شتى وكلا
يتم بمذاكرتهما صلح تام مستكمل لجميع الشروط والادوات وفي اثنا ذلك كان
رسل الملوك المتعاهدتين ينتظرون مع القلق ما يهدر من هاتين الاميرتين في شأن
بلاد أوروبا

ومع ان هاتين الاميرتين كانتا تجهلان بعقد صلح عام حصل في البابا سبقهما
بعقد مشاركة مع الإمبراطور سراً في مدينة برسلونة وذلك أن الإمبراطور
لما توجه الى بلاد ألمانيا قصد أن ينزل بأيطاليا لينشر بها الامن
والاطمئنان قبل وصوله الى ألمانيا لتسكين الفتن والتفاقم فرأى انه يلزم له
أن يعقد مع دولة من دول إيطاليا معاهدة يعول عليها ويستند اليها
وكان البابا يرى بعث عن المعاهدة معه فاستصوب الإمبراطور
ذلك وآثر المعاهدة معه على غيرها لاجلها وكان يود أن تلوح له فرصة
يصلح بها ما كان فعله من الاساءة في حق البابا الذي هو رئيس النصارى
وامام دينهم ويمحق قديم خطيئته بجديت صنع جميل فعلم البابا باحسن
المعاملة وسلم له في امورشى كان لا يتأق له الطمع فيها ولو بعد نصرات عديدة
فكان من جملة المواد التي اشغلت عليها المشاركة أن تعهد الإمبراطور بأن يرث
الى البابا سائر الاراضى القسيسية وأن يرتب ثانيا في فلورنسة حكم العائلة
المدبسية وهى عائلة البابا كليمان كما تخدم وأن يزوج بنته من الزوجة
للأمير أسكندر رئيس العائلة المذكورة وأن يرخص للبابا أن يفعل كيف
يشاء مع الأمير سفورس ويتصرف في حكومة دوقية ميلان كما يجب
ويحتار وتعهد البابا أن يعطى للإمبراطور حكومة مملكة نابلى ولا يدفع
الإمبراطور له خراجاً وانما يتعهد له أن يهاديه بجزء من الخراج لتستقر له السيادة على
تلك المملكة وصدر منه فرمان بالفرع عن كل من كان لهم دخل في نهج مدينة
رومة والمجموع عليه وأذن للإمبراطور واخيه فرديناند أن يأخذ اربع
مافي دولهم من ايرادات الكنيسة

مطلب

انتقاد مشاركة

خصوصية بين البابا
والإمبراطور في ٢٠ من

شهر حزيران

مطلب
الصلح المتحد بينه كبريه
بين الاميراطور والملك
فرنسيس في شهر آيد

ولما شاع خبر هذه المشاركة وقع التجهيل في الدالات والمذاكرات التي كانت
حاصلة بمدينة كمبرج بين الاميرة مرغريطة والاميرة لورث حيث
ان هاتين الاميرتين يعجزد عنهما بالمشاركة المذكورة أنها مشارطتهما
وكانت المشاركة المتقدمة بمدينة يدريد اصل المشاركة المتقدمة بين هاتين
الاميرتين وكان التصديق منها تخفيف الشروط الصعبة المذكورة في المشاركة
الاولى يعني مشاركة مدريد المذكورة والبنود الاصلية من مشارطتهما
هي أن الاميراطور لا يطلب الا أن رد دوقية برغونيا بل يبقيا الى وقت آخر
ولا يترك حقوقه ودعواه في شأنها وأن الملك فرنسيس يدفع مليونين
من الايكو لقاء اولاده وقبل اطلاقهم وتخليه سيدهم رد الملك فرنسيس
الى الاميراطور سائر المداين الباقية له في دوقية ميلان ويخلي له ايضا
عن حكومة القلنك واقليم اروازة ويترك دعواه في شأن نابلي
و ميلان و جنورة وسائر المداين الاخرى الموضوعة خلف جبال
البه و يعجزد ابراء المشاركة يقترح بالاميرة الينورة اخت الاميراطور
كما هو مقتضى الاتفاق السابق

ولما كان الملك فرنسيس في قلق عظيم لاجل خلاص اولاده من الاسر رضى
بهذه المشاركة فترك جميع ما كان الجاه أولا الى الحرب مع الاميراطور مدة
تسع سنوات وهو سب طويل لم يكن بعده مثله في بلاد اوروبا قبل
أن تظهر بها الجيوش المنتظمة وضرب المغارم الخارجة عن حد العادة
فصار ت بلاد ايطاليا بموجب المشاركة المذكورة تحت يد الاميراطور
يتصرف فيها كيف شاء واتخذ املاكا التي في مملكة البلاد الواطية من عار
التبعية لمملكة فرنسا وبعد أن غلب الاميراطور خصمه وظهر عليه
في الحرب ألزمه عند هذا الصلح بمائة من الشروط الزام السيد لعبد والمتبوع
لتابعه ولا غرامة في ذلك اذا قتل الانسان الى سلوكه كل من الملك فرنسيس
والاميراطور شر لكان وقتئذ يراهم هذان شر لكان كان يدبر مقاصده
مع الحزم والتبصر ويتبعهم مع العزم والتصميم حتى تأتي في التمييز على احسن

مطلب
كون هذه المشاركة فيها
شرف ونفاز للاميراطور

حالف وكان ذلك اوفق بطبعه كما كانت الضرورة والمقتضيات اذ ذلك يجعله
عما لا بد منه وكان دائما يراعي مقتضيات الاحوال والحوادث حق المراجعة
فلم تقضه فرصة مما يقرب عليه نفعه الا انتهرها بخلاف فرئيس فان عزمه
عند الشروع في المصايد اقوى من عزمه عند ارادة التخيير بكثير فكان عند
العزم على المشروعات الجسيمة يقدم عليها مع حجة لا باري * وحنة لا يخاري *
الا انه لا يدوم على ذلك بل لدى ارادة التخيير تقهره * وتضع حدة عزمه
وحجته * وبالجمله فكان غالبيا يصح ما يبدؤه من القرص النافعة المهمة اما
لاشغاله باللعب واللهو والفسخ خاصته وتخذاعهم اياه هذا ما كان من امر
الملكين من حيث تباينهما في صفاتهما الذاتية وكذلك تباين رؤساء عساكرهما
في الفضائل والمعارف لم يكن تأثيره دون ذلك في نجاح حزب الاميراطور
وتخذلان حزب فرئيس فان رؤساء عساكر الاميراطور كانوا دائما مع
شجاعتهم لا يبعدون عن سنن السياسة والحزم وكانوا ارباب قرائع جيدة
وعقول صائبة مستنيرة بمصايغ التجارب وطنة ناقية تدرك مقاصد الاعياء
وما دبرهم وبالجمله فكانوا مستكملين لجميع الصفات الجليله التي يمتاز بها رؤساء
العساكرين الاطال ويثبت بها النصر والتفكر بخلاف الرؤساء الفرنساوية
فلم يكن عندهم شيء من تلك الصفات الحميدة بل كان اغلبهم جامعا لضدها وانا
قطعت النظر عن معارف السرعسكر لوتريك وان لم يساعد الدهر على
مشروعاته لا ترى في رؤساء الفرنساوية من يتفخر بكونه يبلغ في المعارف
درجة الامير بسكر والامير ليوه والامير دوغواست والامير
دوريجة وغيرهم من الرؤساء الذين ابرزهم الاميراطور شرلكان كقوة
الفرنساوية وقتالهم وكان لمملكة فرانسا من يمكنه بمعاونه وحسن سلوكه
أن يعادل رؤساء الاميراطور وهو الدوق دي بوربون والامير مورون
والامير دوربة الا انهم تركوا لمملكة فرانسا التي هي وطنهم وانضوا الى
حزب الاميراطور وكان السبب في حرمان فرانسا منهم هو افعال الملك
فرئيس او خيبت طويته اخصائه وظلمهم وقد علم مما سبق أن المصائب التي

سنة ١٥٢٩

حلت بيملكه فرائسا مدة الحرب كانت صادرة عن حقد هؤلاء الثلاثة
ويأسهم حيث فعل معهم من الاساءة مما اوجب غضبهم وحلمهم على التخلي عن
حزب فرائسا والدخول في حزب الايمبراطور .

ثم ان الشروط التي اقرها الملك بفرنسيس في مشاركة كبريه وان كانت
صعبة عليه الا انها لم توره من الخزي والمعزة ما اوره غيرها مما ذكر معها
في تلك المشاركة وذلك انه قد شهرته وصار ملوك أوروبا لا يأمنونه
ولا يثقون به حيث تخلى عن معاهديه وجعل امرهم بيد خصمه وسبب ذلك
انه لم يعرض لمافيه مصلحتهم خشية أن يلزم بامور اخرى في نظيره ما يطلبه لهم
بل تركهم جميعا تحت ارادة الايمبراطور تصرف فمهم كيف يشاء فغلب نفسه
العارضة عليه من اهل البنادقة واهل فلورنسة ودوق قرارة
وبعض بارونات من نابلي كانوا قد انضموا الى جيشه ودخلوا في حربه

فلا حصل منه ذلك تشكوا جميعا من جبنه وغدره بهم كل التشكي حتى انه
لما ملحه من الخزي استجب مدد عن الرسل الذين اتوا اليه من طرفهم ثلاثا يسمع
منهم ما يسيئه من اللوم والتوبيخ الذي يستحقه واما الايمبراطور فقد راعى مصالح
من انضموا الى حربه جميعا حتى انه اثبت حقوق رعاياه الفلنكيين الذين كان لهم
يبلاد فرائسا املا له حقيقة ثابتة او مدعاة وكان من جملة بنود المشاركة
بند مخصوص وهو انه يجب على ملك فرائسا أن يرد الى عائلة الدوق
دي بوربون الاعتبار والشرف الذي كانت تتمتع به سابقا وأن يرد الى ورثته
سائر اراضيها التي ضبط عليها ونصحت الى جانب الكبرى وكان فيما بيند آخر وهو انه
يجب على فرنسيس أن يعطي البيكرزادات الفرنسية الذين كانوا جمعية
دي بوربون مئة الف جنيه ما يرتقى خاطرهم * فهذا السلوك الحميد الحسن
الذي ازداد بهجة بمصولي خدمه من الملك فرنسيس استوجب شكر لكان
اعتبار الافرنج له بقدر ما حصل له من الفخار والسود وبطرقه ونصره .

ولكن فرنسيس لم يسأل هل هري ملك انكثرة كثيره من معاهديه
بل كان لا يقر رشا في مشاركة كبريه الا ويخبره به ومن حظه أن هذا الملك

مطلب
كون هذه المشاركة من ربه
يعرض الملك فرنسيس

مطلب
امتثال الملك هنري ورضائه
بالمشاركة

كان وقتئذ في حالة بحيث لا يسهل الاستقصاء ما فعله ملك فرنسا وإعانه
على ما شرع فيه وذلك ان هنري كان يتبرج من البابا ان ياذن له بطلاق امرأته
كاترينة اميرة اراغون لاسباب دفعته الى ذلك وهي أن هذه الاميرة كانت
زوجة اخيه من قبله وكان لاذن اذادانه فنهى أن يكون زواجه بها بعد اخيه
مخالفاً للشريعة وزيادة على ذلك كان لا يحبها لانها كانت اكبر منه سناً وكانت
اكبر منها خدشاً ومنها بهيمة الشباب ومحاسن الصبا وكان يود أن يكون له
اولاد ذكور لا سيما وكان الوزير ولسي يريد اقناع القتل والشقاق بين سيده
الملك هنري والايمبراطور وحيث كان الايمبراطور ابن اخت الاميرة كاترينة
ظن ولسي المذكور أن طلاق هنري لهما يوجب الشقاق منه وبين الايمبراطور
فصار يحسن له هذا المقصد وهو طلاق تلك الاميرة وهذا السبب آخر مما
كان اتقى المسيح وهو أن الملك هنري كان قد شغل بحب الاميرة
آدوبولان وكانت مشهورة بالحسن والجمال صغيرة السن ذات معارف
وعوارف فلما رأى انه لا يمكنه أن يحظى بمحاسن تلك الاميرة الا اذا تزوج بها
صمم على زواجها وترقيتها الى اوج السلطنة وكثيراً ما حصل من البابا
انهم حكموا بالطلاق بموجب اسباب اوهى واضعف من تلك الاسباب التي
كان يستند اليها الملك هنري * فعرض هذا الامر اول مرة على البابا
كليمان وكان مسجوناً وقتئذ بقلعة مقتاحي وكان لا يؤمل الخلاص من هذا
السجن الا بواسطة ملك انكلترا اوملك فرنسا الذين كانا متعاهدين
معه فاطهر الميل الى اعانه هنري على طلاق زوجته فلما خلس من السجن
اطهر خلاف ذلك لانها لما كانت خالة الايمبراطور كان يدافع عنها اتم الدافعة
بجعل هنري يهرب البابا نارة بالايعاد والتخويف وكان بالطبع ميوباً
خوفاً وتارة يريه بالوعد والتسوية فافهم انه سيرفع قدر عائلته وقدره
بوعده بعد ذلك بمدة قليلة فلهذه الاسباب نسي البابا كليمان مصالح الملك
هنري ولم يرا الاستفهام اغراض الايمبراطور حتى ترعب على ذلك تعريض مصلحة
الدين الروماني للاخطار والدمار حيث فعل ما يوجب اتصال ملك انكلترا

سنة ١٥٢٩ .

عن حزب كنيسة رومة وخروجه عن تبعيتها هكت البابا حولين كاملين وهو يساعل هنري ويلاهيه بالجهادات والتدقيقات التي كان ديوان رومة يتقها ويحسن استعمالها اذا اراد تطويل قضية او افسادها وعدم تضييعها وبعد ان سلك سبيل الخداع والسياسة العويصة المشكلة التي تعسر حلها وتوجيهها على مؤرخي الامم الذين تصدوا لهذا الغرض سلب القضية الذين كان قضااتهم للتكم في هذا الدعوى ما كان اعطاء ملهم من التفويض في حلها والقضاء فيها وجعل ذلك منوطا بديوان رومة فعلم الملك هنري ان الامر قد صار منوطا بالبابا نفسه ولايم الطلاق الا بحكمه وحيث كان البابا انذاك متصدا بالامبراطور كل الاتحاد لانه كان فعل معه مما يوجب المودة والمحبة ما يزيد عن الحديث الملك هنري وايقن انه لا يحكم الا بما عليه عليه الامبراطور وان حكمه لا يكون الا من لسان الامبراطور ولكن كان يرى ان عدوه من هذا الغرض بعد اشتباره بما يرى بعرضه ففهم على سلوك طرق اخرى في تضييعه على اى وجه كان لاسيما وكان مشغوقا بحب الاميرة اندوبولان فرأى انه لا بد له من التصيب الى الملك فرئيس واستعطافه حتى يتمكن ان يقاوم بطش الامبراطور ووصلته فلذا لم يله على كونه تخلى في مشاركة كبريه عن كفاؤا متعاهدين معه بل اهدى له مبلغا جسيما على سبيل المحبة والصداقة ليستعين به على فداء اولاده وأقاربه من يد الامبراطور

وقد نزل الامبراطور ببلاد ايطاليا في محفل عظيم من امراء اسبانيا ومعه طائفة كبيرة من العساكر والجنود وكان قد فوض امر حكومة اسبانيا منذ غيبته الى الامبراطور جيه ايرابيل وكان لغول مكته في تلك المملكة قد تمكن من معرفة طباع الشعب اتيول وعرف كيف يحكمهم باصول وقوانين ملائمة لعقولهم وطباعهم بل كان يسلك في بعض الأحيان طرقا مألوفة للعامة وكان يجالس الناس حتى واجهته الله الاسبانية بتامهما وقبل ارتحاله الى بلاد ايطاليا بأيام فعل امر اغريسايدل على انه كان يود

مطلبة
نزل الامبراطور في
ايطاليا من شهر آب

محبب الله اليه وسعى فيما يسر ما هو اه كان قد دخل في محفل عظيم بمدينة
برسلونة وكان اهلها لا يدرون هل الايق أن يتقوه بقب الايمراطور او بقب
القوسنة و برسلونة فله تشرلكان القب الثاني مظمرا أن هذا القب
القديم أكثر شرفا له من التاج الايمراطوري فحصل لهم بذلك مزيد السرور
وتلقوه مع غاية الفرح والابتهاج وباهته مشورة وكلاء اعظم برسلونة على
الاتياد والطاعة لانه فيليس بوصف كونه وارث قوتية برسلونة
وباعه بمثل ذلك سائر عائل اسبانيا

وكان نزول الإمبراطور ييلاد ايطاليا مع ابهة الفائقين واعضاء الفصاليين
واحتفال الظافرين فكان رسل ملوك هذه البلاد يذهبون وراءه اينما توجه
و ينتظرون ما يخص به عليهم واقل بيلة نزلها من بلاد ايطاليا هي جنورية
فتلقى في سامع الفرح التام والتبليد العام حيث كان حاضرا حتى حزنهوا واتفق
الامير دودية بعدة علامات من علامات الشرف واقم على جمهورية
جنورية. يزايا وخصوصيات جديدة وبعد ذلك توجه الى مدينة بولونيا
ليقابل البابا فدخل بهذه المدينة باحتفال عام يليق بمقام الإمبراطرة ومع هذه
الايهة انظر الى التواضع والخضوع للكنيسة كاحادتها بها وذلك انه وان كان
معه عشرون الفا يكتفهم أن يغلب على بلاد ايطاليا خنز ساجدا أمام البابا
وقبل اقدامه مع انه قبل ذلك باسهر خلائل كان اسيرا هذه وكان اهل ايطاليا
لما حصل لهم من الاساءة والاذى من عساكره يصعدون له مثل ملوك
الهنود و القوطيين المهجرين حيث انهم لم يضر ولا يلاذهم اكثر مما اضر
بها عساكره فحصل لهم غاية التمجيد حين رآه لطيفا مألوفاً ذاتباشة وفخر
لطيف الاطوار حسن الخلق متواضعا للكنيسة ومحبا لظاهلي حفظ دعائم الدين
وشعاره وازداد تعجبهم حين اصطحبوا الامراء واولادهم وانظر في هذا الشأن من
العدالة والانصاف والملاطفة وعدم الغرض من مالي يكن يؤمل فيه حيث كانت
تلك الدول اذ النهم يقطعه ولو شاع لم تلتك بها .

وحين سافر يشرلكان من بلاد اسبانيا لم يكن في نيته أن يفعل هذا الاشياء

في • تشرين الثاني

مطلبي
ملاطفة الإمبراطور
واسبانيا

سنة ١٥٢٩

١٣ من شهر ايلول

١٦ من شهر تشرين الاول

الجبية التي لا تشاء الا عن كل نفس منزوعة عن الطمع بل كان يظهر منه انه معتم
على اعتماد كل فائدة والتقاط كل ثمرة تيسرت له بسبب ما قبله في ايطاليا
من الطغرى والنصرة ولكن ظهر له عذبة مقتضيات حتمته على العدول عما كان
مصمما عليه وذلك ان السلطان سليمان كان قد انتقل من بلاد الحيار الى بلاد
الاستراسيا ووضع الحصار امام مدينة سنج ومعه جيش يبلغ عدده
مائة وخمسين الفا فرأى الايمرطور انه يجب عليه ان يجمع قواه وعساكره
حتى يقدر على مقاومة جيوش الاسلام التي كانت كسيل العرم لا يمكن
رده ولا تقويه ثم ان السلطان سليمان نسيان وزيره وشجاعة الالمانيين
وحزم الامير فرديند كانت تلجئه الضرورة الى رفع الحصار والعدول عن
مشروعه على وجه يزدى بشهرته وبضرب مصالحه ومع ذلك كان حضور
الايمرطور يبلاد الملبيا مما لا بد منه لاجل ازالة التعكرات التي كانت
حاصلة فيها بسبب المجادلات والمنازعات الدينية * وكل اهل فلورنسة
لم يرضوا باجادة دوميديس حسيما تعهد به الايمرطور في خشارطة
برساوئة فتأهبوا لان يدافعوا عن حوزتهم بالسلاح وكان قد جهز مواد كثيرة
لسفروه وبذل فيها مصاريف زائدة عن حد العادة وكانت مصالحه اذ ذلك
جسيمة وايراداته قليلة فاضطر الى تضيق دائرة مشروعاته الواسعة التي كان
عازما عليها وترك جليب مصالح محققة مجزوم بها لدره مفاسد لا يمكن
لجنتها وان كانت بعيدة فلهذه الاستباب رأى الايمرطور انه يجب عليه
اطهار الملاطقة وعدم الطمع وقد احسن تدبير هذا الامر فاذن للامير
سفرورس ان يحضر بين يديه وعفا عنه واغضى عما فرط منه وجعله ساعيا على
دوقية ميلان وزوجه بنت اخته اعنى بنت ملك دافيارقة ورضي
بان ترد الى دوق قرارة مسترا الاراضى التي كانت سلبت منه وانهى المنازعات
التي كانت حاصلة بين هذا الدوق والبابا وسلك في ذلك سبيل العدل والانصاف
وان لم يرس البابا بذلك واصطلح ايضا مع اهل البنادقة على ان يردوا سائر
ما تقبلوا عليه في الحرب الاخير من مملكة نابلي وبلاد البلباو في مقابلة هذه

سنة ١٥٢٩

الأخصامات الجزيلة طلب مبالغ جسيمة من سائر الدول التي تشاورها معها حيث قد خضعت تلك المبالغ بدون توقف ولا مهلة فامكنه بذلك أن يسافر إلى بلاد ألمانيا مع الأبهة والاحتفال اللائق مقامه

سنة ١٥٣٤

مطلب

تصيب عائلة ميديس
ثانياً في فلورنسة

وبهذه المشاورات تم الصلح لبلاد إيطاليا بعد حرب طويلة كان معظم مشقة عليها وانتشرت تلك المشاورات في احتفال عام بمدينة بولونيا في أول يوم من سنته ودخل بها على كافة الناس القرح والسرور وشكروا فضل الإمبراطور وأثنوا عليه الثناء الجليل في تطير كرمه وحله حيث أتم عليهم بالصلح الذي كان أقصى مرامهم وغاية بغيته منذ مدة مدينة ما عدا أهل فلورنسة فانهم لم يقاسموها غيرهم في تلك المصير لانهم لغيتهم على حرمتهم كانوا لا يتصرفون في العواقب فصمموا على مناقضة الإمبراطور فيصيب عائلة ميديس ثانياً في بلادهم فوجه الإمبراطور جيشه اليهم ووضع الحصار امام مخيم قضي عنهم احرابهم وحلفاءهم وصاروا لا يتطرون اعانة من احد ومع ذلك مكثوا عدة قاسمهم وهم يدافعون عن انفسهم ويقاومون اعداءهم حتى المقاومة ثم سلوا على شروط املوا بها بقاء بعض آثار من حرمتهم ولكن كان الإمبراطور نصعباً لبا با وطهر لعاقلته التي هي عائلة ميديس نجيب آمالهم ومحاصرة حكومتهم القديمة وقلد اسكندر ميديس بالشوكة المطلقة التي كانت نائمة لعاقلته الى ذلك الوقت في بلاد فلورنسة

وقتل في المحاصرة سر عسكر الإمبراطور وهو امير دورنجة وكان اخيه فيليب دوشالون وبجوه اسلمت املاكه والقباه الى اخته فلود دوشالون التي تزوجها الامير رينه قوته لمحو وانت منه باولاد قتلوا لقب امير دورنجة الى عائلته فصار لهذا القرب من ذلك الوقت شهرة عظيمة

مطلب

حالة المصالح المدنية
والدينية في بلاد ألمانيا
في ٢٤ و ٢٥ من شهر
أبسط

وبعد اشهار الصلح في بولونيا وتقيب الإمبراطور في حفل عام عظيم ملكاً على اللندرية وإمبراطور الرومانيين لم يبق ذاع الإمبراطور بحمله على المكث يلاذ إيطاليا فزعج على السفر الى بلاد ألمانيا لانه حضوره بها كان لازماً ضرورياً ذلك ان النصارى القائلين و احراب المذهب الجديد (مذهب

لوتير) كانوا يلحون عليه كل الإصلاح ويدعونه الى الحضور لديهم وكان قد احسن
لاخراجه المذهب الجديد أن يشره ويوسعوا دأثره مدة غيبة الامبراطور
ونزاعه مع البابا وحررهم مع تلكه فرانسوا لانهم كانوا في تلك المدة الطويلة
لا يجدون من يعارضهم ويعبر عليهم حتى ان اغلب الأمراء الذين اتبعوا
مذهب لوتير لم يكتفوا بإدخال العبادة والديانة الجديدة في بلادهم بل هجروا
مسموم الكنيسة الرومانية وابطلوا بالكلية ونسج على منوالهم عدي من المدائن
الحررة حتى شوهه أن نصف الجمعية الجرمانية قد انفصل بالكلية عن
الكنيسة وفي البلاد التي لم تخرج عن طاعة الكنيسة كانت شوكة البابا
قد ضعف وتناقص وضاع احترام من تلوياها وذلك اما لكونهم اقتدوا
بما حصل من غيرهم في الدول المجاورة لهم اولان الذين الجديد كان قد نشأ
في بلادهم سر او اخذ بهم اساس الدين القديم خفية * ومع أن الامبراطور
كان فرحاً بتلك الحوادث لانها كانت تشغل البابا وتوقعه في الارتباك الممتدة
مستجربة وحربه معه رأى أن عاقبتها تضرب بالشوكة الامبراطورية وذلك
انه لضعف سلفه من الامبراطورة كان قد تقبلسر على اتباعهم بالانسيات على
حقوقهم ومن اياهم حتى ان شريكاً كان مدة حربه الطويل الصعب لم يأت له
من بلاد المانيا امداد يعتمد عليه ولم يجد في المنصب الامبراطوري الاجزء
إدعأت قديمة والقرب لأجدوى لها الا لاجبة والقصور فرأى انه ان لم يثبت
لنفسه بعض الزايا والنصوصيات التي ملكت سابقاً من التاج الامبراطوري
لضعف اربابه من الامبراطورة السابقين وفي مقابر رئيس الامبراطورية من غير
أن يكون له الصولة اللازمة لهذا المنصب العظيم اوقعه هذا المنصب
في عاصم عظيمة ومشروعات حسنة لا يستطيع تمييزها * ورأى أن اشد
الاشياء ملوثة حتى يدرك هذا الفرض هو أن يبادر بإزاة تلك المذاهب الجديدة
لانه ربما ترتب عليها بين اخزاء الامبراطورية عصبة مهولة قوية الانساب
بحيث لا يمكن تقضها وراى أيضاً أن أكثر الاشياء صلاحية لتنفيذ هذا
الفرض هو أن يدافع عن الدين القديم لانه هو حامي حماه بالطبع وذلك يكسب

سنة ١٥٣٠

مطلب

مشورة الديانة المنعقدة

بمدينة سيرة في ١٥ امن

شهر اذار سنة ١٥٢٩

شركته الداخلية ما يرجوه من العظم والقوة
 فبنا على ذلك امرهم بدموعه في الصلح مع البيا ان تقدم مشورة الديانة
 الايمان طورية فمدينة سيرة لتتناكم في امر الدين وما كان عليه
 اذ ذلك وكانت مشورة الديانة التي افعلت سنة ١٥٢٩ قد اباحت
 مذهب لوتير فنضب من ذلك سائر انصارى وان كان المذهبهم بغير ذلك
 في شأن هذا المذهب واحراه بما يستلزم مزيد الحزم والاحتراس حيث كانت
 القول اذ ذلك في اضطراب عظيم بسبب المجادلات الدينية التي كانت موجودة
 منذ اثني عشر سنة وهي لا تخمد نيرانها ولا تقترأ احد من الفريقين المجادلين
 همة في شأنها فكانت وقتئذ قد بلغت غاية الشدة والحمة وكان الناس قد عظمت
 جسامتهم وتعودوا على اتباع البدع بسبب ما شاهدوه من الفجاح في عدة
 مشروعات تعبدت في عصرهم فكانت الاهالي قد باطلت العبادة القديمة
 وبطلت عبادة جديدة وازداد بعضهم للعبادة القديمة بسبب محبتهم للعبادة
 التي تمسكوا بها وكان من داب لوتير أنه لا يضر من مقاومة اعداءه ولا من طول
 عنادهم بل كان يستعمل كل صعب ليفوز بالمرام ولا يزال يصحى العدو وبسبب
 الانتقام لا تقوله همة ولا تقوته الموانع وان كانت جمة وكان معظم
 اصحابه مثله حمية وعزم ما به بل كان بعضهم يفضلوه معرفة وحزما على ان يكونوا دونه
 في الاقتدار على ادامة الجدل بل قاموا له وال هذا الخيال وهذا كان عدة
 من اللائيك بل وبعض الامر الالباسرهم لهذه المجادلات قد تعودوا
 على المناقشة في ابراهيم الفريقين حتى كان يرجع الاختلاف اليهم في الحكم
 فوقروا بذلك على حقائق المسائل المختلف فيها وادركهم أن يتأهوها
 ويتعقبوها واحسنوا الحلول في ميدان المشكلات التي لا تكون لاسيكية
 والمعضلات التبولوجيكية ولا يشك أنه مع وجود تلك المقتضيات لو حكمت
 الديانة في شأن مذهب لوتير فاحرله بغير ما يفتق لنفر الناس من بعضهم
 ولعلتهم بينهم حتى ربما اضرت نيرانهم بدني ينگاد المايا فن تم اقتصر
 الارشادوق وغيره من رسل الايمان بطور على أن طلبوا من مشورة الديانة

سنة ١٥٣٠

أن تأمر دول الإمبراطورية التي كانت في ذلك الوقت تعمل بمقتضى الأمر
بمخالفة لوثير الصادر من مشورة الديانة المتخذة في مدينة ورمس
سنة ١٥٢٤ لا بالاستمرار على العمل بمقتضى هذا الأمر وأن تأمر الدول
الأخرى بأنها من الآن فصاعدا لا تتحدث شيئا في الدين ولا تهين القديس
أي الصلاة قبل اتقاد مشورة قسيسية عامة للمذكرة في هذا الشأن فبعد
منازعات كثيرة اتفرج جمهور الديانة هذا الأمر وحكموا بإجرائه
فناقض في هذا الأمر منتخب بيسكس وملتزم برنبرورغ وحاكم
هيسه و دوقات لونبورغ و أمير انهالت و رسل المانتز الحرة و الإمبراطورية
و كانت أربع عشرة (وهي مدينة استراسبورغ ومدينة فورمبرغ
ومدينة اولم ومدينة فولستس ومدينة روتلان ومدينة
ندسهيم و مينونجان و ولادو و كلتان و هلبرون و واسنه ومدينة
ويسبورغ و بورولفان و مستعالة) واطهر واجبعوا مخالفة وصمموها
عليها قائلين ان هذا الأمر محض اعتساف خارج عن العدل والإنصاف
واعتزلوا غيرهم فسموا بالبروتستانتية أي المعتزلة وقد اشتهرت هذه التسمية فيما بعد
وصارت من شعار الشرف حين صار هذا اللقب يطلق على كل من انفصل
عن دين الكنيسة الرومانية وتابع غير مذهبها ولم يقتصر المعتزلة على ذلك
بل بعثوا رسلهم إلى بلاد إيطاليا ليضعوا أشكواهم إلى الإمبراطور
فلم يحسن ملاحظتهم واطهر لهم من عدم الاعتناء ما كثر خوارهم وقربت به
همهم حيث كان مع البابا وقتئذ على غاية من الاتحاد والاتسام فكان
لا يبعث إلا عاصم إلى البابا إليه حتى يعينه في مصالحه وقد وقعت بينهما
المذاكرات متعددة فاعتنوا معا بمدينة بولونيا بإيطاليا في شأن ما يكون به معالجة
الاعتزال واستئصال هذا الله الفصال من بلاد المانيا * ومن المعلوم
أن البابا كانوا يخشون باطن الجمعيات القسيسية العامة فلذا كانوا يتحكون
عنهم ما يمكن ويحاذرون انعقادها لكان البابا كليمن خوفا ضعيفا
بالطبع فكان أشدهم خشية منها فمجرد جماعه لطلب انعقادها ارتعدت

مطلب

مناقضة اتباع لوثير لهذا

الأمر في ١٩ من شهر

نيسان

فرأى أنه امتلا فزاعوا وصار يسدى للإمبراطور جميع ما تسؤله له نفسه
في منعه عن الإقدام على هذا الغرض فوصفه تلك الجشعات بأنها ليست
الامتناع العصب والفتن وإنما وحشية لا يستطيع أحد أن يسوها وإنما متجاوزة
الحذف في الصبر والعز واليهم املتعون بعضهم غاية الالتئام فيضئ منها
على شوكة الملوك ولها ذات بطى في أمورهما فلا تسعف بدواء هذا الداء الذي
يلزم الإبراع بمعالجته وقال له ان التجربة قد افادتنا أن الحلم لا يزيح المبتدعين
بل قوى قلوبهم فليزمن أن يسلك معهم مسلك الجهل والجبر حتى يسلم الدين
من الخطر الذي هو عرضة له وأن يشدد في اجراء حكم الحرمان والطراد الصادر
من البابا ليون العاشر واجراء الامر الصادر من مشورة الديتة
المنقذة بمدينة ورمس وقال ان ذلك من واجبات الإمبراطور فيصق عليه
أن يوجه مولته التافذة لقمع العصاة الذين هتكوا حرمة الشوكه القسيسية
والشوكه الملوكة ولكن كانت ما آرب الإمبراطور غير ما رب البابا فكان يرى
أن الداء قد نتج من وصار عضالا فلم يستحسن الاكونه يسلك مسلك الرفق
واللين في رد المعتزلة عن اشداعهم وعضادهم الخافقة للدين ورأى أن انقضاء
مشورة قسيسية عامة من الوسايط الصالحة لبوغ مرأه غير أنه وعد البابا
بأنه ان لم ينفع ساوله طريق الرفق والملاطفة يسلك مسلك القسر والجبر ويقمع
بشديد بطشه ويأسه كل عدوانتي غير الدين ما لقاؤلى

ثم سافر الإمبراطور من إيطاليا الى بلاد ألمانيا مصرا على ذلك بعد
أن عين مدينة او كسبورغ لانقضاء مشورة الديتة وفي أثناء سفره تحقق
من آراء أهل ألمانيا في شأن المسائل الخلافية بين المعتزلة وكثيرة هومة
ظهره أن عقائد المعتزلة قد الطبع في عقول الناس وعكستهم قلوبهم بحيث
لا يسوغ له بأى وجه كان أن يسلك معهم مسلك الجبر والقوة الا بعد ساوله
طرق اللين والملاطفة حتى رأس ثم دخل مدينة او كسبورغ في احتفال
عظيم وابهة عجيبة فوجد بها مشورة الديتة متعقدة وهى لهيبة اربابها
وجلالة قدرهم وكثرة نفوذهم في ابهة وروث يعادل اهمية المصالح التي هى متعقدة

لما حضره الموت في شأنها وكان لهم مقصد آخر يقصد هاهو ز ياد تروني احتلال
الايبراطور حيث أنه بعد غيبته مدة تمسك به عن بلاد ألمانيا ورجع اليها
يرقل في ثياب السعادة والخير والسيادة وور يما قيل ان حضورا لايبراطور لديهم
انزل السكينة في قلوب الناس حين حتى صاروا مستعدين للصلح واجبال النزاع
فلم يأذن منتخب سكس الى لوتير أن يصعبه في الحضور الى تلك المسورة
خوفا من غضب الايبراطور اذا رآه لانه كان محكوما عليه بالخروج من طرف
السياو كان ميا في القتل والشقاق الذي كان حاصلا اذ ذلك في الايبراطورية
وغيرها * وقد حصل ايضا أن سائر الامراء المعترلة اجابة لامر الايبراطور منعوا
علمه اللاهوت أن يظلو الملا بأشباع الدين الجديد مادام الايبراطور يدينه
او كسبورغ * ولهذا السبب اتضوا من بينهم الشهير ميلفتون واطاوه
بان يحترصون عقائدهم الدينية على وجه حسن ويغرمها في قالب مستحسن
حسب الامكان حتى لا تغيظ القائلين اي التمسكين بدين الكنيسة الرومانية
وشترطوا عليه أن لا يكتم الحق وانما خصوه بذلك لانه مع فوقانه عليهم في العلم
كان احسنهم خلقا واكثرهم سكينة حتى انه في تأليفه الجديدة كان لا يتعدى
حدود الادب فتقل بهذا الغرض الملايم لطبعه ووفى به حق التوفية فخر
تلك الصورة المسماة بعقائد او كسبورغ لانها عرضت على مشورة
الديانة بهذه الديانة وقررت امام اوليها فانيط بعض علماء اللاهوت
القائلين بالبحث فيها فوكت المناقشة بين الفريقين ولشئت الجدال بينهم
وبين ميلفتون وبعض علماء من اصحابه وبعد المناقشات الطويلة
والجدالات رضى ميلفتون أن يثذب بهض مواد من هذه الصورة وأن
يساهل في بعض مسائل أخرى واولها كلها بتا ويل لا تغيظ القائلين
وبذل الايبراطور جميع جهده في الاصلاح بين الفريقين ومع ذلك ظهر
أن الاسباب الموجبة للقتل والشقاق بين الدينين ما زالت قوية أكيدة بحيث
لا يرجى تأليفين طوب الحزبين
فلما رأى الايبراطور أنه لا يمكنه انجام وجه تطابه الى الامراء

منا
عقائد او كسبورغ

هنة ١٥٣٠

الذين كانوا يذعنون عنهم وكان هؤلاء الامراء يرغبون في اصلاح بين
الفرسين خصوصا لاجل رضا الإمبراطور حيث كان ذلك مرغوبه ومع ذلك
وجد الإمبراطور أن هؤلاء الامراء يمكنون من مقاديرهم ونياباتهم كالعالماء
فلا يمكن قهرهم عليها وكانت العقول اذالت في شأن الدين مضطربا مضطرا
بحيث لا يستطاع تصوره في ذلك العصر وذلك لان شغف الناس بحرفة
الحقيقة وبالخرقة تناقص ولم يبق على صورته الاولى فكانت الحمية اذذاك
عظيمة جدا بحيث كانت تظهر على المصالح السياسية التي هي عادة مطمح نظر
الامراء والملوك كيف لا ومتنصب سكران وحاكم هيسه وغيرهما من
رؤساء المعتزلة اوجيعا أن يتركوا تصدعات الحياة الدنيا ما هو عندهم عين
الحقيقة والصواب ويعتدونه من حقوق الملك الوهاب وتظهروا في ذلك همة
عجيبة جديدة بأن تكون اسوة يقتدى بها الجميع مع ترجي الإمبراطور لكل
واحد منهم على حدته واستمالتهم بالمواهب وترغيبهم بمصالح سياسية كانوا
يرغبون في طلبها كل الرغبة

فلما وجد الإمبراطور أنه لا سبيل الى استعطاف المعتزلة اواقاع الشقاق بينهم
بالرفق واللين رأى أنه لم يبق انك وسيلة الا أن يسلك معهم مسلك الباس والقوة
ليمنعهم من دين الكنييسة الرومانية وبعض مذاهبها هذا وكان كنييسة
نائب البابا يرميهم من اللاعبراطور على أن غير القوة لا يتفق مع هؤلاء الرافضة
المعاند ينقض مشورة الديانة الى الحاسه وابعاده وصدر منها فرمان
بختلة اغلب مذاهب المعتزلة والتي عن محاماة من يعظيها ويدعو الناس
اليها وبالزام الناس بالتسلك بالدين القديم والتخلي عن الدين المبتدع وكل
من خالف ذلك عوقب بعقوبات شديدة مينة هناك وكان يجب على كل انسان
من ارباب المشاور والمناصب أن يذلل نفسه لما له من على اجراما في هذا
القرن وتشيده وكل من لا يعمل بمقتضاء يحكم عليه بأنه لا يصلح لتصب
القضاء او المشورة الإمبراطورية التي كانت اذذاك اهلى دواوين الإمبراطورية
المانية وذكر في هذا فرمان أن البابا بعد ستة اشهر بجميع مشورة قيسية

مطلب

الفرمان الصعب الصادر

في حق المعتزلة

٩ من شهر تشرين

الثاني

سنة ١٥٣٠

مطلب

عصبة المعتزلة المتحددة

بمدينة سمال كالد

عامة لتثبت امر المشاجرة في الدين

فان ذلك المعتزلة من هذا الفرمان الصعب التفرع والخوف وعدوه فائحة لاسامتهم
واضرارهم اشد الضرر وايقتوا أن الايمراطور قد صمهم على تدميرهم فلما صارت
احزاب المعتزلة عرضة للاهوال والاختطارات قربت همة العالم ميلحتون
لاسيما كان ضعيف العزم بالطبع وتلاشت قوته واضمحلت عزيمته حتى كان
مشروعهم صايريو سامته لا يرجي له نجاح ولا فلاح واخذت تأييد ويتندم
الآن لوثير مدة قاعد مشورة الديانة كان لم يرل بعض حربه ويقوى
عزمه بعدة تأليف ادعائها بين الناس ولم يحصل له ادنى فزع من صدور الفرمان
السابق فتوى ثابا عزم ميلحتون وبعض افراد آخرين من اصحابه كانوا
ايضا قد قربت همهم وارتفعت فرائضهم وحرض الامر اعلى أن لا يملوا
مذاهب المعتزلة التي هي عين الحقيقة والصواب لئلا يلين ذلك بهم بعد أن مكثوا
مدة وهم يذافعون عنهم التبات والعزم الجدير بالمدح والثناء فانزعهم فعيم
تأثيرا غليظا وغلب ذلك على ما طفقهم في اتناء هذه المدة من أن الامر القانوليقيين
قد تعصبوا وتحزبوا مع بعضهم لبعضوا الدين القديم وأن الايمراطور من جهة
ارباب هذه العصبة فرأوا أنه يجب عليهم أن يحترسوا كل الاحتراس ليكونوا
في أمن من اخصامهم ورأوا أن كلام من انهم ونجاح قضيتهم موقوف على
التسامهم واتحادهم مع بعضهم ولما كانوا يخشون بأس عصبة القانوليقيين
وكافوا مصممين على ما استحسنوا سلوكه في هذا المعنى اجتمعوا بمدينة سمال كالد
وعقدوا بها عصبة للدفاع من يتعدى عليهم وصارت جميع الممالك
المعتزلة في الايمراطورية بموجب هذه العصبة حزبا واحدا واتحدت مع بعضها
كل الاتحاد وعزمها على أن يكتبوا الى ملكي فرنسا وانكلترا ليستعينوا
بهما ويدعوهما الى تعضيد عصبتهم الجديدة

وقد حصلت حادثة لاختص الدين في شيء فتعلقوا بها في الاستعانة بملوك
الاجانب وتلك الحادثة هي أن الايمراطور شرلكا لهما كان طمعه يزيد
بزيادة عظيمة وشوكة اراد أن يجعل التاج الايمراطوري وراثيا في عائلته

مطلب

مرض الايمراطور أن

يجعل اخاه ملكا على

لرومانين

سنة ١٥٢٠

فجئ في جعل أخيه فرديند ملكا على الرومانيين وكانت مقتضيات
الأحوال آنذا لمساعدة على تعيين هذا الفرض وذلك أن النصر دائما كان
سليفا لسلطته فانه في الصلح الأخير صار له صولة عظيمة على سائر بلاد الأفرنج
حتى لم يبق له فيها من يقاومه أو يعطل فبجلا سلطته فكانت له هيبة عظيمة
عند الأماة المنضين بسبب نجاحه وقصرته وازداد شوكرته وصولته فكانوا
لا يستطيعون الأقدام على مخالفة هذا الملك الذي كان له تماسه للشيء الزامه
على أنه كان يبدى أسبا بمقبولة اعانته على بلوغ مرامه فكان يفيد أن مصالح
ملكه الأخرى توجب غيخته في أغلب الأوقات عن بلاد ألمانيا وأنه يجب
أن يكون فيها على الدوام ملك ذو حزم وتدبير ليزيل ما بها من الاختلال
الناتج عن المشاجرات الدينية ويكون بمكان من التبعية وعنده من العساكر
ما نصير به الإمبراطورية آمنة من الدولة العثمانية التي هي قريبة منها ويضحي
من اغارة جيوشها عليها في كل وقت حيث لا تدخل في ملكه الاوتققرها
وتحتجز بها وكان أخوه فرديند جامعا لتلك الصفات لا يفرقه فيها غيره
وكان لطول ملكته ببلاد ألمانيا قد وقع على حقيقة أحوالها وتمكن
من طباع أهلها وأخلاقهم وكان قد عاين منشأ المشاجرات الدينية وزاولها
من مبدئها فكان أعلم من غيره بدوائها وأدري بأسهل الطرق في علاجها وبالجملة
فكانت دوله متصلة بضواحي الدولة العثمانية فهو الأخرى بمدافعة جيوش
تلك الدولة عن بلاد ألمانيا فاذا جعل ملكا على الرومانيين واقت مصلحتهم
ما يجب عليه من معارضة جيوش الاسلام اذا ارادوا الاغارة على عمالكت
النصارى

سنة ١٥٣١

مطلب

معارضة المعتزلة في جعله

ملكاً على الرومانيين

ولكن المعتزلة لم يقبلوا هذا الماسباب لانهم عرفوا بالتعبه أنه لم يساعدهم على
نشر مذهبهم الا لفترة التي مضت بعد موت الإمبراطور مكسيمليان وطول
غيبه شرلكان عن الإمبراطورية والتراخي في تدبير مصالحها بسبب
هذين الأمرين فكان لهم مصلحة عظيمة في الفترة وحشون أن يولى عليهم ملك
عقب الملك الأول بلا تراخ وادركوا مطامع شرلكان في هذا المعنى وعرفوا

سنة ١٥٣١

٥ من شهر كانون الثاني

مطلبه

انتخاب فرديند و توليه

مطلبه

مداولات المعتزلة مع

ملكه فرنسا

١٩ من شهر شباط

ان قصيده هو ان يجعل التاج الايمراطوري وراثيا في عائلته وان يصير له
في الايمراطورية شوكه مطلقه لم تثبت لغيره من ايمراطره المانيا مع السهولة
فصمموا على ان يعارضوا كل المعارضة في تولية فرديند حتى يقتدى بهم
ابناء وطنهم ولا يرضون بهذا الامر الذي يضرهم جميعا فابى الامير منتخب
سكس ان يحضر مشورة المنتخبين التي سمعها الايمراطور بمدينة كولونيا
بل ارسل ابنه البكرى وامر ان يناقض في انتخاب فرديند ويدي
ان ذلك يخالف للقوانين والرسوم والسنود المذكورة في فرمان الذهب حيث
اقموا الى ازالة حرمه الايمراطورية ولكن كان الايمراطور قد استمال بقية
المنتخبين وان كان ذلك مع المنفعة والصعوبة التامة فترجعا وابعدهم حضور
منتخب سكس ولم يفتشوا الى مناقضة ابنه بل جعلوا فرديند ملكا
على الرومانيين وليس التاج بعد ذلك يابا في مدينة اكيلاشيللا

وكان المعتزلة قد اجتمعوا ثانيا بمدينة سمالكاد فبلغهم خبر هذا الانتخاب
وبلغهم ايضا ان الديوان الايمراطوري شرع في تدبير امور سياسية في شأن
اصولهم وعقائدهم الزائفة فراوا انه يلزمهم تجديد عهد عصمتهم الاولى
وتأكيدها وان يعثروا رسلهم الى ملكتي فرنسا وانكلترة ليكونا
في حزمهم وكان الملك فرنسيس قد قامت به غيرة عظيمة من الشهرة التي
اكتسبها الايمراطور بعوده الذي تباهى به في الاصلاح بين دول
ايطاليا كما تقدم وحصل له ايضا عطف عظيم حين بلغه تولية اخيه ملكا
على الرومانيين وازداد تقديره وقلقه من نجاح الايمراطور في هذا الامر الذي به
يدوم حكمه ببلاد المانيا ويعظم بطشه وبأسه لكنه رأى من عدم الصواب
ان يوقع ميثاقه في حجب جديد مع ضعف قواها في الحروب السابقة وفتور همتها
في وقائع عديدة لاسباب اشروع في الحرب قبل ان تجمع قواها ونفسها ما حصل
لها من الحسرة وما حل بها من المصائب والاهوال فمن جهة اخرى كان
لا يمكنه تقصص مشاركة الصلح التي كان قد طلبها بنفسه من الايمراطور
ورأى انه بذلك يكون عرضة للسقوط من اعين الناس ويضيع اجترامه واعتباره

في بلاد

• سنة ١٥٣١

في بلاد اوروبا ويشتهر بانه لا يشرفه ولا عرضته وانما انشرح صدره
حين رأى في بلاد اوروبا احرابا قويمة ذات شوكة وصوله تعصب على خنجه
شرلكان فكان يصفي لمن يتشككي اليه من امراء المعتزلة فلم يظهر منه
ما يكون به تأييد مفاهيم الجسيدة ومع ذلك كان يضرم سترانيران القتن
السليسة ليكن بينهم وبين الايمبراطور اسباب التقام والشقاق فارسل لهذا
الغرض الى بلاد المانيا الشهير غليوم دويلي وكان من امهر ارباب
المدالات والمديرين في مملكة فرانسا فذهب الى دواوين الامراء المعتاضين
من الايمبراطور وداهم حتى ازداد غيظهم من شرلكان وعقد معهم
معاهدة باسم سيده الملك فرنسيس ومكنت هذه المعاهدة خفية لم يترتب
عليها غمرة في ذلك الوقت الاتهام كانت سببا في الارتباط والاتحاد الذي حصل
بين ملك فرانسا وهؤلاء الامراء وكان في الغالب خطرا على الايمبراطور
حيث علم به امراء المانيا المعتاضون الجهة التي يجدون بها نصيرا قوي
الشوكة والبطش يستغيثون به من الايمبراطور عند الضرورة والحاجة •
وكان ملك انكلترة في غيظ عظيم من الايمبراطور شرلكان لانه كان يعلم
أن البابا انما اخرج الحكم بطلاق زوجته ومكنت مدة طويلة وهو يداهنه ثم رده
بالكلية وعارضه في صحة الطلاق لكون الايمبراطور اغراء على ذلك فكان
مستعدا لان يعضد تلك العصبة التي كان من الممكن أن تصير في العواقب
مهولة على الايمبراطور غير أن طلاق زوجته كان اجل مقاصده يومئذ فكان
ملتفتا اليه فاطعنا نظره مما عاده وزيادة على ذلك كان مشغولا بازالة ما كان
للپاپا في مملكة انكلترة من قوذا الكلمة فلم يكن في وسعه أن يلتفت الى
الامور الاجنبية اى الى المعامل التي تكون خارج مملكته فاقصر على
وعدا امراء المانيا بمواعيد مجمل وانما املا امر المجتهدين بعدينة سمالكلام
ببلغ يسير من الاموال

مطلب

مدافعة المعتزلة مع ملك

انكلترة

مطلب

مدافعة شرلكان للمعتزلة

سنة ١٥٣١

وكان يرى أن مراعاته للبريا قد أضلته عن سبيل الصواب والرشاد وأوقعته
 فيما لا يلزم السياسة ومقتضيات الأحوال اذ ذلك وأن مصلحته تقتضي
 أن يوثق بين بلاد ألمانيا حتى تكون جمعية واحدة فتزداد قواها ويحوى
 عزمها الآن وتوقع فيها الشقاق والتفاسم ويضعفها بالفتن والحروب المدنية
 وكان المعتزلة اذ ذلك قد تكاثروا وازدادت حيلتهم وصار يحتمل بأنهم
 لا سيما بعد المعاهدة التي عقدوها مع بعضهم في مدينة سمالكالده بسبب
 خوفهم وفزعهم من الامر الصعب الذي صدر في شأنهم من مشورة المدينة
 المنعقدة بمدينة أوكسبورغ هذا ولا زدياد شوكتهم وكثرة عدد احرابهم
 تقوت قلوبهم ولم يكتفوا بما حكم به ديوان الايبراطور في شأنهم حتى انهم
 لما ظهرت لهم الاعانة من طرف الدول الاجنبية تأهبوا لان يبتكروا حومة
 الايبراطور وان لم يرجع عن ابدانهم وكان صلح الايبراطور مع ملكة فرنسا غير
 متين وكان الايبراطور لا يقول على محبة البابا لانه بالطبع خامل قليل العزم
 ولم يتصلح خصوصية لا يعادل عنها النفع غيره وكان يعلم ايضا أن السلطان
 سليمان كان مشغولا بتجهيز جيش عظيم يدخل به بلاد النمسا ليزيل به
 المعزة التي لحقت به بانضمامه في حربه الاخيرة كما سبق فكل هذه الاسباب لا سيما
 السبب الاخيرة منها حملت الايبراطور على أن يصطليح مع الامراء المقتبطين
 اذ يدون ذلك لا يمكنه تمييز مقاصده في المستقبل ولا يكون في احوال امناعلى
 نفسه فشرع في المداولة مع الامير متعب تسكن واحزابه وكان هؤلاء الامراء
 يغارون من بعضهم كما كانوا مغتاطين من الايبراطور فكنشوا مائة طويلة
 وهم قنفذون في هذا المعنى المتعلق بامر الدين كما هو العادة في مثل ذلك
 لأن امور الدين لا يمكن التناهل فيها كالاغراض السياسية ولكن بعد التوقف
 الكلي والتزاع التام انتهت المداولة وحصل الاتفاق بمدينة فورامبرغ على
 شروط الصلح وأقرت على رؤس الاشهاد بمشورة اللجنة المنعقدة بمدينة
 راتسبون و هذه الشروط هي أن يبقى الامن العام في بلاد ألمانيا حتى
 تجتمع مشورة قيسية عامة تسمى الايبراطور في عقد هاويجهل لذلك ستة اشهر

مطلب

الشروط المنعقدة بين
 الايبراطور والامراء
 المعتزلة في ٢٣ من شهر
 تموز (٣ شهر آجب)

سنة ١٥٣١

وقد لا يحصل لاحد ضرر في شأن الدين وأن تقوم الاحكام التي تصدر من ديوان الاميراطور في شأن المعترضة وأن جميع الاحكام التي صدرت قبل ذلك تكون ايضا موقوفة بدون اجراء حتى تتخذ تلك المشورة هنا من جهة الاميراطور واما المعترضة فالتزموا أن يعينوا بما في وسعهم على طرد جيوش الالهلام * فانظر كيف تمكن للمعترضة بنباتهم والتسامح في تعصيدها لهم ومهارتهم في توريث الاميراطور بمقتضيات الاحوال أن يتالوا وشرطا كادت تكون بالجهة لديهم حيث تساهل لهم الاميراطور في امور كثيرة وهم لم يتساهلوا له في شيء حتى أنه لم يتصاير على أن يلتمس منهم اقرار قولية اخيه ملكا على الرومانيين مع أن هذا الامر كان اهم الامور عنده اذذاك ومن ومتذكار معتزلة اللبثا اولى اعتبارا عظيم ومصارلهم كلفة نافذة كائنهم وجان سياسي خطر مشهور مع أنهم قبل ذلك لم يكونوا الا طائفة معتزلة لا اعتبارا لها

سنة ١٥٣٢

مطلب

الجهاد في بلاد الجار

وبعد ذلك فخلد بلغ الاميراطور شرلكان أن السلطان سليمان دخل بلاد الجار مع جيش جرار يبلغ ثلاثمائة الف رجل فقبل بانها انما كانت مشورة الديانة التي كانت اذذاك متعقدة بديانة وتسيبوة وبين فيها مقدار العاصي والتفوق الذي يجب على كل امير أن يقوم بها لاجل المداخلة عن الاميراطورية وقد بذل المهترضة في هذا الامر غاية وسعهم مكافأة للاميراطور ووفية بشكره والثناء عليه فامدوه بمصارل كثيرة عمل فرضه عليهم وتأسى بهم القائلون فاجتمع تحت اسوار مدينة واية جيش عظيم كل من اكبر واجم الجيوش التي اجتمعت لبلاد اللبثا اذذاك الوقت فانضم اليه طائفة عظيمة من قدماء الحاكرا الاممانيات والابطال التي يعودهم المترم دوعواست وانضم اليه ايضا عتة طوائف من انبياء القبيلة مجموع من مملكة البلاد الواطية وانضم الي ذلك ايضا عساكر اخرى جمعها الملك فرد بكده اخوال الاميراطور من اقليم جه واطليم الاسر وسيا وغيرهما من تعاليم بلاده فبلغ عدده هذا الجيش ثمانين الف رجل من المشاة

حنة ١٥٣٢

شهر أبول وشهر تشرين
الاول

في ١٦ من شهر اب

مطلب

مقابلة الاميراطور البايبا
عند رجوعه الى بلاد
اسبانيا

المنتظمة وثلاثين الف من الزمرسان ومقدارا آخر حسيما من العاصم كرو البحر
المنتظمة وكان هذا الجيش العظيم جدرا بأن يجعل عليه رئيس من اعظم ملوك
التصاري فذلك اراد الاميراطور أن يكون هو الرئيس عليه ومكنت بلاد
اوروبا مشوقة غاية التشوق المعروفة عاقبة هذا الحرب بين هنري الملوكين
الذين هما اعظم ملوك عصرهما ولكن لما كان طالع كل منهما سعيدا وكما
يمكن من الشوك والصولة سلكا مسلك الاحتراس من بعضهم ملوكا كل
منهما يحشى الاحترا حتى ان هذه الغزوة بعد التجهيزات العظيمة والاستعدادات
الجسيمة لم يحصل فيها واقعة تذكر وذلك أن السلطان سليمان لما رأى انه لا يمكنه
التغلب بالاميراطور حيث كان دائما متيقظا محتسبا رجع الى القسطنطينية
في اواخر فصل الخريف ومما ينبغي التنبيه عليه هو أنه في ذلك العصر وان كان
كل من الاميراطور وعسكره وكل ملك قائما لم يقدر الاميراطور عساكره الا هذه
المرة وان كان قبلها قد حارب حروبا طويلة واتصرت نصرات جليلة ومع ذلك
فكفاه فخرا كونه تصدى لمقاومة السلطان سليمان وحاز السوء والفتار
بضاحه في هذا المشروع الخطر

وفي اثناء هذه الغزوة مات منتقب سكين خلفه ابنه الامير حنا فريدريك
وبعد موته لم يحصل ضعف المذهب لوتير بل اتسعت دائرته وحصل له التقدم
والتيكيد وذلك أن ابنه لم يكن دون في الميل الى هذا المذهب والتسليم به فانه
مما خلفه حل محله بين المعتزلة وصار رئيس عصائهم وكان في عنفوان شبابه
يجعل يدافع مع جسارة الشبان وجهتهم عن هذا الدين الجديد الذي كان
آثامه من قبله قد عضده وشيدوا دعاؤه بما اورثته لهم التجربة من الخزم
والتبصر

وكان لاميراطور مشقة الى وية اسبانيا فمجرد رجوع جيوش الاسلام
الى القسطنطينية سافر اليها وجعل طريقه بلاد ايطاليا لانه كان يود
مقابلة البابا فتقابل في مدينة بولونيا واطهر البعضهما من الاحترام
والحبة ما كانا ابدياه في المقابلة الاولى غير أنهما لم يكونا اذ ذاك يا حسن بعضهما

* (المقالة الثامنة) *

* (تاريخ الإمبراطور شيركان) *

٥٤

سنة ٥٣٢ هـ

مطلب
ما حصل من المداولات
في شأن انعقاد مشور
قيسية عامته

كما كان عليه في المرة الاولى بهذا المدينة وذلك أن البابا كليمان كان قد اغتاض
عما سلكه الإمبراطور في المشورة التي انعقدت بمدينة أوكسبورغ فإنه
لم يرضى بقصد مشورة قيسية عامة اضاع بذلك ما كان له عند البابا
من المحبة بسبب فرمان الصهب الذي كان قد صدر منه أولا في حق المعتزة وثم
سبب آخر اغضب البابا أكثر من ذلك وهو أن مشورة المدينة المنعقدة
بمدينة رانسبوتة وخصت للمعتزة في مذاهبهم وأن الإمبراطور اقرع لهم
بأنه سيطلب من قريب عقد مشورة قيسية عامة ومع ذلك فلما كان
الإمبراطور متيقنا أن المشورة القيسية تكون عظيمة الجدوى وكان يود
استعطاف قلوب اهل ألمانيا واستمالهم اليه الح على البابا في مدينة بولونيا أن
يفخر ما كان قد طلبه منه وبعث اليه رسلا في هذا الشأن وطلب منه أن يسي فوراً
في جمع مشورة قيسية فلقن البابا حيرة من هذا الطلب حيث كان لا يحبته ردة
وجه حسن ولا اجابته من غير أن يضرب نفسه بفعل أو لا يبذل جهده في تحويل
الإمبراطور عن هذا التصدد فلما رأى أنه لا يحول عن ذلك اتخذ يسلك معه مسلك
التفيل والتلذذ ليقصد عليه هذا الغرض او يتراخى فيه حتى تسع معه الوقت
ويجمع امره فتعلل بأنه ينبغي أولاً المذاكرة مع الفرق المتشاحنة في شأن تعيين
محل انعقاد المشورة وصورتها وتعيين من له الحق في حضورها ودرجاتهم
في الأوامر وبناء على ذلك اتفام ناسا عن قنعه وارسله مع رسول من طرف
الإمبراطور الى الأمير متنبس سكن لأنه كان حيثئذ رئيس المعتزة فحشأ
في شأن كل من هذه الامور المذكورة منازعات ومجادلات شديدة فكان المعتزة
يريدون أن يكون انعقاد المشورة ببلاد ألمانيا وكان البابا يريد أن يعقد
ببلاد إيطاليا وكانوا يريدون أن يكون نص الكتاب المقدس هو الاساس في انهاء
كل قضية مختلفة فيما وحل مشكلها وكان هو يريد أن يعول على كلام القسوس
واجبار الكنيسة كما يعول على عبارات الكتاب المقدس وكانوا يريدون أن تكون
المشورة القيسية مطلقة في ابداء الرأي بحيث يكون لكل من حضرها من
علماء اللاهوت المبعوثين من سائر الكنائس حق في ابداء رأيه بدون مانع

سنة ١٥٣٤

وكان هو يريد أن تكون تلك المشورة على صورة بحيث تكون تحت قبضته
يتصرف فيها كيف يشاء ونحوه آخر كان المعترضة يرغبون فيه أكثر من غيره
وهو أنهم كانوا يدعون أن من علم الصواب أن يلتزموا بالاذعان لاحكام
المشورة القيسية قبل أن يعرفوا معنى هذه الاحكام ومن صدرت عنهم
وكيفية العمل بها وكان البابا يقول انه لا ثمرة لعقد المشورة القيسية ان لم يلتزم
المعترضة باتباع ما يصدر عنها من الاحكام لاسيما وهم الذين طلبوا انعقادها
فعرضت عدة وسائل للاصلاح بين الفريقين في هذا الغرض وطالت مدة
المذاكرات والمداولات على وفق مرام كليمان حيث كان قصده بذلك كله
أن يعوق انقضاء تلك المشورة من غير أن يجلب لنفسه اللوم بتدبيره وحده
الى المعارضة في انقضاء هذه المشورة التي كان جميع الا فرج يرون أن فائدتها
جليلة وأنه لا بد منها المصلحة الكنيسة الرومانية

مطلب

في كون الإمبراطور كان
له غرض آخر يستدعي
المذاكرة وهو بقاء
الامن والاطمئنان
في بلاد إيطاليا

وكان للإمبراطور غرض آخر أهم عنده من عقد المشورة القيسية وهو بقاء
الامن والاطمئنان في بلاد إيطاليا وذلك انه كان يعلم أن الملك فرنسيس
كان لم يزل مترقباً لفرصة تلوح له فيستعين بها في اخذ اراضي التي اخذت منه
في بلاد إيطاليا وأنه لم يتركها الا بهزائمه فرأى الإمبراطور أنه يجب عليه
أن يحترس كل الاحتراس ويجمع جيشاً يكفي في مقاومة عدوه عند الضرورة
وحيث كانت خزانته قد نفذت في حصاره الحرب الطويل الذي كان فعله قبل
ذلك لم يمكنه أن يحصل المبالغ اللازمة لمصاريف هذا الجيش الذي عزم
على جمعه فإراد أن يجعلها على معاهدته وحلفائه وأن يكلفهم بحمل الأمن
في دوله وبلاده فعرض على دول إيطاليا أن تعقد مع بعضها عسبة تذب
عن إيطاليا من تعدي علىها وأن تجمع لهذا الغرض جيشاً تكون
مصاريفه موزعة عليها ويكون سر عسكره الامير انطون دوليوه قبل
ذلك البابا كليمان لكن كان له فيه ما أرب أخرى حيث اراد بذلك
اتخاذ بلاد إيطاليا من العساكر الألمانية والاسبانية التي كانت
فيها منذ زمن طويل تؤذي اهاليها وتهدد كل الاهانة فكانت هذه البلاد

بشيء باقية تحت حكم الامبراطور فاجيب الامبراطور الى ما طلب وان عقدت
العصبة ودخل فيها سائر دول ايطاليا ماعدا جمهورية البنادقة وعين
المبلغ الذي يخص كلا من ارباب العصبة لمصاريف هذا الجيش وكان
الامبراطور ينفاد ما اذن ذلك لا يمكنه ان يبيع العصا كرايا لاسيا بولاية
المذكورة لانها كانت مستخدمة عنده بالاجرة فرضى بانخراجها من بلاد
لوطاليا لاجلها وكان اهل هذه البلاد يعضونها ويريدون خروجها من اراضيهم
فسرح الامبراطور بعضها ووزع البعض الآخر في جزيرة صقلية وبلاد
اسبانيا ثم ركب البحر على سفن الامير دورية ووصل الى مدينة
برشلونة

مطلب

ما كان يقصد من ذلك

فرانسا في شأن

الامبراطور

ومع هذه الوسائط التي احترم بها الامبراطور لتأكيد الصلح في بلاد المانيا
وابقاء ما رتبته في شأن بلاد ايطاليا كان لم يزل موسوما غير آمن وقصه غير
مطمئنة فكان يخشى من ملك فرنسا أن يسد عليه مآذيره بالحرب او بالقتل
والدسائس وذلك لانه كان يعلم أن فرانسيس لم يرض بمشاوطة كبريه الالمانه
وشدة كرهه حيث كانت تضر به وتزري به عرضه حتى انه عند اقرارها كان معها
على عدم العمل بمقتضاها متى زالت الدواعي المبنية على العمل بها وعما يدل
على ذلك انه اتهم دسرا على انكاره لعدة بنود منها لاسيما البند المشتغل على تركه
لدعواه في شأن دوقية ميلان فانه كان يري أن هذا الامر من باب الظلم
والاجحاف وانما قصص في حق من يخلفه في التاج الملوك فهو لاغ لا يعتد به
وقد حصل حين تقييد اقراره المشارطة في برلمان مدينة باريس أن بعض
علماء الاحكام صنع كاصنع فرنسيس في شأن تلك المشارطة وبالجملة فكانت
احوال فرنسيس تقضي بانها قد اعتقدت بان هذه الحيلة التي لا تليق بمقام الملوك
حيث انها تؤدي الى عدم ونوق الناس ببعضهم ونهض ما يقع بينهم من العقوق
تخلص مما التزم به بحيث صار لا لوم عليه في عدم الوفاء فانه بمجرد تقييد مشارطة
كبريه جعل ينتظر فرصة تلوح له بسيادته بتقضي هذه المشارطة فلهذا كان
يسعى جهده في التلويح الى ملك انكلترة وكان يزيد في عساكره ويحصيهم

سنة ١٥٣٢

مطلب

مداولة ملك فرنسا
 مع البابا لاضرار
 الامبراطور

ضبطهم وربطهم وكان هذا وسعه في ايقاع الشقاق والتفاقم بين امراء المانيا
 والامبراطور
 وكان للملثة فرنسيس رغبة تامة في فسخ الالتئام الاكيد الذي كان بين
 الامبراطور والبابا كليمان حتى حصل له غاية ما قرح حين ظهر له من البابا
 ما يدل على انه تراز نفسه من الامبراطور واعتقد ان الالتئام بينهما لا يدوم
 فقد كان البابا يحقد على الامبراطور في نظيره كونه اعان دوق فراره ونصره
 عليه فاخذ فرنسيس يحرض البابا ويوقع في خسه ان ما فعله بالامبراطور من
 اعانة هذا الدوق عليه اتما هو من باب الظلم الفاحش وافهمه انه مستعد للدخول
 في حربه والمدافعة عنه يطمئه القوي بدون عله ولا غرض وكان البابا قد سمع
 نفسه من الحاح الامبراطور عليه بعقد المشورة القيسية للتقدم ذكرها عرف
 فرنسيس ان يجدد عوانق يؤخر بها انعقاد تلك المشورة وبذل جهده في منع
 المتعاهدين معه من امراء المانيا عن الحاح والتدقيق في هذا الشأن
 ولا تكن من مقتضيات اعتبار الامبراطور ومحبة عند البابا هو ان الامبراطور
 كان قد اعلى مقام عائلته وهي عائلة ميديسيس ووقع شأنها سلك
 الملك فرنسيس هذا المسلك وعرض على البابا انه يريد تزويج ابنة الثاني
 وهو الامير هنري دوق اورليان بالاميرة كاترينة بنت الامير
 لورنت دو ميديسيس وهو ابن عم البابا كليمان فلما وقف الامبراطور على
 خبر هذا الزواج لم يصدق ان هذا الكلام صادر من فرنسيس على سبيل الجد
 والحقيقة حيث ان هذا الزواج فيه تدنيس عائلة فرانسوا الملوكية لان كاترينة
 المذكورة كان ابؤها قبل ذلك بقليل من جلة آحاد الالهائي وكافوا من تجار
 فلورنسة بل اعتقد ان قصد ذلك اتما هو مجرد معاهدة البابا ومخادعته ولكن
 رأى انه يلزم تدار لهذا الامر لانه يفر البابا ويقع منه موقعا عليا فوقع البابا
 بانه يفسخ النكاح المتعد لدوق ميلان على بنت اخته من ملك داتيرقة
 ويعقد لهذا الدوق النكاح على الاميرة كاترينة المذكورة ولكن انظهر
 رسل ملك فرانسوا ان سيدهم قد فوض لهم عقد النكاح على هذه الاميرة

سنة ١٥٣٣

لأشيه الامير هنري دوق اورليان غلب ما دبره الايمبراطور ولما البابا
كليمان قرح كل القرص من هذه المصلحة التي تشرف بها عاقلة ميديس
ويزداد روثها ويعلو شأنها حتى انه وعد أن يعطي كاترينة في صداقتها
عدة اراض واسعة من بلاد ايطاليا بل ظهر منه الميل الى تعضيد ملك
فرانسا في دعواه في شأن عدة ايلات من تلك البلاد ورضي أن يتقابل مع هذا
الملك كما تقابل مع الايمبراطور

مطلب
مقابلة البابا مع
الملك فرنسيس

وقد بذل الايمبراطور شرلكان جهده في منع هذه المقابلة حيث كانت
مقتضيات الاحوال اذ لا بد لى أن عاقبتها تضربه وكان قبل ذلك
قد ذهب بنفسه الى البابا مرتين فلقه غم شديد حين رأى من البابا امر اخر
وهو سفره بجرا في فصل كثير المشاق يصعب السفر فيه لاجل مقابلة الملك
فرنسيس في ملكته لانه كان يود أن يعجل بعقد النكاح للتقدم لاغتراه بذلك
وزالت عنه دواعي الكبر التي كان يمكن أن تمنعه عن فعل مثل ذلك في صورة
اخرى وتقابل بدينه مرسييا في غفل عجيب وانظر كل منهما لصاحبه
مزيد الاحترام والتجيب السام وانفقد النكاح للامير هنري دوق اورليان
على الاميرة كاترينة بعد مشاق كثيرة وقد اضرت هذا الزواج فيما بعد بمملكة
فرانسا لان هذه الاميرة كانت بكان من السياسة والطمع كما انه من مبدى الامر
دنسها وازرى بها ثل ملوكها ثم ان البابا والملك فرنسيس اتفقا على عدة
امور تخص دوق اورليان فضلى له ابوه الملك فرنسيس عن حقوقه
في بلاد ايطاليا ولكن كان ذلك كله ستر حتى لا يقف الايمبراطور على جلية
خبره فتمتج بالغضب ولذلك حصل الاتفاق بينهما مشافهة ولم يقرر بينهما
مشارطة صريحة بل سطر في ورقة النكاح أن الاميرة كاترينة تختل عن
حقوقها ودعواها في بلاد ايطاليا ماعدا دوقية مودينا

سنة ١٥٣٤

وفي مدة ما كانت المداولة حاصلة بين البابا كليمان والملك فرنسيس
وكان البابا يجتهد مع هذا الملك وابطال الحجة التي اوتعت الوسوسة في صدر
الايمبراطور شرلكان كان هذا الايمبراطور يبذل جهده فيما يكون به تطليق

مطلب
ماسلكه البابا في شأن
تطليق ملكا انكثرة
لزوجته

سنة ١٥٣٤

ملك فأنكثرة لزوجته فظهر منه أنه يوه تميز هذا الغرض لك أنكثرة
حتى كأنه من اعز احبابه واصدق اصحابه ولا جرم في ذلك حيث ان المداهنة
والحادعة من طبع الاميراطور و كان الملك هنرى قبل ذلك نحو ست سنوات
يجتدى طلب هذا الطلاق والبابا يخالطه ويداهنه بالمواعيد الباطلة ولا يت له
شيأ ويرى ما يتجلب من كون هذا الملك مع حبة طبعه وسرعة غيظه مكث تلك
المدة الطويلة وهو يعمل مطل البابا وافعاله التي توجب السامة ولكن لا داعي
لهذا التجلب متى عرفت انه قد عجل صبره وضاق صدره حتى خاطب في هذا
الشان محكمة اخرى غوردوان رومة فحكم المطران قرايمير بفسخ
النكاح الواقع بينه وبين الملكة كاترينة وأن البت التي ولدتها منه لا تلحق به
شرعاً بابا يحكمه بذلك على ما استوثق به من العلماء والاجبار والرايين
الذين عرضت عليهم هذه المسئلة واقر نكاحه للاميرة ادبولان التي كان
يصحابها ومن وقتئذ صار الملك هنرى لا يتلقى للبابا ولا يظهر له الحية والمودة
واخذ في اهماله وعدم الاعتراف به بل صار يهده كل التهديد حتى انه هم
بالانصرار دين المعتزة وان كان قبل ذلك يدافع عن لكنيسة بما في وسعه وكان
اذن قد خرج عن دين الكنيسة واتبع مذهب المعتزة عدة اهلهم وعمالك فخشي
البابا أن تقتدى بملكه انكثرة بهذه الممالك وتتبع مذهب المعتزة وكانت
مصلحته تقتضى أن يحترس كل الاحتراس حتى يسلم من عاقبة هذه المصيبة
فاضطر الى ارضاء خاطر الملك هنرى لكي لا يعيدل عن سنن الكنيسة لاسيما
وكان الملك فرنسيس يلج على هذا البابا أن يستعطف هنرى المذكور
ويظهر له ما يستميل به قلبه ويترتب عليه رضاء خاطره حتى لا يخرج عن حربه
ولكن كان في الكرد بنالات من يود الاميراطور وموتة صادقة فلم يدعو
البابا بفعل مع هنرى ما يسره ويرضى خاطره بل صرفوه عن هذا المشروع
البنى على الحزم والاصانة الى مشروع آخر مبنى على خلاف ذلك اضرت
عواقبه بكنيسة رومة حيث الزنوة باراز فرمان ييطان حكم قرايمير
وصحة نكاح هنرى للاميرة كاترينة وحرمان هذا الملك اى طرده عن

٢٣ من شهر اذار

*(المقالة الخامسة) *
تاريخ الاميراطور شرلكان

٥١

سنة ١٥٣٤

مطلبه
ابطال حكم البابا
من مملكة انكلترا

الكنيسة اذا لم يترك بعد اجل مسمى فوجهته الجليدة وهي امد وبولان ويرجع
الى زوجته كاترينة فقضب هنرى من هذا القرمان وقض ما كان بينه
وبين ديوان رومة من العلائق والروابط وغضب لقضبه رعاياه وساعده
وشدوا عضده فصدروا من ديوان البرلمان الانكليزى امر بابطال احكام البابا
واوامره في مملكة انكلترا وصدروا منه امر آخر يجعل الملك هنرى رئيس
الكنيسة الانكليزية وتقليده بكل ما حرم منه البابا في هذه المملكة فبجرد
ما ضاع احتوام البابا ودين الكنيسة من قلوب الاهالى انهدم في اسرع وقت
جميع ما فتن في تشييده القسوس حتى كان يظهر انه على اساس متين
ولكن لمحق هنرى واوامه الباطلة استمر على حماية دين الكنيسة الرومانية
وبذل في ذلك من الجهد ما كان يبذله في ازالة شوكة البابا من مملكته وابطال
احكامه المدنية منها فكان تارة يؤذى القساوي ليقين واخرى يؤذى المعتزلة
فاما المعتزلة فكان يؤذهم لكونهم رفضوا مذهب الكنيسة الرومانية
واما القساوي ليقين فكان يؤذهم لانهم كانوا يتبعون احكامها المدنية الغير
الدينية ولكن بمرور ما ساء للرجال ساء لوك طريق جديد بادروا اليه وتوغلوا فيه
ولم يستحسنوا ان يقفوا عند الحد الذي بعينه لهم الملك هنرى وذلك انهم
لم تأصوبه في الخروج عن بعض شعائر تلك الكنيسة صاروا يترقبون مع القلق
فرصة ينتهزونها في التخلص بالكلية من ربة اسر الكنيسة الرومانية حتى
ان بلاد انكلترا انفصلت فيما بعد بمرور ظهور الفرصة عن كنيسة رومة
في امور الدين كما انفصلت عن احكامها المدنية والسياسية

مطلبه
موت البابا كليمان
• السابع

٢٥ من شهر ايلول

ولم يجعل البابا كليمان باراز القرمان المتقدم في شأن ملك انكلترا فكان
من الجائز ان تسلم كنيسة رومة من تلك العواقب الشنيعة * وبعد
صدور هذا القرمان بمدة قليلة اصيب كليمان ببدء السل فاخذت بنينه
في الضعف شيئا فشيئا حتى مات واقتضت حكومته الطويلة التي كانت لكثرة
المعائب التي حلت بالكنيسة في مدتها اقمح حكومة بين حكومات البابات
الذين تولوا على ديوان رومة منذ عدة قرون * وبعدموته انعقدت مشورة

سنة ١٥٣٤

مطلب

انتخاب البابا بولس الثالث

٢٠ من تشرين الاول

الكردينالات لانتخاب بابا جديد فلم يحصل تقص في هذا الشأن بل اجعوا في اقل يوم من اجتماعهم على تولية الكردينال اسكندر فرنز رئيس الديوان المقدس اتيهوا ان الكردينالات وكان تقدم الكردينالات وعند تقليده بهذا المنصب سموه بولس الثالث فحصل للامة الرومانية كل الفرح بتولية هذا الكردينال لانه كان من ابنا وطنهم فخرجوا برجوع تاج البابا الى رجل من الامة الرومانية بعد ان مكث اكثر من قرن يتداوله الاجانب وتفاك الخارفون من توليته بحسن الادارة لانه كان يحكم من الصاريب حيث شهد سكرتيرة اربعة من البابات واطهر في منصب الكردينال باميد على كثرة حزمه وقناعته مع ان ذلك الوقت كان وقت فتن واضطراب يستدعي السياسة والمداهنة

وربما كان موت كليمان سببا في قضاء الصليبيلااد اوروبا فانه وان لم ينص التاريخ على انه تعصب مع الملك فرنسيس على الايمراطور الا انه لاشك انه كوجهت الجيوش الفرنسية على اراضي الايمراطور في بلاد ايطاليا لكان هذا البابا يساعد اتمام المساعدة لانه لطعمه كان يفرح حين يرى انه قد خرج من عائلته ملكا كان احدهما يحكم فلورنسة والثاني يحكم دوقية ميلان فلما تولى بعده بولس الثالث وكان من حزب الايمراطور وانصاره اضطر الملك فرنسيس الى ابقاء الحرب لوقت آخر ورجع عما كان عزم محليته من الشروع في قتال الايمراطور

ويتما كان الملك فرنسيس يترب فرصة يتم زها في الحرب مع الايمراطور وان كان قد انهمز في الحروب المتقدمة ولحقه منها الضرر هو ورعاياه اذ حصل في بلاد المانيا لحقة غريبة وذلك ان الدين الجديد كان شاعته كثير من القوائد الخلية تشاعته امورا خرجت منسرة ومثل هذا لازم لروما ما يات بالافعال البشرية حتى اشتغل العقل البشري بمقاصد جسيمة وما رب مهمة خرج عادة عن الطوارء وتجاوزت حيتته الحدود فيضل عن الصراط المستقيم ويقع في سبل الزيف ويضيع رشده ومثل تلك الاكاث تراكم عادة على عقول البشر متى تجالت في يهور

مطلب
عصيان طائفة
الانابايتيست في
بلاد المانيا

الانابايتيست طائفة
من المعتزلة ترى ان
الاعمال لا يكون الا
في سن التمييز بالعقبي
دون الرش

سنة ١٥٣٤

الدين ونجاست في بلجيه الطامة لاسيما في مثل ذالك العصر الذي كان قد خرج فيه
الناس عن الدين القديم ولم يتكثروا من اصول الدين الجديد الذي تمسكوا به
حتى يدركوا حقيقة ما اوجبه عليهم فبناء على ذلك كانت جسامتهم في الاقدام
على الدين الجديد دائما في الفتور والازدياد ولم تحصى سميتهم فمما كانت عليه
عند رفض الدين القديم وحيث ان العقل اذ ذالك لم يكن تمكن من اصول
الدين الجديد حتى يتخذوا دليلا يستد به الى الصواب كان لا يستطيع ما فيه
من التصديق عليه فوردت عليه وارادات غير جيدة ومن ثم كان فساد الاصول
المحمودة والاخلاق المدوحنة وشاهد ذلك ما حصل في مبدأ نشر الدين
النصراني فكنت ترى كثيرا من الناس يتركون دينهم القديم ويتكثرون بدين
النصرانية قبل ان يتكثروا من معرفة اصوله فيحدث فيهم اعتقادات باطلة
واوهام عاظمة تخشاعة للهائم التقوى وشعار التفضيلة ثم اضلعت هذه البدع
شيئا فشيئا حتى صارت في زوايا النسيان وصارت تبطل ضباياتها بالتشاور
شعور اصول الدينية العقيمة في آفاق العقول البشرية * وقد حصل
مثل ذلك في دين لوتير حيث انه بعد ظهوره قليل نشر بعض اصحابه بلهلمهم
او لجسارتهم اصولا مضرة ليست الا من قبيل الاوهام الكاسدة والبدع
القاسدة وجعلوا انهم من الدين وكان الناس اذئذ التمع جهلهم لهم رغبة تامة
في الدين الجديد وكان هذا الدين مطمح نظرهم فذلك هو السبب في حدوث
الاهوام القاسدة التي نشرها المعتزلي مونستير في سنة ١٥٢٥ وحظيت
بالقبول بين التلاحين ثم ان هذه القسنة التي آناها لم تطل مدتها ولكن اختفى
عديم من اصحابه في بعض البلاد وبذلوا جهدهم في نشر آرائهم واذا عاهاهم

وبدعهم

وكانت الاقاليم العليا من المانيا قد خربت ونساء حالها بسبب حماقة
هؤلاء الجهلة وما ارتكبوه من التعال القبيحة فشد عليهم الحكم واساؤا
معاملتهم فعاقبوا منهم البعض وقبوا البعض واتلوا بالايذاء جا غفيرا الى
المهاجرة الى بلاد اخرى فامكنهم بذلك ان يزولوا ما كان قد نشره هؤلاء الجهال

مطلد
منشأ هذه الطائفة
ويان آرائها وعقائدها

سنة ١٥٣٤

من الانهزام الباطلة ولم يحصل مثل هذا التشديد عليهم في مملكة البلاد
 الواطية وفي اقليم وستاليا لانه لم يكن هنالك من يدرى مضار عواقب
 مذاهبهم دخلوا عديماتن ونشر وافيا اصولهم وقواعد مذاهبهم وكان اعظم
 هذا الاصول هو التعميد على وجه مخصوص وهو ان لا تعمد الاولاد الا في سن
 التمييز وان لا يكون التعميد بالرش بل بالغمس وبناء على ذلك حكموا ببطلان
 ما سبق من التعميد قبل سن التمييز وصاروا يعمدون كل من دخل في حوزهم
 ومن ثم سميت طائفتهم بطائفة الانابابست اي المعمدين بالغمس في ماء
 المعمودية والظاهر انهم بنوا ذلك على ما كان يفعل في التعميد على عهد
 الحوارين ومثل هذا الامر لا يؤثر في انتظام العالم شياً لكن كانت لهم عقائد
 اخرى خطيرة مضرة فكانوا يقولون ان وظيفة الحكام لا يحتاج اليها التصاري
 الذين يأخذون بصريح عبارات الانجيل ويعملون بما يستنبطونه منها من
 الاحكام وانما هي وظيفة متنوعة شرعا لما فيها من الظلم وتضييق دائرة العقل ومنعه
 عن وظيفته من الحلول والتفكر في الاشياء وكانوا يرون انه يلزم ازالة كل امتياز
 بين الناس من حسب ونسب ورفعة قدر ورتبة لان ذلك كله مخالف لما يقتضيه
 الانجيل من التسوية بين افراد البشر وأنه يجب على جميع ابناء التصارية
 ان يجعلوا اموالهم واملاكهم في سبيل الشروع وان يعيشوا مع بعضهم
 كعائلة واحدة لا امتياز بين اهلها وكانوا يرون تعدد الزوجات قائلاً انه حيث
 لم يكن في الناموس الطبيعي ولا في العهد الجديد مقدار النساء الا في يجوز للمرء
 نكاحهن فله ان يتزوج بمن شاء منهن واحدة او متعددة واسونه في ذلك الانبياء
 المختصون والام الماضون فان الله عز وجل قد اباح لهم ذلك

ثم انهم نشروا هذه الاصول وجعلوا بعضد ونهاض الحية الجاهلية ففسد عنها
 امور قيصة اضرت بالعبادة والبلاد * وادعى اثنان منهم التوبة وهما حنامتي
 وكان خبازا من مدينة هرليم و حنا بوكولد او بوكولس وكان
 خياطاً بمدينة لينه فاستوطنوا مدينة مونستر وهي من اعظم مدائن
 الامبراطورية وهي وان كان لها البتة الان الحلق والعقد فيها كان لارباب

مطلب
 استيطانهم في مدينة
 مونستر

سنة ١٥٣٤

المشورة والقناصل من اهلها وكان هذان الكاذبان هما معين لما يلزم لتجاسهما
في مشروعهما من المعارف والمسارة العظيمة والظهور بمظهر الاقيام وادعاء
الوصى وضاحية الخطاب في الاحتفالات العامة فهذه الوسايط كلها
صار لهما في اقرب وقت احزاب واتباع واشتهر امرهما وشاع فكان من اتباعهما
المعلم روتهم وهو اول من وعظ بدين المعتزلة في مدينة مونستر والشهير
كثير دولنغ وكان من ذوي الحسب والنسب من اهل هذه المدينة وكان له فيها
اعتبار عظيم فلما كثرت احزابها تقوت قلوبها وصار لهما موصلة وتقوؤ كفة
بجلاء بشران اصولهما الدينية على رؤس الاشهاد وعلمتها الناس كافة
ولم يكن شيئا بذلك بل صما على الاستيلاء على المدينة والتقلد بحكومتها ليضعها
ختم الحكومة على مذهبها ولكن لم يتمكنهما في مبدأ الامر ان ينفرا بهذا
المقصود فطلب اسراجه كبير من اتباعهما الذين بالبلاد المجاورة لتلك المدينة
واستولوا ليل على ترساتها وديوان مشورتها وجعل حزبهما يطوف
في الحارات والازقة والسيوف بأيديهم وهم يصيحون تارة بقولهم وبوا
وتصعدوا واخرى بقولهم ارتحلوا ايها الضالون الجاحدون فتزع منهم ارباب
مشورة السفت والشماسة والرهبان والاهيان وخيار السكان من
معتزلة فاقول ببقية وتركوا المدينة لهؤلاء الجانين الذين كان اغلبهم اجنبيا عنها
وخرجوا منها في اسوء حالة ظمريق في المدينة من يستطيع معارضتهم فانشأوا
فيها حكومة جديدة تلائم عقولهم المحتلة نعم وان اطهروا في مبدأ امرهم
احترام الرسوم القديمة فاقبضوا ارباب مشورة السفت من بينهم وقلدوا
كثير دولنغ ورجلا آخر من حزبه بوظيفة التنصلي الا ان ذلك
كان ظاهريا فقط وقام حتى بادارة المصالح وسلط في احواله والحوار
مسلكا بوجه بهاته نبي حق وصار يأمر ويهيى ويقتل فورا من خاف امره
وجعل يحرض العلماء على نهب الكنائس وتجريد عا عن زينتها ثم امرهم ان
يجرقوا من الكتب ما عدا كتاب العهد القديم والجديد فلقوا من القادة مع
اشتغالها على الكاذب المحدثين وضلالان الجاحدين وضبط على اموال من

مطلب
استيلائهم عليها

مطلب
حكومتهم الجديدة التي
احدقوها بتلك المدينة

سنة ١٥٣٤

هاجر من المدينة وباع أهلها سكان البلاد التي يجوارها وأمر كل إنسان من سكان
المدينة أن يأتي إليه بذهبه وفضته وسائر ما عنده من الامتعة النفيسة القيمة
ووضع ذلك في خزانة عامة ورتب ثمانية وألف درهم يصرف ما يلزم لكل فرد من
أفراد الأهل (وهذا معنى ما سبق من جعل الأموال على سبيل الشيوخ بين
الناس) وبعد أن رتب التساوي بين أهل جمهوريته على هذا الوجه أمرهم
أن يأكلوا مع بعضهم على اخوة يصوبونها على رؤس الاشهاد في الساعات
العمومية بل عين لهم ما يأكلونه كل يوم من الاطعمة وبعد أن تم هذه
التغييرات على هذا الوجه التفت الى ما يكون به تحصين المدينة لتكون آمنة من
سطوة العدو ومثل في هذا الغرض مسلح الحزم والتبصر فجدد مخازن واسعة
واصلح الحصون القديمة وأحدث حصونا جديدة واشتغل في ذلك جميع السكان
بالتنقيب ورتب من أتباعه جنودا منتظمة أحكام ضبطهم ويطعمهم وجع
في ذلك بين الحزم والحماية وبث الى أتباعه بمملكة البلاد الواطية يدعوهم الى
الحضور الى مدينة مونتسير التي كان يسميها جبل صهيون (أشاره الى
جبل فلسطين عليه قلعة بيت المقدس ولا يخفى ما في ذلك من الإشارة) اجتمعوا
فما تم يخرجوا جميعا لتخضير سائر الملل وادخالهم تحت طاعتهم وكان لا بدوق
لهم الراحة ابدا ولا يعمل في شيء مما يكون به حفظ مذهبهم وتوسيع دائرته وكان
يسلك مسلح التقشف والزهد ولا يستنكف عن الاشتغال بأي شيء ليقبض به
في ذلك اصحابه وقد ازدادت حيتهم وقوى عزيمتهم بقرضه لهم وادعائه للتوبة
ونزول الوحي عليه فصاروا يستسلمون كل صعب لاجل تأييد مذهبهم وتقضيد
ولكن كان اسقف مونتسير قد جمع جيشا عظيما فقدم به الى المدينة ليضع
عليها الحصار فلما دخلوها خرج عليه مسي من المدينة مع بعض عساكر اتقيهم
وجعل على معسكره وقتل منه كثيرا ثم كثرت راجعا الى المدينة فرقل في ثياب
الفجار ومعه اسلاب القتلى ولحقته هذه النصر فخرج في اليوم الثاني يقدم أهل
المدينة ويسد رمح وهو يقفهم أنه لا بد أن يذهب مع أفراد طليعة لفتح جيش
الجاحدين ولو كثروا كما فعل كذعرون بن يونس الاسرائيلي فانه مع ثلثمائة

مطلب
اتحاد اسقف مونتسير
عليه

(هنة ١٥٣٤)

شهر ايار

مطلب

ازدياد شوكة حنا

دوليد بين طاقه

الانابايتست

رجل ظفري اهل مدين وكلاهما تاه ولد بين الصا) * فالتب ثلاثين رجلا فاقض
بهم على معسكر الاعداء مع الحمية الشديدة فقتلوا من آخرهم وقتل معهم
نبيهم وبعونه وقع الرعب والفرق في قلوب اتباعه الآن حنا بوكوله الخياط
الذي تقدم ذكره ملك مسلم متى في الحيلة والخلع واطهر اودعوى النبوة
فاخفى قلوبهم حتى اقاموه مقام متى وجعلوه مطلق التصرف بينهم ولما
لم يكن في الجسارة مثل متى اقتصر على المداخلة عن مدقته ولم يخاطر
بنفسه ويهجم على الاعداء بل جعل ينتظر الامداد الذي كان متى قبل موته
قد بعث يطلبه من عملة البلاد والواطية ومع أن هذا الكاذب لم يكن جسورا
مثل متى كان أكثر منه اوهاما وبدا واعظم منه حية جاهلية وكان يفوقه
ايضا في الحرب والطمع وذلك أنه بعد هلاك متى صار يضل الناس
وبغتهم بدعوى الالهام والوحى واذرهم بوقوع حادثة غريبة وبعد أن مهد
عقولهم بهذه الكيفية خلع ملبوسه وصار يجرى في الحارات والازقة ويقول
يا على صوته ان علكة صهيون قد قرب اوانها وان كل ما شيد على الارض
سيخسط وكل ما انشيط سيشتد وينام على هذا النبأ الذي يزعم أنه بالالهام والوحى
امر بهدم الكنائس لانها كانت اعلى مبانى المدينة وعزل ارباب مشورة
السفوف الذين كان ولاهم متى قبله وخلع كثير دولتخ عن منصب
التنصلي الذي هو اعظم مناصب الجمهورية وحكم عليه يادى الوظائف
واخسها حيث جعله جلاداهم يتوقف كثير دولتخ في قبول هذه الوظيفة
بل اظهر الفرق والمسرّة بها وبالجملة فكانت قسوة هذا الرجل خارجة عن
الحذق حتى ان كثير دولتخ كان يدعى كل يوم لاجراء وظيفة الشريعة ولعام
بوكوله محل ايباب مشورة السفوف الذين عزلهم الفى عشر فاضيا
ليقوموا بادارة المصالح تأسيسا باسبابى اسرايل وكان له في قومه من قوذه
الكلمة ما كان لموسى عليه السلام في قومه

ولكن لم يكف بوكوله بهذه الشوكة العظيمة ولا بذلك الاقارب القاخرة بل
اراد أن يكون ملكا مطلق التصرف بين قومه وظفر هذا المرام حيث استحال

مطلب

تولينه ملكا بطريق

الاتخاب

(سنة ١٥٣٤)

٢٤ من شهر حزيران

رجل زوجه حتى اعتقد وأبسته ثم جمع هذا الرجل الالهائي وأبدى لهم أن الله سبحانه وتعالى قد تعلق ارادته بجعل حنا بوكولد ملكا في صهيون وأنه يجلس على كرسي داود عليه السلام فعند ذلك خثر حنا ساجدا امتثالا لارادة الله عز وجل وحقق للناس أنه قباوصي اليه بذلك فبادروا الى مبايعته وصار من وقتئذ يظهر يظهر الملوك فاختد ناجا من الذهب وصار يلبس انفر الملابس وكان دائما على احد بابيه رجل يحمل الاخبيل وعلى الآخر رجل شاهر سيفه وكان لا يظهر بين الملا الاومعه جم فقير من الناس نفروا وسارسته وضرب القودوسم عليها صورته وجدد ضبا طاقصره وللملكة وكان من جعلهم كنيده ولتخ حيث جعله محاقطاعا على المدينة سكافاته على امتاله حين ولد بونظيفة الجلالد وعلى توفيته بهادون استنارز ولا تلقى

مطلب
 فساد سلوكه

فلما بلغ بوكولد هذا المبلغ من الصولة واتسعت دائرة شوكته اخذ يرتكب اتورا كان لا يرتكبها قبل ذلك او كان يفعلها سراجه وقد شوهه في سائر الاعصار وان الحمية المفرطة يصعبها العشق عادة وان منشأ الامر من واحد قاصر بوكولد عده من علمانه ان يعطوا الالهائي ويرغبوهم في التزوج باكر من واحدة بل ويجهمهم ان هذا الامر لا يتعنه وزعموا ان ذلك من المزايا التي خصها الله سبحانه وتعالى بمن اصطفاهم واجتباهاهم من خلقه فلما تعود الناس على سماع ذلك وفرحوا به ملايئته للطباع البشرية كان هو اول من بدأ بذلك فتزوج بثلاث نسوة في ان واحد منهن ارملة متى وكانت بهيمة الحسن والجمال ثم بلغ من طلع عشق وحبا تقتل حتى صار عددها اربع عشرة امرأة ولكن كان القلب منهن بقبول الملكة هي ارملة متى وحدها فكانت تقسم معه تشريفاات المنصب الملوكي ثم تأمى بها الناس في ذلك وجاوزوا الحد في الفساد حتى لم يبق رجل الا وعندهما كثر من واحدة وصاروا يعدون الاقتصار على الواحد من اكبر الكبار لانه مخالف لما شرعوا لهم فيهم من الحرمة النهرانية بل كان ثم اياس مشوطون بالبحث في البيوت عن الابكار ويزمونهن بالتزوج به وحيث ان

(سنة ١٥٢٤)

الطلاق لازم لزومانيا لتعدد الزيجات صار مشرعا بينهم وصار من جملة
دواي الفساد عندهم وافضت بهم الشهوات الى ارتكاب القواحيش حيث
لم تحدها شرعهم بمحد ولم يكن عندهم حياء يمنعهم من الافراط فيها وبالجملة
قد شوهد يومئذ ان الفساد عضدته اصول الدين وأنه قد جمع بين القواحيش
والزهد في تلك المدينة التي كانت موطن الاوهام والضلالات والبذع
وللتزهات .

مطلب
العصبة التي تعصبت
على طاعة الانابايتيست

ولما رأى امراء المانيا أن هذا البتدع الضال الخسيس الاصل قد ندى
مناصبهم باقتيانه على حقوق المنصب الملوكي حيث آطام نفسه ملكا في مدينته من
دولهم اشتد غيظهم منه وجموعا على اهلاكه لاسيما وكانت فواحيش اتباعه
تندس دين التصريفة ففر منها جميع الناس في سائر الدول وضاق صدورهم
وكان لوتبر من مبدء الامر لا يستحسن حية هذه الطائفة فتأسف حين
رأى تقدمها اسفا عظيما وحز في التدح في اوهاهم والتشجيع على صفائهم
عبارات فضيحة مؤلمة لا تقبل تقضا ولاردا وحرض فيها جميع امراء المانيا
على منع حية هذه الطائفة المشؤمة على الناس لخطورة على الدين وكان
الإمبراطور اذ ذلك مشغولا بامور جرة ومقاومة مهمة فلم يمكنه أن يلتفت الى
هذا الغرض لاسيما وكان بارض بعيدة عن محل اقامته ولكن جمع ملك الرومانيين

مطلب
حصار مدينة مونسير

سائر امراء الإمبراطورية واتفقت كلمتهم على امداد استق مونسير بالرجال
والاموال لانه لا قدرته على القيام بمصاريف العساكر اللازمة لمصار المدينة
على ما ينبغي وانما كان مقتصر على قطع الوارد عنها من بعيد ولما صم امراء
المانيا على ذلك جمعوا العساكر واناخوا برياستهم ضابطا من الضباط الى
الدراية والتجارب فوصل بهم هذا الرئيس الى مدينة مونسير في فصل
الربيع سنة ١٥٣٥ واراد أن يجعل بانها المحاصرة المحبوس على المدينة الا أنه
رأها حصينة منيعة ووجد اهلها معتبرين بحفظها غاية الاعناء فلم يجاسر على
المحورم عليها لئلا يخذله عنوة وكان قد مضى على اتباع طائفة الانابايتيست
اكثر من خمسة عشر شهرا وهم في اشتد التعب تلك المدينة من الاستغال

(سنة ١٥٣٥)

(حنة ١٥٣٥)

مطلب
نقط المصورين
وحجبتهم

في التحصينات والاستحكامات والخدمة العسكرية وكان بوكولد لا يألو
جهدا في تحصيل ما يلزم لخدمة أصحابه وقت محاصرة المدينة وكان يقرر عليهم
في صرف محوباتهم ومع ذلك قل من عندهم الزاد حتى اقتنوا التمسيق بهم القسط
والجماعة من قريب وإلى اليهم في أثناء ذلك عدة سرايات من اخوانهم بمملكة
البلاد الواطية بقصد اعانتهم فنبوا وايدوا عن آخرهم فلم يبق لهم وسيلة يرجعون
بها النجاة لاسيما وكانت بلاد المانيا مستعدة لان تجتمع مع بعضها لتقطع
دابرهم ولكن كان لفضال بوكولد موقع عظيم عند اصحابه وكانت حجتهم
قد تجاوزت الحد حتى انهم لم يقر لهم همة ولم يعدلوا عن عقائدهم واهمالهم
وكافوا المنه بأخذون الاشياء قضية مسلمة وكان بوكولد واخراجه يحدونهم
بنزول الوحي عليهم ويقولون لهم ان الله القادر على كل شيء سينقذ مديتهم عن
قريب ويغصم من كيد اعدائهم ولكن اشتد بهم الكرب والضنك حتى اخذ
بعضهم يشك في نبوة هؤلاء المتدينين وحملة اخبارهم وجعل يتردد في التسليم
الى العدو فجبرد ما ظهرت سريرتهم وانضج امرهم عوقبوا بالقتل على
كفرهم وعدم اعتمادهم وبقولهم على الله عز وجل واتفق أن امرأته نساء
بوكولد تكلمت بكلمات تؤذن بشكها في نبوته فجمع هذا الكذاب الاشرسائر
نساءه وامر زوجته الكافرة أن تجثو على ركبتيها ثم ضرب عنقها بيده ولم تفرغ
النسوة من هذا العمل الخسني بل المسكن بيده وجعلن يرقصن على شكل دائرة
حول جثة ترمهن وينظرن القرح والمسرة
وكان القسط لم يرزل يشتد بين المصورين حتى عظم كربهم وساء حالهم ولكن كانوا
يؤثرون مثل هذا المصائب التي يزرع الانسان من مجرّد حكايتها على كونهم
يقبلون قول الاصلب الذي كان يعرض عليهم التسليم في جميع الاوقات الا أن
رجلا منهم هرب من المدينة ما لكونه اتفق من فتوة الحمية الجاهلية ولكونه
لم يستطع تحمل مشاق الجماعة والقسط وانضم الى جيش المحاصرين المدينة
ودل رقبهم على جهة وأهية التحصين واخبره أن المصورين للمحقق من
التعب والتصب والجماعة وغيرها من المشاق غير معتنين بحفظ هذه المهمة

مطلب
اتحاد المدينة في اول
يوم من شهر تموز

سنة ١٥٣٥

٢٤ من شهر حزيران

مطلب

عقاب الملك واتباعه

مطلب

حال مذهب

الانابايتست

بعد ذلك

وعرض له أن يبعث معه سرية ليلا ليدلها على تلك الجهة قبل نومه وبعث معه
 طائفة من أجود العساكر فقبضوا في مرأهم كما أخبر فانهم تسقوا على الاسوار
 من غير أن يشعروهم احد واستولوا على باب من ابواب المدينة وادخلوا منه قببة
 جيشهم وهكذا كان ذلك على حين غفلة من اهلها فوجدوا الانابايتست
 غير متحفظين ومع ذلك تفتوا في ميدان السوق وداغوا عن انفسهم مع الحجة
 التي تقوم عادة بين قيع في اليأس والقنوط ولكن كان الاعداء اكثر منهم عددا
 فاحاطوا بهم من سائر الجهات وقتلوا معظمهم واسروا الباقي وكان من جملة
 الاسرى كتيبردولنغ واما بوكولد فكلوبه بالسلاسل والاغلال وصاروا
 يتقلونه من مدينة الى اخرى لينظر ما لخاص والعلم حتى ذاق العذاب الاليم
 ومع ذلك لم يظهر عليه فتور همة ولا تذلل نفس ولم يتحول عن مذهبه بل ما زال
 يعضده مع الحجة والثبات التام ثم اعادوه الى المدينة مؤستبر التي هي منشأ
 استعلائه ويجعل ضلالاته وقتلوه بعد أن اذاقوه من العذاب ما لا مزيد عليه
 وتجلبذ ذلك كل التحمل وانظر صبر الرجال وعزم الابطال وهذا الرجل العجيب
 الذي اوقع الهيبة في قلوب اتباعه وحدث فتنة كان يخشى منها على النوع
 البشري لم يكن له من العمر الا ست وعشرون سنة او دون ذلك

وزالت ملكة الانابايتست بزوال ملكهم الآن اصولهم كانت قد تمكنت
 في مملكة البطلاد الواطية فلم ير لها مذهبهم الى الآن وهو المسيحي يذهب
 المانويت ومن القريب أن هذا المذهب بعد أن كان في سبيله امره مهولا
 وقوات منه قن واضطرابات حشفت اخلاق المتكسبين وصاروا يميلون الى
 الصلح والراحة ويتقرون من سفك الدماء فهم الآن يرون الحرب والتصدد
 للخدمة المدنية من المائت الصغيرة ويفعلون ما يجب على كل انسان لمصلحة
 اخواته ووطنه فكانتهم باجتهادهم في الصنائع واعمال البر والراقة بعبادته
 التي هم عليها الآن يريدون جبر ما فرط من اسلافهم الانابايتست مما يضمر
 بالجمعية ومنهم من استوطن بانككترة محافظة فيها على رسوم آباءه وعوائد
 اسلافه في شأن التعميد من غير أن يكون ذلك مشروبا بما يحل راحة الجمعية من

مطلب
 اعمال عصبة جمال كمال
 وبيان شوكتها

الحية الجاهلية والغيرة الدينية
 ومع أن عصيان الأنايا نبشت كأنه طمع نظر الناس كافة لم يشتغل به امرأ
 ألمانيا حتى الاشتغال حتى يمنهم عن الالتفات الى مصالحهم السياسية
 قد ظهر في انشاء ذلك تسامح المعاهدة المتعلقة بمراحمدينة جناكاد بينهم
 وبين ملك فرنسا وذلك أن الدوق ولورين حاكم دوقية بريمبرغ كان
 قد طرده رعيته سنة ١٥١٩ بعد أن خرجوا عن طاعته لاجحافه بهم فتغلبت
 عائلة الاستريسا على هذه الدوقية ثم لما طالت مدنته فبعت ذنوبه لانها
 انما كانت ناشئة عن عدم التجربة لأنه كان ظالما بالطبع فرثي جميع الناس
 لحالة لاسيما امير هيسه لانه كان من اقرب الناس اليه فاعانه اتم الاعانة وبذل
 وسعه في رد مالي تلك الدوقية التي ورثها عن آباءه وكان ملك الرومانيين يأبى ذلك
 ولا يسلم في هذا الاقليم العظيم الذي اكتسبته عائلته بدون مشقة ولا تعب وكان
 امير هيسه ضعيف الشوكه لا يمكنه اخذ الدوقية المذكورة بطريق القهر
 والقبضة فخطب في شأنهم ملك فرنسا وكان هذا الملك يترقب فرصة تهيئه
 على ثوريط عائلة الاستريسا فخرج حين عرضت عليه هذه القضية حيث
 ان الغرض منها يقرب يد تلك العائلة عن ارض كانت تكسبها الشوكه في جزء
 من ألمانيا بعيد عن بشية دولها تقوى قلب امير هيسه وألح عليه أن يشهر
 السلاح وأمد سمر ابجبلج عظيم من الاموال فجمع هذا الامير جنودا وسار بهم
 فورا الى دوقية بريمبرغ وهجم على طائفة عظيمة من عساكر الاستريسا
 كانت مأمورة بحراسة هذه الدوقية فابداها وشتت ثملها وبادر جميع الرعايا
 بقبول الدوق ولورين لانه الاحق بها وفرحوا به ككل الفرح وسلموه
 زمام بلادهم ولم يرث حكمها في ذريته الى الآن ومن يومئذ دخل دين المعترلة
 في تلك البلاد

فلحق خردتند ملك الرومانيين من ذلك غيظ عظيم الا أنه لم يتسلسر على
 الاعانة على امير كانت بلاد المعترلة من ألمانيا مستقلة لتأسيده وتقضيده
 فاستصوب أن يعقد شارطة في محفل عام يعترف فيها بحقوق ولورين في دوقية

سنة ١٥٣٥

و برتمبرج ولما رأى فباح امير هيسه في اعانه لهذا الدور رأى انه يانزه
أن يتجنب بما يوجب الشقاق بينه وبين عصبة سالكه فاخذ يتداول مع
الامير منتخب سكس وكان رئيس هذه العصبة ويرخص للمعتزة في بعض امور
دينية فامكنه بذلك أن يستميل هذا الامير وبقوه من الامراء المتعاهدين حتى
اقره على علكه على الرومانيين ولكن لاجل منع مثل هذا الانتخاب المخالف
للارصول فيما بعد وقع الاتفاق على انه من الآن فصاعدا لا يقبل احد منصب
الملوكية على الرومانيين الا باجماع المنتخبين ورضائهم واقر الامبراطور هذا
الاتفاق بعد ذلك بمدة قليلة

مطلب
تعيين بولس الثالث
مدينة مانتوه لعقد
الجمعية القيسية
العامة

ولما رأى ديوان رومة أن ملك الرومانيين براى حزب المعتزة ويرخص لهم
في اشياء دينية يستعمل بذلك قلوبهم اقتناط عيظا شديدا وكان البابا بولس
الثالث غير مصمم كسلفه البابا كليمان على عدم الرضا بمقدم مشورة قيسية
عامة بل وطلب في اول مجلس انعقد بعد توليته منصب البابا أن يجمع تلك المشورة
القيسية التي كان جميع التصاري يودون انعقادها ولكن كان مقتناط مثل
كليمان من التسع الواضع في الدين يلاذ المليسا فكان لا يقبل شيئا مما يعرض
عليه في شأن تعيين مذهب الكنيسة وازالة مقاعد ديوان رومة ومظالمه
وانما كان يرى أن البابا كليمان انما استوجب لوم الناس بعدم رضائه بعقد
المشورة القيسية العامة فامل هو أن يسلم من هذا اليوم اذا طلب
انعقادها بنفسه خصوصا وكان يرى أنه لا بد أن يحصل توقف في تعيين زمان
هذه الجمعية ومكانها وفي الذوات الذين يـكون لهم الحق في حضورها
وفي كيفية المذاكرة فيها وهذا كاف في خيبة آمال من كانوا يطلبون انعقادها
وفي عدم توجه اللوم اليه اذا هو لم يررض بعقد هاقبعت رسلا الى سارردواوين
اوربا ليخبرهم بمرلمه ويشهمهم أنه قد عين مدينة مانتوه لعقد الجمعية
القيسية فحصل ما كان يرام من التوقف من عتة وجوده وذلك أن ملك فرنسا
لم يستحسن عقد هاقبعت المدينة متعللا بأن كلام البابا والامبراطور تكون
لكنه اشتد توذامن كلمة غيرهما لان هذه المدينة في بلادهما وواضعه على ذلك ملك

سنة ١٥٣٥
 شهر كانون الاول

انكسرة وزادته لا يقر تلك الجمعية اذا هي انعقدت باسم البابا وامره واما معتزلة
 المانيا فاجتمعوا نائبا بمدينة سمالكالد والجو في طلب ما كانوا يطلبوه
 اقلا واسدعوا ان تعقد الجمعية ببلاد المانيا معجدين على وعد الاميراطور
 لهم بذلك وعلى ما اخذ عليه من المشاق في مشورة الديتة التي انعقدت
 بمدينة رانسبون وأبدوا انها ان انعقدت بمدينة ماسوه تكون ملقاة
 لا يعمل بها ولا تكون نائية عن الكنيسة حتى النباة قترى على هذا الاختلاف
 فتح ابواب الناس والمداولات حتى حق البابا ان يقترى بفحاح بجبلته حيث انه
 بينما كان يظهر الرغبة في عقد تلك الجمعية كان يذل جهده في منع انعقادها
 ولذا وقت الزينة منه في غلوب المعتزلة وضرروا اجل العصبه سمالكالد يبلغ
 عشرين سنوا وكانت هذه العصبه قويت من قبل وانضم اليها انا من كثيرين
 فازدادت قوتها وعظمت شوكتها

مطلب

اغارة الاميراطور على
 بلاد افريقية وحالة تلك
 البلاد

وفي ذلك الزمن شرع الاميراطور في اغارته الشهيرة على افريقية لقتال اهلها
 الذين كانوا ارباب صيال يقطعون طرق البصار ويصلطون مصالح التجارة ومن
 المعلوم ان البلاد الافريقية القارة التي على سواحل بحر سفيد وكان بها سابقا
 جمهورية قرطاجة وملكة موريثانيا وملكة ماسيلي (الجزائر)
 ونونس ومراكش تعرف الآن ببلاد البربر وقد حصل لها عدة تغيرات تغلب
 عليها الرومانيون وجعلوها اقلياس من جلة اقالي الاميراطورية ثم وبعد ذلك قصها
 الوندال وجعلوها ملكة مخصوصة ثم هدمها بلزير فبقيت تحت حكم
 اميراطرة اليونان الى اخر القرن السابع ثم قصها العرب الذين لم يكن لاحد قدرة
 على مقاومة جيوشهم ومكنت مدة وهي تحت حكم الخلفاء الا انها كانت بعيدة
 عن دار اقامتهم قوى بذلك عزم المغاربة وهم اهلها المتأصلون وهموا
 بالاستقلال والخروج عن طاعة الخلفاء ومن المعلوم ان احترام الناس للسلطان
 والاسلاطين انما منشأ امتثال الاوامر الدينية وهذا يعين على التفرغ لاعلى
 حفظ ما فتح فلما قام عليهم اهل المغرب اقتطروا الى التفاضل عنهم حيث لم يكن
 لهم اقتدار على فهمهم وادخالهم تحت الطاعة ومن يومئذ انقضت بلاد البربر

الى عدة بمالك كان اعظمها مرايش والجزائر وفرنس وكان سكان هذه
الممالك اخلاطا من العرب والفرج الذين كانوا يأتون من الافايم الجنوبية
ومن المغاربة المتأصلين بأفريقية او المطرودين من اسبانيا وكانوا جميعا
متسكين بدين الاسلام ويغضون النصارى بغضا شديدا خشوة اخلاقهم
وفرط حبيبتهم

ولذا اوتقيا بكلام مؤرخي الرومانيين راي ان هذه الامة الجاسرة التي لم تدم
على حالة واحدة بل وقع فيها قتل كثيرة وحصل في حكمومتها تغيرات جمة
فخبر ان هذه التغيرات لما كانت محصورة في داخل بلاد متبررة خبت عليها
عناكب النسيان قل من يعرفها وليست جديرة بالتذكار والاشتهار ولكن
حصل في اثناء القرن السادس عشر تغيير عظيم صارت به دول بلاد البربر
مخوفة على الافريج وصار تاريخها حريا بالانكشاف اليه والاطلاع عليه
وقد احدث هذا التغيير العظيم جماعة من رعاا الناس لا يتوهم فيهم فعل مثل
هذا الامر الجسيم وذلك ان رجلين كان ابوهما يصنع القنار يقال لاحدهما
هوروق والثاني خير الدين وكانا يمتكان من الجسارة والمخاطرة فجزهما
ذلك الى ان تركا صنعة ابيهما واقفنا صنعة للملاحة والفضا الى طاقعة من ارباب
الصيال قطاع البحر فعما قليل صاروا لهما صيت وشهرة بالشجاعة والمهارة وذلك
انهما اختصبا سيفينة صغيرة وصارا يجوبان بها البحر وينهبان ما يصاد فهما وحصل
لهما نجاح عظيم حتى جمعا دونهما مركبة من اثني عشر غرابا وعدة سفن اخرى
اصغر منها وكان اكبرهما هوروق وكان لقبه بـ بر بروس اي ذا اللعبة
الشقرة لان لحينه كانت كذلك وكان قبودان باشا على هذه الدوتغا وكان اخوه
خير الدين هو القبودان الثاني ولكن كان مثل اخيه في قوفا الكلمة تقريبا
فلقبنا القسمما باحباب البحر واعدا من ريسا عرجه يظهره وعما قليل اشتهرا
وصار يخشى من ذكر اسمائهما من بوناز الدردايل الى بوناز جبل الطارق
وكان كلما قويت شوكتهما وعظمت شهرتهما اتذا طمعهما واتسعت دائرة
مقاصدهما حتى محيا ما لهما من معرفة الصيال بما ابدىا من المعارف الجسيمة

مطلب

منشأ دول بلاد البربر

مطلب

مشروع هوروق

واخيه خير الدين

اللقب كل منهما بـ

اللعبة الشقرة

سنة ١٥٣٥

والمناصب الجليلة العظيمة التي لو كانت في قايح لرفيها ذوى الشرف والفخار وكانوا
في القسالب يذهبون الى ميناك بلاد البربر بما ينهبانه من الاموال والامتنعة
من سواحل ايطاليا واسبانيا فحصل لاهل بلاد البربر ثروة عظيمة من
ذلك حيث كانوا يبتغونه منهم ما بين ملاحيم ما بين بجنس فلذا كان لهما عندهم
خلوة وقبول ايما توجها وكانت هذه المينات لطيفة الوضع لقربها من دول
النصارى الكبيرة التي كانت يومئذ متخولة بالتصاوة فخطر بالبال هذين الاخوين
أن يجدوا نزة في تلك الاقطار وعما قيل لاحتمالهما فرصة تعينهما على تعبير
هذا الغرض فاتمزاها ولم يضيعا عمرتها وذلك أن اوتى ملك الجزائر كان قد هم
عقد مزارات بالتغلب على قلعة كان بناها الاسبانول حكام اوران قريسا من
مدينة اوران وكانت دارا طمتم فلم يضع فيها هم به ولم يمكنه التغلب على تلك
القلعة فقدم تبصره استعان بذي البصيرة الشفراء لانه كان عندها اهل افريقية
معدودا من الابطال فلي هو روق دهنونه واقام اخاه خيرا الدين مقامه على الدونغا
ووجه بخمسة آلاف من الرجال الى بلاد الجزائر فترت لقاء اهلها وبالفواقي اكرامه
كأنه منتقد بلادهم وتغلب على مدينة اوران وذلك أنه لما رأى أن المغاربة
لا يقننونه به سوء او رأى أن عساكرهم قليلة لا اسلحة فلا يقدر على مقاومة
عساكره الذين غمزوا على الحرب منتمدة مستطيلة فجمع سر الملك الذي استعان
به وتولى على بلاده ثم اخذ يبعث عساكره يكون به تأييده وتمكينه فيما قبلت مسلحا
يلام طباع اهلها وعوايدهم فكان يكافى احزابه وانصاره الذين كانوا يعينونه
على التمكن من الملوكة بالعليا الجزيلة التي جماعتت من باب الاسراف
والتيذير وكان فاسيا جبارا على من كان يخشى منهم ولم يكتب به هذه المملكة بل
هجم على ملك تليسان وكان بجوارره فاخذ منه مملكته وضمها الى مملكة
الجزائر ولم يزل يثب سواحل ايطاليا واسبانيا ومعه دونغا عظيمة كان
من رهايا ظن أنها دونغا ملك من عظماء الملوك لاسفر بعض ارباب الصياليين
وبالجملة فكان نهب هؤلاء الناس قد قتموا والحدود حتى ان شر لكان بمجرّد
قلعه منصب الاميراطورية بعث الى ملقرم قوما ريس محافظ اوران

سنة ١٥١٦

مطلب

تغلب هوروق

بربروس على بلاد

الجزائر

سنة ١٥٢٥

طاقة كافية من العساكر وامره بالهجوم على هوروق فساد
بالامتنال ولجأه على ذلك ملك تلبان وكان قد طرده هوروق من
ملكته وقد أبدى هذا الضابط الحبب الجباب حيث هزم جنده هوروق
في عدة وقائع وحصر هوروق نفسه في محببة تلبان فدافع عن نفسه
حتى المدافعة ثم فاجأه الاعداء واقتضوا عليه وكان يريد الفرار من تلك المدينة
فقطعاهم بقوة قلب وثبات جنان وما زال يدافعهم بشجاعة هريسة جديدة
بالشهرة والوقائع العجيبة حتى قتل

وبعد موته تولى اخوه خير الدين حكومة بلاد الجزائر وكان ايضا يلقب
برروس ولما تولى على هذه المملكة سلك مسلك اخيه في الطمع والمعارف
الا أنه كان اوفر حظا منه فلم يقع في امامه ما وقع في امام اخيه من الاضطراب
والتعدير بحرب الاسبانيول لانهم كانوا وقتئذ مشغولين بقتال القرعج فامكنه
بذلك أن يربأ امر السياسة والضبط والربط في داخل بلاده ترتيبا غريبا واستمر
على الانارة والصيلال في البصر مع العزم الزائد والقوة السامة ووسع قنوحاته
في الاراضي القارة من افريقية لكن كان يرى أن المضاربة والعرب يغضون
حكمه ولا يتقادون اليه الا همرا عنهم وكان يحشى أن سياله يغضيه
الى الحرب مع النصارى فادخل دوله تحت حماية سلطان العثمانية فامده هذا
السلطان بطاقة عظيمة من العساكر حتى يكون بهافي أمن من قيام رعيته
وهجوم الاجانب عليه وصارت شهرته فيما بعد آخذة في الزيادة كل يوم حتى طلبه
السلطان سليمان ليحمله قبودانا على الدونما العثمانية لانه لشجاعته وكثرة
تجاربه كان جديرا بأن يعد لتقاومة الامير اندرودورية الذي كان اعظم
اهل عصره في الملاحة والصناعة البحرية فخرج بربروس بهذا الامتياز
وسافر الى القسطنطينية وكان لين العريكة فعرى أن يجمع بين مداخنة ارباب
الدواوين وجسارة ارباب الصيال فخادع السلطان وصافي وزيره حتى استمال
قلوبهما وصارت له الخطوة العظمى لانيما فركألية ووثقاه واخبرهما بأمر
كان عازما عليه وهو أن يتغلب على بلاد تونس وكانت يومئذ باهي بلاد ساحل

مطلبه
تقدم خير الدين
ونجاحه

سنة ١٥٣٥

مطلب
شروعه في فتح بلاد
فونس

افترقوا كثيرا هجرة وروثا فاستحسن ذلك كل من الوزير والسلطان واعطياه
جميع ما طلب لاجل تضييز هذا الغرض
وكان خير الدين يؤمل النجاح في هذا المشروع لما كان حاصله وقتئذ من القن
والحروب الداخلية في بلاد تونس وذلك انه كان منهم ما يحتشد للبربري محمدا
وكان له عدة نساء ففرقهن بأربعة وثلاثين ولدا وجعل احد اولاده المستن
بمولاي حسن ولى عهده وكان من اصغرهم ولم يخصه بذلك لكونه اكثر
اخوته معرفة بل لانه كان لاهه موقع عنده لاسباه وكان قد طلع في السن
قبلا حسن المذكور بسم ابيه حتى لا يعدل عنه الى غيره من اخوته ثم قتل
من وقع تحت يده من اخوته وهذه عادة جارية في جميع البلدان التي يجوز فيها
تعدد الزوجات اذالم تكن الخلافة معينة بالتسلسل في عصابة من العصابات
وكان من كبار اولاده امير يحيى بازيد فساعدته المقادير على النجاة
من اخيه مولاي حسن واتجا عند عرب البادية فاعانه بعض مشايخهم
وهجم عدة مرات ليستولى على كرسي ابيه لانه حقه حيث كان من اكبر اولاده
ولكن لم ينجح في ذلك وحيث ان عرب البادية لا يثبتون على حال واحد فغلا عنه
بل وصحروا على تسليمه لاجله ليفعل فيه كيف يشاء لكنه فر الى بلاد الجزائر
وطلب حاية الملك بربروس فلما رأى هذا الملك انه يمكنه أن يجلب لنفسه
فوائد جليلة باعانه هذا الامير واثبات حقوقه تقام مع الترحيب والاکرام
التام وانظر له المحبة الصادقة والاحترام وكان بربروس آنذاك عازما على
السفر الى القسطنطينية فاستمال الرشيد الى الذهاب معه بعد أن وصف له
السلطان سليمان بأنه اكرم ملوك الارض واقواهم شوكة وصولة ووعدة
بأنه يحصل لمن طرف هذا السلطان امدادا عظيما يجمع به اعداءه وينتصر به
وكان الرشيد يصدق كل ما يقال له ويسهل عليه أن يشرع في كل شيء لياخذ
ناج ابيه ولكن بمجرد وصولهما الى القسطنطينية اشار الخائن بربروس على
السلطان سليمان أن يفتح محلكة تونس ويضعها في سلطنته ولكن يكون
ذلك باسم الرشيد حتى يسهل عليه اخذها ويعينه انصار الرشيد وحرابه الذين

سنة ١٥٣٥

مطلب
تجراح بربروس

بمملكة تونس فرضى السلطان سليمان بهذه الخيانة الملايعة تطيع
من اخترعها وإن كانت لا تليق بتمام هذا السلطان العظيم لجمع السلطان
في أقرب وقت جيشاً كبيراً وجهازاً عظيماً فلما رأى الرشيد ذلك ظن أنه
قد غفر بأعدائه وأنه عما قيل يدخل على يده ملكته لمخوفاً بالنصر والظفر إلا أنه عند
السفر قبض عليه بأمر السلطان وسجن في السراية ولم يقضه أحد إلى ذلك
الوقت على بحيلة خبر وأطلع بربروس إلى أفرقة بالدوتقا وكانت
تشتمل على مائتين وخمسين سفينة فبعد أن خرب سواحل أبطاليا ظهر أمام
تونس وأخرج عساكره إلى البر وانظر أنه جاء لاثبات حقوق الرشيد وأنه
قد تركه مريضاً في البحر وسيحضر عن قريب وبعد أن اشاع ذلك بدأ بالمجيء
والإغارة ومعاذيل تغلب على قلعة غوليطة التي كانت حصناً لليون ولم يكن
تغلبه عليها بمحض مهارته وسياسته بل إصابته على ذلك خيانة حاكها وموالسته
معه وكان أهل تونس قد سقت قلوبهم من حكم المولى حسن فخرجوا
عن طاعته وانضموا إلى حزب أخيه الرشيد مع الحماية التامة حتى اضطروا
إلى القرار ولم يتمكن لهجته ومادهم من الصكوب أن يأخذهم أمواله
وغيره ففتحت أبواب المدينة حالاً أمام بربروس حتى كأنه ناصر ملكهم
الرشيد ومعبد حقوقه وتوجه إليه لكن لما رأى أن الرشيد لم يحضر وأن اسم
السلطان سليمان هو الجارى على السنة العساكر أثاروا من هذا الأمر
وظنوا أن ذلك حيلة وخيانتهم بربروس ثم تغير الظن باليقين وظهر لهم أمر
بربروس وغدوم فبادروا إلى أخذ السلاح وقاموا عليه كأن بهم جنة
واحاطوا بالقلعة وكان بربروس قد أدخل بها عساكره ولكن لتبهره
في العواقب احتس قبل ذلك بما يسلم به من مثل هذه التكبج فوجه اليهم نار
المدافع والقربات وبشت شملهم مع كثرتهم أذ لم يكن فيهم رئيس ولا ضبط
ولاربطاً فأنهم بالدخول تحت الطاعة وأذعنوا باللوكية للسلطان سليمان
واتروا لبربروس بالتياب عن هذا السلطان
فبدأ بربروس بتحصين مملكة تونس لتدافع عن نفسها عند الحاجة

مطلب
ازدياد شوخته

سنة ١٥٣٥

فصرف أموال الامة في انشاء تحصينات منتظمة بقلعة غوليطه وجعلها
حصنا للسنه وترسانته الكبرى البحرية والحربية وبعد ان صار ملكا على هذه
الاقطار لمولسعة استقر على نهب دول التصاري وازدادت قسوته واشتد ظلمه
وصار لا يقدر احد على معارضته لزيادة شوته ووصلته فكان يأتي
الى الاميراطور كل يوم من رعاياه الاسبان بوليه والابطال شكاوى عديدة
من نهبه وظلمه وكان شر لكان اذ ذاك لمطعم قنار التصاري كافة لانه كان اقوى
ملوك ذلك العصر وافرهم خلفا فكان الاخرى يمنع هذا الظلم الذي لم يسبق
مثله وكان المولى حسن بعد طرده من تونس لم يجد مغيثا في ملوك الاسلام
الذين يلاذ افرقة فاستعان بالاميراطور شر لكان ليخلص له حقه من
تعدي عليه وكان الاميراطور يود ان يتصدق له من ظلم بربروس وتعديه
ويخلص له حقه فعزم على التصدي لهذا الغرض ليفوز بخرق اقاد العباد من
قسوة هذا الظالم واجاهفه بهم فعما قيل عظم مشاركة مع المولى حسن
وتأهب لنسب الغارة على بلاد تونس وكانت قيادته للعساكر في حرب البحار
قد اورثته شدة الطمع في كسب الشهرة والفخار بالحرب والقتال فصمم على
الذهاب بنفسه مع الجيش التوجه الى تونس لجمع سائر العساكر الموجودين
بصحبه كونه ليبرزهم في هذا الحرب الكبرى الذي كان مطمع قنار الا فرج
كافة واتي اليه دونما فلكية من مملكة البلاد الواطية وفيها طائفة كبيرة
من مشاة المانيا واملكن نابلي وسيسليا فنزل بها عساكر ايطاليا
واسبانيا وكان قد طال عهدهم في العسكرية واتصروا على القنارية
في هذه وقائع واما الاميراطور فركب البحر من ميناء برسانة ومعه نخبة
احرام اسبانيا ويكرادتها وسرية عظيمة من العساكر جاءت اليه من بلاد
البورغال وكان رئيسها خولامير لوز واقطع ايضا الامير امده دورية
بفسحه وكانت احسن من اوروبا فلما وصلها كما انه كان امهر الضباط
واكثرهم نشاطا ودابة ولقد ساعده البابا على قدر جهده في نجاح هذا
المشروع الحميد وكانت طائفة مألطة تبغض المسلمين بغضه شديدة فان خرجت

مطلب

استعانة المولى حسن

بعد طرده من مملكته

بالاميراطور شر لكان

في ٢١ من شهر نيسان

سنة ١٥٣٥

مطلب

تجهيزات الاميراطور

لهذه الغزوة

سنة ١٥٣٥

من عندها دونها اخرى ثم وان كانت هذه الدوتما صغيرة الا انها كانت في المعنى
كبيرة نظرا لتجماعة عساكرها الثوارية وكلفت مينا كاغلياري التي
في سردينيا هي الملتقى لجميع هؤلاء العساكر البرية والبحرية وجعل
الامير دوربه قيودان باشا على الدوتما والمقرم دعوات مرعسكر
المشاة

حظي
تقول الایمبراطور
في افرقة

وكلفت الدوتما تشتمل على خمسمائة سفينة وكان بها من العساكر المنتظمة ما ينيف
على ثلاثين الفا وصافرت من مينا كاغلياري في السادس عشر من شهر غوز
وقام يحصل لها ما يعطل سيرها حتى رست أمام قونس وكان بربروس قد
بلغه خبر التجهيزات الجسيمة التي جهزها الایمبراطور فادرك الغرض منها
واستدعى مع الحزم والعزم للمدافعة عن قنوجاته الجديدة واحضر رجاله الذين
كانوا منتشرين في البحر واحضر ايضا من مدينة الجزائر جميع العساكر الذين
امكنه احضارهم من غير ان يضرب صقلا المدينة ويقتل رسلا الى سائر ملوك
افريقية من مغاربة وعرب ووصف لهم المولى حسنا بأنه كافر حيث انه
يخترد الطمع وقصد الانتقام التام الى ملك من ملوك التصاري وتغريب معه على
دمار دين الاسلام فعرف بمثل هذا الحيل ان يشترقوس هؤلاء الملوك الذين
كانت جميعهم الدونية بالغة الغاية فاخذوا السلاح جميعا واستعدوا لقتال
الكفار ودفعهم عن بلاد الاسلام واجتمع في قونس عشرون الفا من انبيالة
وطائفة كبيرة من المشاة وقرق عليهم بربروس هدايا عظيمة حتى لا تقترهمهم
بالتأني والامهال ومع ذلك كان لا يؤمل نجاحا لان عساكره كانت خفيفة
بخلاف عساكر الایمبراطور من قراية وخيالة فانها كانت شاكية السلاح
فلا يمكن لعساكره مقاومتها كما كان تعويله على قلعة غوليطة وعلى العساكر
العثمانية الذين كانوا معه لانهم كانوا في التسليح والضبط والربط على نسق عساكر
الافريج فادخل حياطة آلاف من العساكر العثمانية وامر عليهم رجلا يقال له
سنان وكان يهودي الاصل وكان ابن صبح زبائل بربروس واعظمهم
في التجارب واكثرهم دراية بالوقائع والحوادث ومع ذلك حاصر الایمبراطور

مطلب
حصار قلعة غوليطة

حقة ٥٣٥

تلك القلعة واحاط بهم من سائر جهاتها حيث كان اذ ذلك متمسكا على البحر
كان لا يتص من معسكره شئ من الامور اللازمة بل كان عساكره يجردون
ما يشتهون حتى ان المولى حسنا لعدم تعوده على رؤية مثل ذلك في الحرب
فجذب من شوكة الايمبراطور ووصلته ويحضر ضرر لكان قوي عزم عساكره
وصاروا يخشون بسفك دمهم في هذا الحرب المممود ويتساقون الى ما فيه
الخطر من الخطرات لما في ذلك من مزيد الشرف والتفخر وقد قسم جيشه الى
ثلاث فرق الفرق الاولى عساكر المانيا والثانية عساكر اسبانيا والثالثة
عساكر ايطاليا واقام كل فرقة في جهة من جهات القلعة وامرهم بالصوم
عليها فجمعوا جميعا دفعة واحدة مع الجبهة التي تنشأ من القوة المليية لدى
المسافة هذا وقد ابدى حسنا من العزم والشجاعة ما يظهر به أنه جدير
بتعويل بربروس عليه وتجلبد المهاضون ايضا على المشاق العظيمة والتعب
والنصب الذي لحقهم متقا الحصار فكانوا يخرجون غالبا من القلعة ويجمعون
على المحاصرين ويسطلون ما صنعوه وكان العرب والمغاربة يكثرون الصوم
على معسكر الايمبراطور ويفجعون عساكره ومع ذلك اتسعت شروم اسوار
القلعة من جهة البر وكانت السفن ايضا تضرب ضربا شديدا على التحصينات
المبينة من جهة البحر حتى اخذت القلعة عنوة مرة واحدة من سائر جهاتها
وبعد أن قاوم حسنا الاعدام حق المقاومة نزل الى المدينة مع من بقي
من المهاضين الذين كانوا معه في القلعة وبدا اخذ هذه القلعة استولى الايمبراطور
على دونغا بربروس وكانت تبلغ سبعا وثمانين سفينة كبيرة وصغيرة واستولى
ايضا على الترسانة وعلى ثلثمائة مدفع اغلبها من التوج وكانت مصفوفة على
اسوار القلعة وهذا القدر من المدافع كان عجيبا بالنظر في ذلك الوقت فيدل على
اهمية تلك القلعة وعظم شوكة بربروس وقد دخل الايمبراطور في قلعة
عربلطة من الشرم والتفت الى المولى حسن قائلا ها هو باب مفتوح
تدخل منه الى بلادك

مطلب
اخذ القلعة عنوة في
٢٥ من شهر رجب

فصل لبربروس فزع ورعب مما تقدمه لكن لم تقهره مهته بل صمم على أن يبذل غاية

سنة ١٥٣٥

جهده في محاولة اقتحام مدينة تونس من ايدي اعدائه وكان دائره
الدينة واساجتا واسوايا غير حصينة فكان لا يتفق النجاح في المداغة
عنها لاسيما وكان لا يتقرب سكانها ولا يعتمد عليهم بل ولا يؤمل من العرب والمغاربة
التجمل على مكابدة ميثاق الحصار فعزم على الهجوم بجيشه على معسكر العدو
وكان يبلغ خمسين الفا فاصدأت الامرة او عليه بهذه الوجهة وعرض ذلك
على كبار ضباطه وكان في القلعة عشرة آلاف من اسرى النصارى فاجبر ضباطه
أن يشاء هؤلاء الاسرى في القلعة يفضى بها الى الخطر لانهم وجماعهم امة
غيبية العساكروسلوا القلعة لاهل ملتهم من الاحتراس اللازم عدم الرأفة بهم
وقتلهم قبل مغر العساكر وخرجهم من المدينة فاستحسن منه الضباط امر
الهجوم على العدو لانهم مع قوة قلوبهم وشدة قسوتهم لتعودهم على القتل
والذبح بالصيال وقطع الطرق داخلهم التزع والرعيب حين عرض عليهم
بربروس ذبح عشرة الاف نفس دفعة واحدة فلم يوافقوه على هذا الرأي
فرضى بربروس بالاستبقاء عليهم خوفا من غضب الضباط للمروءة بشرية
اورأفة انسانية قامت به

مطلب
هزم الاميراطور
جيش بربروس

وكان الاميراطور في انشاء ذلك متوجها بجيشه الى مدينة تونس وخلق
عساكره من النقيب والتعب مالا يزيد عليه حيث كانوا يحشون على رمال
محركة والشمس تبطح رؤسهم ولا يجدون ماحيلون به صدامهم مع ذلك وصول
الى اعدائهم في مدة قليلة فلما رأى العرب والمغاربة أن جيشهم أكثر عددا من
جيش النصارى قوى عزيمتهم وجلوا عليهم جملة واحدة وهم يرفعون اصواتهم
بالتهليل لكن لعدم درايتهم بالeskرية وقلة ضبطهم وديبطهم لم يمكنهم
أن يثبتوا امام عساكر الاميراطور فحسن انتظامهم وترتيبهم فتمع حزم بربروس
وما بذله من الجهد في جمع جيشه والانتقام صفوفه والقائه بنفسه الى الاخطار
والاهوال حتى شوى عزيمتهم ويتأسوا به بتدليلهم وانهم زموا شرهزيمة حتى
ان بربروس فرمهم الى المدينة من غير أن يشعر بذلك فلما وصل اليها
وجدتها في اسوء حال حيث رأى بعض سكانها خارجا مع عائلاته وامنته

سنة ١٥٣٥

وبعضهم ما تلا الى التسليم للنصارى ووجد العساكر العثمانية متاهية للقراير
ورأى النصارى المأسورين فى القلعة قد تغلبوا عليها مع أنه فى مثل ذلك
الزمن كان يمكنه أن يلقي اليها ويتحصن بها وذلك أن هؤلاء الاسرى لقنوطهم
وبأسهم اتهمزوا القرصة بغيبة بربروس كما كان يتوقعه فنجرد ما بلغهم
أن جيشه صار بعيدا عن المدينة رشوا اثنين من الحرس وكسروا السلاسل
والاغلال والسجين وطردوا عساكر التركة الذين كانوا محافذين فى القلعة
ووجهوا مداخلها فها هم النصارى فلما شاهد بربروس المدينة على هذه
الحالة استولى عليه الياس والقنوط وفر هاربا الى مدينة بونة (عباية)
وهو يلوم ضباطه حيث كانت رأتهم فى غير محلها وندم كل الندم حيث قبل
قواهم ولم يقطع دابر هؤلاء الاسرى قبل خروجه من المدينة

مطلب
تسليم مدينة تونس

لم يرل الايمبراطور شرككان يتقدم جهة تونس وهو فى فرح وسرور
من تلك النصره التى لم يفقد منه فيها كثير من الرجال ولكن كان سيره مع البطي
والثأنى والاحتراس اللازم لمن حل ببلاد اعدائه وكان لم يبلغه ما حصل
فى المدينة حتى اتاه رسول من طرف النصارى الذين كانوا مسورين فى القلعة
واخبره بأنهم قاموا وتغلبوا على القلعة وطردوا منها الاعداء واتاهوا باضرار
من طرف المدينة معهم مفتاحيها وتضرعوا اليه أن يجمعهم من عساكره
حتى لا يضربوا بسكانها ولا يغلوا معهم امرا منكرا ويضا كان الايمبراطور
مشغولا بما يحترس به من وقوع النهب والسلب فى المدينة اذا اقتضى عساكره
عليها على حين غفلة خوفا من أن يمنعهم من الغنية وصاروا ينيبون ويسلبون
ويقتلون اهلها ولا يحترمون احد منهم فلم يمكن الايمبراطور حينئذ أن يمنعهم
ويردهم عن قسوتهم واجحافهم بالاهاى وصارت مدينة تونس غنية
للعساكر واشتدت بهم الحمية حتى صاروا لا يراؤن باهلها العدة اسباب كبايتهم
لهم فى الاخلاق والدين وقبيل فى هذا اليوم المشؤوم اكثر من ثلاثين الف شخص
لاذنب لهم فكانوا غريسة للقسوة النصرانية وامر عشرة آلاف وجلس
المولى حسن على كرسي علكيته والارض كالدهان من الدماء وورم القتلى

سنة ١٥٣٥

بما تركها ورعاياه يلعنونه لعنة الكفار لما أنه كان السبب في حلول تلك المصائب
بيلادهم واشتد بغض الناس له حتى رُمي لحاه من كانوا سيافيا ثقلت المصائب
و تأسف الإمبراطور على ما حصل من عساكره اذ كان سيافيا قد تيسر نغره
واطفا به جسته ولكنه رأى في لئنا ذلك ما يسليه في الجملة وهو أن عشرت الألاف
من أنصاري الذين كانوا أسودين بالمدينة وكان فيهم عدة أشخاص
مع ارباب الاعتبار والامتياز فمالوه عند دخوله المدينة وقبلوا الأرض بين يديه
ودعوا له بالنصر والظفر حيث فكهم من الأسر واتخذهم من أيدي أعدائهم
الجباية

مطلب
ولية الإمبراطور
للمولى حسن على
كرسي علكته

و كما وفي الإمبراطور شرلكان بوعده للمولى حسن حيث ولاءه نائبا على
كرسي علكته لم يغفل عما فيه مصلحة نفسه وامن رعاياه باذلال ارباب الصيال
من اهالي افريقية وذلك أنه عقد مشاركة مع المولى حسن تتضمن هذه
الشروط وهي أن علكة تونس تكون من التزامات ملك اسبانيا وتكون
تحت تبعية الإمبراطور وأن كل من كان اسيرا وقتل في دول المولى حسن
من أنصاري من اى طائفة كانت يحل عليه من غيرة فداء وأن رعايا الإمبراطور
يرخص لهم في التجارة في بلاد تونس وأن لا يكون عليهم حرج في التعبد
بدين النصرانية وأن تبقى قلعة غوليطه ملكا للإمبراطور وتسلم اليه كل
المينات المحصنة في المملكة وأن يدفع له المولى حسن كل سنة اثني عشر ألف
ايككولصار يف العالم اسبانيا لولية التي تقوم بحفظ قلعة غوليطه
وأنه لا يجتهد مشاركة ولا معاهدة بينه وبين أعداء الإمبراطور وأن يهدي
اليه كل سنة بوصف كونه من اساعه ست افراس مغربية وستمن طير البشار
وبعد أن تم مصالح افريقية على هذا الوجه وعاقب ارباب الصيال
واعدمن الاماكن ما يلحق اليه عساكره عند الضرورة واخذ لسنه مرسى
لطيف على السواحل التي كان يأتي منها ارباب الصيال ثم بدوله ركب البحر
ليعود الى أوروبا وكان ذلك في فصل يحكثر فيه عواصف الرياح وحلت
الامراض بعساكره فلم يمكنه أن يقتني اثر بربروس ويتبعه حتى

١٧ من شهر اب

يخضع عليه

والظاهر أن معاصري هذه الواقعة جلاوا فضلها في حسن التصدي منها بحسب الظاهر وتجنبوا سلك الامبراطور في تنعيمها من الابهة والمهجة وفي نجاحه فيها ولم يلتفتوا الى عواقبها المهمة وفوائدها الجمة حيث رقى بها الامبراطور الى ذوى القهار والشرف وكانت اجمع الحروب التي شرع فيها الى ذلك الوقت قتال من الاسرى عشرين الف من التنصاري بعضهم بالقوة وبعضهم بالمشاركة المتعقبة بينه وبين المولى حسن واعطاهم جميعا ما يلزم لهم من الملابس والدرهم ليرجعوا الى اوطانهم فاطنبوا بعد رجوعهم الى اوروبا في مدح الامبراطور والثناء عليه وبالقبول في وصفه بالحلم والكرم حتى صار له موقع عظيم في قلوب الافرنج واشرفت شمس فخاره في الافاق حتى خفيت بها نجوم غرغيره من الملوك لانهم ينموا كانوا مشغولين بمصالح انفسهم كان هو مشغولا بالدفاع عن التنصاري كافة وبمصيل ما فيه راحة اوروبا وامنها كصار جديرا بان تكون درجته اعلى الدرجات بين ملوك الافرنج

انتهت المقالة الخامسة

(المقالة السادسة)

من اتحاد ملوك الزمان * بتاريخ الامبراطور شريكان

واما الملك فرنسيس فن سوا مظه سلك مسلكا مباحا لما سلكه الامبراطور فسامت شهرته بين اهل عصره وذلك انه انتهر القرصة بغيبة الامبراطور لاجل قتال اعداء التنصاري وجدد طلب حقوق في بلاد ايطاليا فاوقع بلاد اوروبا في حرب جديد وقد اسبقنا ان مشارطة كبريه لم تمنح ما كان بين الامبراطور وفرنسيس من العداوة والبغضاء ولم تنقني من التناقض والمشقاق من بينهما وانما استمرت ظواهرها فقط لاسيما وكان الملك فرنسيس يترقب فرصة بعيد بها الى قسمة الثمرة والارض التي قددها فكان دائما لا ينفصل عن الدولة في هذا الشأن مع ملوك اوروبا وكان يبذل جهده في تقوية الغيرة التي قامت بنفس بعض ملوك الافرنج من ازدياد شوكة الامبراطور وشدة

سنة ١٥٣٥

مطلب

التضر الذي حازه
الامبراطور بسبب
هذا الحرب

مطلب

اسباب حرب جديد
وقع بين الامبراطور
والملك فرنسيس

سنة ١٥٣٥

طمعه وكان يجتهد في أن يودع في قلب البعض الإمبراطور سواس والزعيم
الذي كان قائما بنفسه من الإمبراطور وكان يخاطب في هذا الشأن كثيرا من
الأمراء لاسيما الأمير فرنسيس سفورس ثم وإن كان الإمبراطور هو الذي
ولى هذا الأمير على دوقية ميلان إلا أنه كان قد شرط عليه شروطا صعبة
جسدا فلم يقتصر على جعله من أتباع الإمبراطور بل الالمانية بل الزمه بدفع
لخراج حتى كما أنه من أتباع الإمبراطور نفسه ولم نفسه تشريفه بتزوجه
بنتاخت الإمبراطور الذي كان أعظم ملوك الأفرنج ما لحقه من مذلة التبعية
بل كانت نفسه لا تطيق ذلك حتى أنه مع ضعف شوكته وخوفه من الإمبراطور
بادر إلى قبول كلام فرنسيس حين عرض عليه أنه يريد فكه من قيد
التبعية وكان فرنسيس قد بعث إليه بسدد هذا الأمر بزيادة من دوقية
ميلان يقال له مرويل كان مقبلا إذ ذاك بمدينة باريس قسافر هذا
الأمير إلى دوقية ميلان متعللا بأنه يريد زيارة عائلته وأطربه والواقع
أن فرنسيس هو الذي أرسله إلى سفورس وكانت معه بذلك مكاتبات من
طرف الملك المذكور وقلقاء سفورس على سبيل أنه رسول من طرف
فرنسيس ووقع مزيد الاتهام بكتمان هذا السر وعدم إفسائه ومع ذلك أدركه
شرليكان ولا يدري هل أخبره به أحد أو أخذه بطريق الخدس والتخمين وعلى كل
بأدر إلى تخدير سفورس وتهديده كل التهديد حتى حصل له ولوزرائه رعب
شديد حتى قامهم بين الأفرنج حيث ظهر أنهم يخشون بأس الإمبراطور
وبطشه حتى عقد ذلك منهم من باب الجبن الذي يرضى بالمروءة ويدنس العرض
فبذلوا جهدهم في إرضاء خاطر الإمبراطور وأوقعوا المشاجرة بين مرويل
وأحد ضباط الدوق سفورس وكان مرويل غير جامع لمالاته عليه وتلقية
الالوية التي قلديها من الخزم والتبصر قتل الضابط الذي تشاجر معه قبض
عليه حالا وأقيمت دعواه وحكم عليه بالقتل وقتل في شهر كانون الأول
سنة ١٥٣٣ فاغشاها فرنسيس من قتل الخفية لأن الالوية محترمة عند سائر
الأمم بل والمملوك المتبرع بالثمنية وغضب لذلك غضبا شديدا إذ أن هذا الأمر

سنة ١٥٣٥

منقصية في حقه وترذيل لسانه فهدد سفورس ورفض شكواه الى الاميراطور
الذى هو القاضى فى الحقيقة لهذه القعدة لما فى ذلك من هتك حرمة حقوق
الدول وللذل. فلم يصفه الاميراطور ولا الامير سفورس برفع شكواه الى
سائر ملوك الافرنج وابتدى أن لهو الحق فى الانتقام لنفسه فى تقدير هذا الفعل
المخالف للقوانين وانه ان لم يبادر بذلك لحقته المعزة بين الملوك وانخط قدرة

مطلب
عدم وجود نصير
لفرنسيس

وبعد أن تعلل فرنسيس بهنما العلة فى اشهار الحرب الذى كان سميما عليه
من قبل جعل يبدل جهده فى ادخال غيره من الملوك فى حربه ولكن طرأت
اذ ذلك عوارض افسدت عليه ما كان يذبره وذلك انه بعد أن دفس عائلته
الملوكية بزواج ابنته لكاترينة المديسسية فاصدا بذلك ادخال البابا
كليمان فى حربه مات هذا البابا ويكنى الملك فرنسيس مما كان يؤمله من
هذا الزواج وكان البابا بولس الثالث الذى خلف كليمان يميل الى حزب
الاميراطور ولكن ظهر منه أنه معصم على التخلي عن الحزبين اذ لا يليق به اعانة
أحدهما على الآخر وهو بموجب منصبه ابوالنصارى كافة فيجب عليه
الاصلاح وازالة اسباب التناقم والشقاق من بينهم وكان ملك انكلترة مشغولا
اذ ذلك بمصالح دوله فتجنب فى هذه المرة الدخول فى المشاجرات وابتى أن يعين
فرنسيس الا اذا تأسسى به فى الخروج عن طاعة البابا

مطلب
مداد ولتم مع معتزة
المانيا

وكان فرنسيس لا يؤمل مثل ذلك من ملك انكلترة فلما رآه مخيئاً من اعاقته
اضطر الى الاستعانة بامراء المعتزة الذين كانوا من ارباب عصبة سمالكالد
فصار يستميل قلوبهم اليه بتلقاه لهم ومدحه لغيرتهم على عقائد هم التى ذهبوا
الىها ومداخعتهم عنها بما فى وسعهم واظهر أنه يستصوب آراءهم فى المسائل
الخلافية التى وقع فيها النزاع بينهم وبين ديوان رومة وأذن لرسوله ييلى
الذى بعثه الى بلاد المانيا أن يعرض على هؤلاء الامراء عن لسانه وأياه
فى المسائل المهمة الصعبة وأن يعبر فيها بالقاط قرية من الاقاط التى عبر بها
المعتزة وتعالى فرنسيس فى المخادعة واللاهنة حتى دعا مخلصون الذى
كان ممتازا بينهم بحسن الاخلاق ولبين العريكة الى الحضور بمدينة باريس

سنة ١٥٣٥

لهذا كرمه في شأن ما يكون به الإصلاح بين الحزبين ويزيل اسباب الشقاق
الحاصل بين الكنيسة ورجالها المعتزة وصكل ذلك منه بعض خداع وسياسة
وليس ناشئا عن اعتقاد وادعان باطن لان المذاهب الجديدة وان كانت
قد انتشرت تأثيرا قويًا في عقل اختها ملكة يوار قدوة قرارة لكنها لم تؤثر فيه
لانه كان مشغولا بالعب والاهو ومضيعة اوقاته في الفئات والشبهات كما هو
دأبه فلم يكن في اوقاته فصة حتى يتف على حقيقة المسائل التبولوجيكية
التي كان واقعها في النزاع وقتئذ

ولكنه عما قيل ظهر أن ذلك منه حيلة وخداع فلم يورثه الا المعتزة والتضيعة
لانه سلك مسلكا مخالفا لما اظهره لاهراء المانيا ولكن لا يخفى أن سلوكه
هذا المسلك كان قهرا منه اذ لم يحمله عليه الا بدع عصره واوهام رعاياه القاسدة
وذلك انه كان يئنه وبين ملك انسكرترة المحكوم بكفره وطرده عن الكنيسة
التشام كلى وكانت مداوله لا تنقطع مع معتزة المانيا وكان قد قبل رسولا
بعنه اليه السلطان سليمان فتوهم الناس فيه الضلال وقوى هذا الشك
عندهم حين صمم على الحرب مع الإمبراطور الذي كان كلما لاحته فرصة
يبدل غاية جهده في المدافعة عن الدين لاسبابا وكان تصميجه على هذا الحرب
حين كان الإمبراطور يستعد لقتال بربروس الذي كان معدودا
من الحروب المقدسة لما أن بربروس المذكور كان يهبط في كل النصراري
ويضربهم ويستعليم الطرق والمسالك فلاجل ازالة هذا الشك من قلوب
الناس رأى فرنسيس أنه يجب عليه ابداء براهين جليلة على صحة عقيدته
وعسكه دين الكنيسة وكان بعض رعاياه قد تمسك بمذاهب المعتزة وعنادتهم
فانتهمز تلك الفرصة واستعان بها على تضييع مرامه من ازالة ما قام بأذهان
الناس من زيف عقيدته وكان من اعتزل من رعاياه وضع على ابواب القصر
للالوك المسي لوفر وفي جميع الميادين والحوال السلطانية بطاقات مكتوبا
فيها عبارات مشتبهة على جمهور دين الكنيسة الرومانية قدّم اصوله واحكامه فقبض
على ستة من كتب هذه البطاقات او كان لهم دخل فيها وقتلوا بهذه الكيفية

مطلب
سلوكه فيما يقضب
امراء المانيا

سنة ١٥٣٥

وهو انه لاجل منع المصائب التي كان يتوقع حلولها بالناس لكثرتهم بالقدح
في الكنيسة عامر فرنسيس جعل موكب واحتفال عام وحمل القربان المقدس
وطيف به في الحارات والازقة الكبيرة من المدينة وكان فرنسيس في اول
الموكب مكشوف الرأس ويده شعله ناراً وامراء عائلته حاملون مظلة لهذا
القربان وجميع الامراء والبيكرادات خلفهم صفافاً ثم صاح الملك في هذا
الموكب الحافل مع الحمية والجناس كما هو عادته عند التسكك فالتان كلت
احدى يدي فحسبت باعتزال الكنيسة قطعها بالانحرى تطهيرها ولا ارأي
من خرج عن دينها ولو كان من اولادى هذا ولاجل البرهنة على صحة ما قاله حكم
بحرق الستة المقبوض عليهم فرفوا على رؤوس الاشهاد قبل انتهاء الموكب
واذيقوا قبل الحرق هذا بشديداً ففر منه نفوس اهل المروءة ولا يستطيع النظر
اليه من به ادنى شفقة

مطلب
استناع ارباب عصبه
ممالكه عن الانضمام
الى حزبه

فلما بلغ ارباب عصبه ممالكه ما صنع الملك فرنسيس مع من اعتزل
من رعياه غضبوا كل غضب وعرفوا انه كاذب فيما اظهر لهم انه كيف
يدافع في بلاد المانيا عن مذاهب المعتزة ويعينها في بلاد ويغاقب من تمسك
بها من رعيته اشتد العقاب عن ثم لم توفهم فصاحة بيلي ولا ماسلكه
معهم من الخديعة والمكر في استمالهم الى حزب سيده فرنسيس لاسيما
وكان الايمراطور الى ذلك الوقت لم يفعل شيئاً منكراً مع المعتزة ولم تعرض منع
تقدم مذاهبهم واتساع دائرته بل التزم في مشورة الذينة المنعقدة بمدينة
واتسبوتة انه لا يؤذى من اتبع دين المعتزة فكان من حزم هؤلاء الامراء
الالمانية وسداد رأيهم انهم رأوا تعويلهم على الايمراطور ومواعيده المحققة
اقرب الى الصواب من تعويلهم على مواعيد فرنسيس المتظونة البعيدة
التي كان يخادعهم بها لاسيما وكان تخليه عن معاهدته وحلفائه في صلح كبريه
راضى في الاذهان فلم يستطع أحد أن يثق بمحبته وكرمه ويعتمد عليه في شيء
فذلك الاسباب البعيدة ابي امراء المانيا أن يشعروا فرنسيس بامداد
يستعين به على الايمراطور شرلاً كان فلم يأذن رئيسهم الامر متجنب

سنة ١٥٣٥

سكنس للعالم ميلختون أن يسافر الى مملكة قرانسا خوفا من غضب
الامبراطور ومنع الربية والشك وان كان ميلختون فرح السفر فرحاشديدا اما
لكونه دعاء الى ذلك ملك عظيم الشوكة جليل القدر لانه كان يرى أن حضوره
بدون قرانسا الملوك يعود بالرفع على حرب المعجزة

ومع أن ملولنا الا فرح وامراءهم كانوا اذ ذلك ما بين خائف وغائر من ازدياد شوكة
الامبراطور وبطشه لم يرض احد منهم أن يعين فرنسيس على ما كان يقصده
من منع ازدياد هذه الشوكة ونحوها ولكن مع ذلك لم يرزل فرنسيس معهما
على قصده ووجه جيشه الى ضواحي ايطاليا وحيث انه لم يشرع في الحرب
الامتلاء بما عاقبه دوق ميلان في قتل رقتله لرسوله لما في ذلك من هتك حرمة
حقوق الدول والملل كان يظهر أن غرضه اخذ دول هذا الدوق بهذه الحججة ولكنه
حول جيشه الى دول اخرى وذلك أن الامير كرلوس دوق ساوية كان
قد تزوج باميرة البورتنغال وهي الاميرة ييآ تريكة اخت الامبراطور
شرلكان وكان هذا الدوق اقل امراء عائلته نشاطا ومهارة وكانت الاميرة
المذكورة التي تزوج بها ذات معارف وعوارف فاخذت بعقل زوجها
ومارت تصرف فيه كيف شامت ولشجها بكونها اخت الامبراطور
اولا بغيرها بالامور المزخرفة التي كان يعدها بها اخوها جعلت بين الديوان
الامبراطوري وزوجها علائق وروابط بعد أن كان زوجها الى ذلك الوقت
لم يتعرض لمعاودة الامبراطور او فرنسيس لاسباب سياسية حيث كان يرى
بالنظر الى وضع دوله أن تخليه عن كل منها هو والصواب وغير ذلك بضرته وكان
ملك قرانسا يعلم انه يحاطر بنفسه اذا هو دخل بلاد ايطاليا قبل
أن تغلب على دول هذا الامير الذي كان يميل كل الميل الى مصالح الامبراطور
حتى انه ارسل ابنه البكرى الى ديوان مدريد ليتربى هناك ويكون رهينة
عند الامبراطور على امانته وبعده عن الحزب الامبراطوري وكان
البابا كليمان السابع حين تقابل مع الملك فرنسيس بمدينة مرسيليا
افهمه شدة هذا الخطر و اشار عليه أن يبدأ قبل انذاره على دوقية ميلان

مقابل
توجه جيش
الفرنساوية
الى ايطاليا

سنة ١٥٣٥

مطلب

تغلب فرنسيس على
دول الاميردوق ساپوة

بأخذ إقليم ساپوة واقليم بيجون وافهمه انه اذا تغلب على هذين الاقليمين
لا يبقى هناك ساجز فصل بينه وبين مملكته مادام ميلاد ايطاليا فيسمل عليه
تخصيم قاصده وما ربه وبدون ذلك لا يتم له مرام وكان ثم عدة اسباب وجب
كراهة فرنسيس لدوق ساپوة منها انه كان اعطى الاميردى يوربون جميع
الاموال التي جمع بها بعد عصيانه العساكر الذين هزموا عياكر الفرنساوية
في واقعة باويا المشهورة فلما لاحت هذه القرصة لفرنسيس اخذ يظهر
غمه مما سبق من دوق ساپوة وأنه يتقم عن اسامه ولويهذين وكان ثم عدة
اسباب بها يتراى أن ظله الذي عزم عليه ليس الامن باب العدل والانصاف
وذلك أن دول ملكة فرنسا واقليم ساپوة كانت متصلة ببعضها بل
ومتداخلة في بعضها من عدة جهات فكان ينشأ عن ذلك مشاجرات دائمة
ومنازعات مستمرة في شأن حدود اراضي كل من فرنسيس ودوق ساپوة
وزيادة على ذلك كان لفرنسيس بواسطة اميرة لورaine اميرة ساپوة حق
حكما كان ينبغي لها انقسامه مع اخيه ادوق ساپوة المذكور من املاك
ايبها ولكن اراد فرنسيس أن يني حربه مع دوق ساپوة على اسباب
اخرى خالية عن الشبهة ليست كهذه الاسباب مضى عليها احقاب انست
ذكرها فالتبس من الدوق المذكور أن يأذنه بالمروءة من اقليم بيجون
ليدخل دوقية ميلان وكان جازما بأن الدوق ليله الى الايمبراطور لا يرضى
بمروءة من هذا الاقليم فيمتن ذلك عليه في الانغارة على بلاده وتخصيمها كان مصحما
عليه ولكن لم يتوقف هذا الدوق في قبول هذا الامر حسبا ذكره مؤرخو ساپوة
الذين هم اعلم بهذه الواقعة من مؤرخي فرنسا لأنه لم يكن له قدرة على الامتناع
من قبوله بدون أن يخاطر بنفسه فوعده أنه يترك جيش الفرنساوية بمروءة
الى حيث شاء وبناء على ذلك تميق للملك فرنسيس في الانغارة على بلاده
سوى كونه يلزمه بتوفية ما يطلبه تاج فرنسا من عائلة ساپوة
بناء على حقوق الاميرة لورaine فلم ياه في هذا الشأن الاجواب مبهم قليل
الجدوى حسبا كان فاعلم بنفسه فتوجه بجيش الفرنساوية حالا الى بلاد الدوق

سنة ١٥٣٥

وكان رئيس هذا الجيش الامير دوبريون فجهم على دول الدوق من عدة جهات وتقلب في اسرع وقت على اقليم برية واطليم بويج وكانا حيثما مضافين الى دوقية سابوة وقصفت اغلب مدائن هذه الدوقية ابوابها عند دنو جيش القرنساو بينهم ابواب البعض الذي لم يسلم واراد المقاومة اخذ عنوة في اقرب وقت وقيل انتهاء الحرب صار الدوق مجزدا عن دوله ماعدا اقليم بيجون فالتحق له فيه بعض مدائن حصينة تدافع عن نفسها

طلب

عود مدينة جنينورة الى حريتها

ولاجل اتمام المصيبة على هذا الدوق خرجت مدينة جنينورة عن طاعته وكان يرغم انهاءه حتى كان له سلاطة عليها من بعض الوجوه فخر عصيانها الى عصيان سائر الاراضي المجاورة لها وكانت جنينورة وقتئذ من المدائن الاميراطورية وكان يحكمها مباشرة اساقفة من اهلها فقت تبعية ودقات سابوة ومع ذلك كانت قواتها الداخلية جمهورية محضة فكانت محكومة بوكلاء ومشورة مخصوصة اربابها يقتضيم الاهالي من ثم حصل الشقاق فيما وافترق اهلها فرتعين مكنتا ز منا طويلا يتنازعا في شأن هذه المدينة الجمهورية فكانت احدهما تدافع عن حزايا الجمهورية وكانت تسمى اينوترة اى حرب المتعاهدين للدفاع عن الحرية العامة وكانت الثانية تعضد من ايدوق سابوة وتدافع عن حزايا الاساقفة فمحوها باسم ماملوس اى الارطاء احتقار الهم فلما دخل دين المعتزلة في هذه المدينة اودع في قلوب من تمسك به الجسارة الكبيرة و الجراحة التامة التي تنشأ عادة في كل قلب تعلق بهذا الدين وكان كل من الاسقف ودوق سابوة عدوا ميثا للدين المعتزلة لعدة اسباب من مصالح خصوصية واوهام كاسدة ومقاصد سياسية فضيقا على الناس كل التضيق في شأن هذا الدين فغضب الاهالي من هذا التضيق وصالحا المعتزلة كلهم ينضمون الى حربي الاينوترة فانضمت بذلك الحمية الدينية الحجب الحرية فازداد عزم الناس وعظمت قوتهم وكبر الشقاق والتفاقم بين الحزبين فتكاثر القتلى وكان الغالب في الاكثر حزب الحرية فكان يتغلبه كل يوم على طعاض جديدة فابطل دوق سابوة والاسقف ما كان بينهم من المشاجرات والنزاع في شأن

سنة ١٥٣٣

سنة ١٥٣٥

سنة ١٥٣٤

شوكتهم ومزاياما واجتماعا لقتال حزب الايوتزة الذي كان عدوا
 لهم فقاتله كل منهم باسلاحيه اما الاسقف فحكم بكفر اهالي مدينة جنيورة
 لاتباعهم لدين المعتزة ونحو وجههم عن دين النصرانية مع تقديمهم على حقوق
 الاسقف واما الدوق ففهم تعليم بطريركهم عن طاعته وله حق الملك عليهم
 وعزم على انه يغلب على المدينة أولا بالخليلة والخلديعة فاذا لم ينجح اخذها
 عنوة وغلب عليها بمحض القوة ولكن احقر اهاليها حكم الاسقف عليهم بالكفر
 ودافعوا عن انفسهم حق المدافعة لياخذوا حريتهم ويستقلوا بانفسهم وكانوا
 مع شعابهم قضاة لهم مدد عظيم من قطر برنة لانه كان متعاهدا معهم
 واعانهم ايضا ملك قرانسا حيث ارسل اليهم ستر اموال اورجالا لانخبات
 امال دوق ساوارة ولم ينظر بجرامه من التغلب على المدينة ولم يقتصروا
 على دفعه عن انفسهم وطرده بل انتهزوا فرصة مجزه عن مقاومتهم وبها
 كان جيش الفرنساوية يشن الغارة على بلاده تغلبوا على عدة قلاع
 وحصون كانت له بجوار مدنتهم فاراحوا بذلك انفسهم من رؤية تلك الاكار
 التي كانت تذكرهم بتبعيتهم لغيرهم وامنعوا على حريتهم حيث ان تلك القلاع
 تعينهم عند الضرورة على اعدائهم وفي اثناء ذلك حصل ان قطر برنة انغار
 على بلاد وودة وغلب عليها بناء على ما كان يرغمه من ان له الحق فيها واما قطر
 فريسورغ فخرج تحسكه بالدين القاتوليقي وعدم وجود مقتضى للشقاق بينه وبين
 دوق ساوارة اراد ان يتنسم مع غيره سلب هذا الدوق فتغلب على بعض
 اراضيه وبالجملة قد تغلب كل من هذين القطرين على جزء عظيم من اراضي دوق
 ساوارة ياق معه الى الان فازدادت بذلك شوكة وصولته وقد صارت هذه
 الاراضي الان الطف بلاده ومع ما فطره فيما بعد دوقات ساوارة ليعيدوا
 حكومتهم على مدينة جنيورة لم تزل تلك المدينة مستقلة برأسها باقية على
 حريتها وذلك صارت معتبرة لكل الاعتبارين الدول وعظمت ثروتها
 حتى وصلت الى درجة جليلة كان لا يمكنها الوصول اليها لو لم تكن حرة مستقلة
 بنفسها

سنة ١٥٣٥

وبينما دوق سبوة قد نزلت به تلفة المصائب المتتالية ولم يرمي يستغف به
الا الايمبراطور اذ رجع شرلكان منصورا من بلاد تونس فاستصرخ به
هذا الدوق استصرخ المستغيث المذكور وبوكان له الحق في كونه يؤمل الاغاثة
منه لان ميله الى الايمبراطور وصرعاته معاملة هو الذي اوجب له تلك المصائب
ولكن كان الايمبراطور لا يمكنه أن يسعفه بالاغاثة حسبا كانت تقتضيه حالته
اذ هذا لان معظم العساكر الذين غزوا معه في بلاد افريقية كانوا مستأجرين
لهذه الواحة بخصوصها فيعبر دفر اغها سرحوا وخلي سبلهم واما العساكر
الذين كانوا مع الامير استواند وليوه فلم يكن فيهم كفاية للمدافعة
عن دوقية ميلان فلم يمكنه أن يفصل منهم فرقة ويرسلها الاغاثة الدوق المذكور
وايضا كانت خزائن الايمبراطور قد خدت في المصاريف الجسيمة التي صرفها
في حرب افريقية

٢٤ شهر تشرين
الاول
مطلب
موت الامير سفورس
دوق ميلان

ولكن مات في اثناء ذلك الامير فرنسيس سفورس وكان سبب موته على
ما ذكره بعض المؤرخين انه داخله الخوف والرعب من اغارة القرنساوية
لان اغايتهم في المزمين السابقتين كانت قد اضررت بعائلته كل الضرر فقامات
اتسع الوقت مع الايمبراطور وامكنه أن يستعد للحرب بجميع لوازمه لان موت
هذا الامير كان على حين غلة فقير موضوع المشاجرات والحرب حيث كان الملك
فرنسيس يظهر أن قصده من الحرب هو متابعة الدوق سفورس في نظير
كونه هتلك حرمه فرانسوا يقتله لرسولها فبعثت هذا الدوق زالت تلك العلة
وكان الملك فرنسيس قد تمخلى عن حقه في هذه الدوقية للدوق سفورس
وذريته وحيث ان سفورس مات ولم يعقب ذرية كلن مرجع هذا الحق
الى صاحبه وهو ملك فرانسوا الذي كان غرضه الأصلي من الحرب هو انتظ
على دوقية ميلان فلما طلبها بمجرّد موت سفورس ولو كان حين طلب
حقه ايد ذلك بتوجه جيشه الجزائر الذي كان مقبلا في سبوة الى دوقية
ميلان لتغلب عليها مع السهولة وقازيها به الا انه كان كئيبا في السن
قل عزيمه وقد تدهمت له لان ما حل به سابقا من المصائب كان مرسوما في ذهنه

سنة ١٥٢٥ ر

مطليح

دعوى الملك فرنسيس
في شأن دوقية ميلان

لا يبرح عن فكره فكان تذكر ذلك بقضى به احياء الى العجب والحوال فوضيا
عن اثبات حقه في دوقية ميلان بطريق القهر والغلبة اقتصر على المداولات
وسكنت المكاتبات بينه وبين الاميراطور مدة طويلة قسأ عن هذا الحول
الذى يتولد عادة من الخوف ويضرب صاحبه في المصالح الجسيمة أث فرنسيس
غفل عن انتهاز تلك الفرصة التى كانت تعينه حق الامانة على اخذ دوقية
ميلان فوضع الاميراطور شر لكان يده على هذه الدوقية بوصف كونه
سيداعلميا وهى تابعة له كبقية الالتزامات التابعة للاميراطورية حيث ان له
الحق في وضع يده عليها متى خلت عن الملك ويبقى كان فرنسيس يضع اوقافه
في تأييد حقوقه بالبراهين والادلة ويذل جهده في استمالة الدول الايطالية
اليه حتى لا تنزع منه اذا حكم ثانيا في ايطاليا كان الاميراطور شر لكان
يحترس من ان ياكل ما يلزم لفسد عليه آماله ويخيب سعيه واهتم باخفا مقاصده
حتى لا يعلم اعداؤه ما في ضميره من مبدأ الامر فكان يظهر أنه يقر ويعترف بعصبة
ما يقوله ملك فرنسا واتما هو مخير في كيفية رد دوقية ميلان اليه بدون
تعكير على بلاد أوروبا وعدم اختلال ميزان التعادل الموجود بين دول
ايطاليا لاسيما وكان ارباب السياسة في هذا الدول يحافظون على ابقاء
هذا التعادل بين دولهم فبهذه الحيل خدع الملك فرنسيس وسائر ملوك
الافرنج حتى اتسع معه الوقت وامكنه أن يحدث مشكلات جديدة شغلت
اعداءه والهمهم عنه من غير أن يفهم عليه ادنى شيء يوجب الوسوسة
في صدور الناس فكان تارة يعرض أن تعطى دوقية ميلان للامير دوق
دورليان ثانيا اولاد الملك فرنسيس واخرى يعرض أن تعطى للامير
دوق دانفوليم ثالث ابنا الملك المذكور وحيث كان في ديوان فرنسا خلاف
فيمن يتولى حكم الدوقية المذكورة من هذين الاميرين صار الاميراطور تارة
يختار الاول وتارة يختار الثاني وكان ذلك مع المحادعة التامة والمكر في اخفاء
ما بضميره حتى ظهر أن الملك فرنسيس ووزرائه لم يدركوا مقاصده الحقيقية وظهر
بايقاف الحرب من ملك فرنسا انه خطر ياله أن لا شيء يمنعه من وضع يده

سنة ١٥٣٦

مطلب
تأهب الإمبراطور
للحرب

على الدوقية المذكورة

وكان الإمبراطور في أشبه هذا الزمن الذي شاعل فيه أعداء يستعد للحرب ويجهز موارده ومهماتهم ولم يرزل ينصّل على دول سيسيليا وناپلي حتى امتدته بامدادات عظيمة لم يسبق مثلها إلى ذلك العصر فذلك أنه لما شرفهم بحلول ركابه السامى ببلادهم بعد رجوعه من بلاد تونس متصورا مؤيدا أرادوا أن يظهروا أمامه بالكرم والنخاء فمضوه هذه الامدادات الحسبية التي امكنه بها أن يجمع حساكرا القديمة وأن يجمع من بلاد المانيا طلائع أخرى ويستعد بكل ما يلزم لتخصيص أغراضه التي كان مصمما عليها وكان الأمير بيلي المبعوث من مملكة فرنسا حاضرا اذ ذاك البلاد المانيا عرفت القصد من جمع العساكر ولم يتخذها ما ظهره اهل المانيا من الخيل في إلبام الامر عليه فكتب لسيدته فرنسيس صورة الواقعة واخبره أن ذلك يدل على عدم صدق الإمبراطور فيما يقول ومثل هذه النصيحة كان حقها أن فيه الملك فرنسيس من غفلته لكنه كان اذ ذاك مولعا بالمدالات والمكاتبات وكان خصمه امهر منه في هذا المجال فعوضا عن أن يشرف على الحرب مع عزمه المعتاد ويغلب على دوقية ميلان قبل اجتماع الجيش الإمبراطوري اكتفى بعرض امور جنيدته على الإمبراطور ليعطيه هذه الدوقية بمحض ارادته وكانت فائدة تلك الامور عائدة على الإمبراطور وكانت عظيمة بالمدى بحيث لو كانت طوية الإمبراطور تالصة لما امتنع من قبولها الا أنه لما كان مضرا خلاف ما يظهر وكانت لها رب أخرى حاول في قبول هذه الامور قائلا انه لا يمكنه أن يت شيا في هذا الشأن الا اذا كرهه مع البابا حيث ان ذلك يتوقف عليه أمن بلاد ايطاليا واطمئنانها وهذه الحيلة اتسع معه الوقت بالكلية حتى امعن النظر وتمكن من تخصيص أغراضه التي كان مصمما عليها وعرف عواقبها ومسبباتها وما يترب عليها

وبعد ذلك توجه الإمبراطور إلى مدينته روم فدخلها في موكب عظيم واحتفال عام ونصحت حيث قد حادثة واهية ذكرها بعض المؤرخين وجعلوها

٦ من شهر نيسان

لغظتهم علامة على ما وقع بعدها من الحرب للمهول وهي أن الازقة كلفت ضيقة لا يمكن أن يتر منها موكب الإمبراطور وكان هناك هيكل مهدوم يقال له هيكل الصلح فلاجل توسيع الازقة لم يور الموكب لزم رفع اطلال هذا الهيكل واتحاضه هذا الواقع أن الإمبراطور كان قد رفض ثلاث صلح فلما جمع امره اظهر ما كان يضمه مدة طويلة في شأن ديوان فرانس وبين حقيقة ما ربه على وجه واضح لا يقبل الريب وذلك أن رسل فرانس طلبوا منه جوليا يتاعما عرضه عليه سيدهم الملك فرنسيس لينال منه حكومة دوقية ميلان فوعدهم الإمبراطور بالاجابة الى غد بحضور البابا والكردينالات فاجتمع في اليوم الثاني البابا والكردينالات في الديوان ودعيت رسل الملل الاجنبية الى الحضور ثم قام الإمبراطور ووجه خطابه للبابا واطال الكلام المؤذن بجملة الى ابقاء الصلح والراحة بين الملل التصراية وبغضه للعرب وما يترتب عليه من الاحوال والمصائب وحكى في هذا الشأن كلاما طويلا كلن قد استعصره من قبل واعتنى بحضته فذكر أن مساعيه في شأن الصلح وابقاء الراحة في اوربا قد افسدها عليه الان طمع ملك فرانس وظهور تعذيه وانه قبل أن يبلغ سن الرشد قد فعل هذا الملك معه ما يدل على بغضه له ويشعر بمقاصده المضرة به حتى انه فيما بعد قد ظهرت هذه المقاصد حق الظهور حيث سعى في محاربه من التاج الإمبراطوري مع انه حقه وحق آباءه من قبله وانه منذ قليل اغار على مملكة وار ولم يكف بهذه المظالم بل هجم على اراضيه وارضى حلفائه التي بلاد ايطاليا ومملكة البلاد الواطية وبعد أن حصل التأيد من القدير العلي عز وجل واتصرت عساكره على جيش فرنسا وية واسر الملك فرنسيس في واقعة شهيرة لم يرجع هذا الملك عن تلك المقاصد المتأينة لشعائر العدل والأناصف بل لما عجز ورأى قواه قد ضعفت وبادت جعل يسلك مسلك التسلل والغش ولم يلتفت الى شيء من البنود المقررة في مشاركة مدريد التي كانت مبنية خلاصه من الاسر وتخليه ببيله فانه بمجرد دخوله في مملكته جعل يستعد للعرب مع أن هذه المشاركة

مطلب
استناد على فرنسيس

انما انعقدت لابطال الحرب والتراخ فهزمت عساكرها ايضا واضطر الى طلب
الصلح وانعقدت مشاركة اخرى بمدينة كبيرة لكن نلت طويته ليعقدها
الا وهو مصمم على قضاها وعلم العمل بمقتضاها حيث انه بعد انعقادها قليل
تعاهد مع المعتزلة من امراء المانيا وحرضهم على القيام والعصيان ليضعوا
راحة الايمبراطورين ويوقعوها في الاختلال والفتن والاهوال والمحن وعما قيل
اغلد على دوق سابوة وطرده من معظم بلاده مع أنه كان متعاهدا
مع الايمبراطور ومتروجا باخته فينهما علاقة المصاهرة والمعاهدة فخل هذه
المطام العديدة والاسباب الاكيدة الموجبة للشقاق والتفاقم لا يمكن معها
حصول الالتزام والتوافق وزاد الايمبراطور على ذلك انه وان كان يميل الى اعطاء
دوقية ميلان للملك فرنسيس الا ان الظاهر انه كان لا يمكنه ذلك
لان فرنسيس لا يرضى بقبول الشروط اللازمة حتى لا يضر ذلك راحة
بلاد اوروبا ولان الايمبراطور لا يرى من الصواب أن يعطيه هذه الدوقية
من غير أن يلزمه بالشروط والاحتياجات اللازمة حتى لا ينشأ عن استيلائه
عليها ما يضر بالملحة النصرانية ومع ذلك لا ينبغي لنا أن نسفك دماء رعاياها
وانما تتم خصومتنا بقتال خصوصي بيني وبينه في ميدان حرب وله أن يختار
ما شاء من انواع الاسلحة ويقضى الله ما يريد ويكون قتالنا في جزيرة
او على قنطرة او سفينة مروطة على نهر او غير ذلك ونبقى دوقية بورعونيا
مرهونه عندي من طرفه ويرهن عنده من طرفي دوقية ميلان ومن غلب
من ثابت له الرهن الذي تحت يده وبعد ذلك نجتمع عساكر المانيا واسبانيا
وفرانسا لترغم انف الدولة العثمانية ونحقق الاعتزال ونحو آماره من بين الملل
النصرانية فان امتنع فرنسيس من تميم العصومة على هذا الوجه وابتى
الاحرب فلا شيء يمنعني حيث نذعن التفاني في معي يصير احدا فاقتراب
ملكته ولا أخشى أن أكون أنا المغلوب بل ادخل في الحرب بقلب سليم لا ينزع
وآمل النصر والنجاح بل واجزمه وانيقنه كيف لا والحق معي ولي ما يؤيدني
وهو التثام رعي وكثرة جنودي وشجاعتهم وامانة رؤساء عساكرى وكثرة

مطلب

دعاء الايمبراطور الملك
فرنسيس الى مقاتلة
خصوصية

تجاريهم وامامك فرانساً فليس له شيء من ذلك فلو لم تكن وسائلي اكثر
من وسائله ولم يكن رجاى النصر مؤسسا على اسباب اقوى وأكثر كد من
اسبابه لمذهيت اليه حالا مغلول اليدين والعنق وقعت على اقدامه وطلبت
منه العفو والسماح

وقد خطب الایمراطور هذه الخطبة الطويلة بعلو صوته مع الحمية والحماسة
على وجه يؤذن بالامارة والشجاعة وكان الرسل الفرنساوية لا يفهمون جميع
معاني ما احتوت عليه هذه الخطبة لانه قالها باللغة الاسبانيولية قصيرا وكل
التصريح حيث كانوا لا يعرفون ما يعجبون به عن هذه المسبة الظاهرة التي لم تكن
تخطر لهم ببال واراد احدهم أن يتكلم ليعرئ سعيه من ذلك فاسكتته
الایمراطور باغلاقه عليه ولم يأذن له بالكلام واما البابا فلم تعترض له بشيء
وانما اوصى بالصلح واوجر في العبارة مع الحمية والحماسة قائلا ما بذل جميع وسعي
في ايقاع الصلح بين الملل النصرانية حتى لا يقل نظامهم ويحتل حالهم ثم اقتضى
الجلس وقام اربابه وهم في غاية العجب من قول الایمراطور ولا شك
أن الایمراطور في هذه المرة قد تجاوز عاداته وعدل عن سنن طباعه حيث كانت
عادته أن يتفكر في العواقب ويسلك سبيل الحزم والتبصر ويراعى مكارم
الاخلاق وشعار الادب فيبقى ما ربه ومقاصده حتى لا يدر كها الحدو وطالما تعجب
الناس من وجود هذه الاتصال فيه في غير هذه المرة واما في هذا المجلس فسلك
مسلك الجراة والسفاهة حيث مدح نفسه واقتصر في ديوان الكردي نالات بغزواته
وحروبه وظفرو باعداته وسب خصمه كل المسبة ودعا الى القتال لخصومي
على وجه يليق بابطال الحكايات الباطلة وانحرافات التي لا تليق بمن كان اذذاك
اعظم ملوك النصرانية ولكن يسهل ذلك عندي اذا التفت الانسان
الى ما وقع له غير مرة من الطفر باعداته ومدح المتكلمين فان ذلك له تأثير قوى
ولو في النفوس العلية وكيف انه صد السلطان سليمان مع شدة بطشه
وقوة شوكته انذاك لم يؤخذ عليه ببربروس مع عظم صولته وهيبته
في سائر السواحل ولا يرى نفسه أنه غضنفر او انه وضرب عام زمانه ولكن من حين

مطلب
اسباب تفاخره وتطاهره
بمدح نفسه

سنة ١٥٣٦

رجوعه من أفرقة منصور والاعياد والمواسم العامة مستمرة لا يتقطع
وكان بها شهر نصره وتخصيم مقامه وقدره فكان لسان حالها يمدحه برغبة
شأنه وعلو مكانه وقداق الشعر آء والادباه من مملكة إيطاليا كنون قرأتهم
في مدحه وبادوا يبنات افكارهم في بيت ما يبرزه وفضله وتحت هذه المملكة
ازهى عمالك الافرنج وابهجها في الادب والقنون المستطرة وزيادة على ذلك
كان المصموم يحبرونه أن مستقبله يكون اعظم من ذلك فاخذته التثوة حين
ارتشف من تلك الاقداح * التي هي من دواعي القرح والانصراف * وغفل
عن عادته من الاحتراس والسكينة فعبده * وارضى بالتفاخر في هذا المفضل العام
وازيد * حيث اوسع في الخطاب * وبادى للساخرين العجب العجيب

والظاهر أن الإمبراطور قد احس بخطاه حالاته لما حضر بين يديه رسل
فرنسيس في اليوم الثاني والتسوامنه توضيح ما قاله في شأن الحرب
الخصوصي اجابهم بأنه لا يلزم الالتفات لذلك وإنما قلته حقنا لدماء الرعايا
وبذل جهده في لطيف عبارات أخرى كان قد قالها في خطبته وتكلم
معهم في شأن سيدهم بعبارات مؤدبة بالادب والاحترام * ولا يخفى
أن مثل ذلك لا يكتفى في جبر ما وقع منه من المسبة في حق الملك فرنسيس
ومع ذلك لم يرزل هذا الملك يتداول مع الإمبراطور طامعا في انتهاء المشاجرات
بالتى هي احسن فلما رأى الإمبراطور أنه قد عفى بصره وبصيرته حيث لا يصير
حبال الخداع والمكيدة اخذ يداهنه فاطهره أنه يريد قبول ما عرضه عليه
وكان في انشاء ذلك يدبر اموره ويستعد بما يلزم لتخفيف اغراضه وما ربه

وبعد أن جهز الإمبراطور جميع المواد والمهمات اللازمة جمع في ضواحي
دوقية ميلان جيشا جزرا يبلغ اربعين الفا من المشاة وعشرة آلاف
من الخيالة واما جيش فرنساوية فكان دون ذلك في العدد وكان قد عسكر
قريبا من مدينة ورسيل في اقليم بيون وتحت عنه طائفة من عساكر
السويسة فتقص جدا وصار اقل من الجيش الإمبراطوري بكثير وسبب
تخليها أن الإمبراطور بداهته وتخييله حل الاقطار القانوليقية على طلب هذه

مطلب
دخوله في مملكة
فرنسا

الطاقة متعللاً بأنه لا ينبغي للسويسة أن يقاتلوا دوق ساوية لأنه حليفهم من قديم * وبناء على ذلك ~~كان~~ سرعسكر الفرنسياتية يخشى من القتال فكان يجدها قريبا من جيش الایمیراطور وكان الایمیراطور مع جيشه وكان البروسا مع الملتزم دوغواست والدوق دالبه والامیر فردینند دوغوزناغ وكان سرعسكره الامیر أنطوان دولیوة وكان جديرا بهذا المنصب لغزارة معارفه وادمانه على التجارب وقائع الاحوال فعما قليل اظهر الایمیراطور أنه ليس قصده الاقتصار على فتح اقليم بيجون ودوقية ساوية بل مرامه الاغارة على الاقالیم الجنوبية من مملكة فرانساً وكان يدير امر هذا المشروع منذ زمن طويل ويسذل جهده في جمع المواد والمهمات اللازمة لتجيزه مع العزم التام حتى يصبح فيه ويظهر بمقصوده وكان قد بعث الى اخته اموالا كثيرة وكلت حاکمة في مملكة البلاد الواطية وكذلك الى اخيه فردینند ملك الرومانيين وامرهما أن يجعما ما يمكنهما جمعه من العساكر ليصل منهم فرقتين احدهما تدخل مملكة فرانساً من جهة سكارديا والاخرى من جهة اقليم شيبانيا وهو يدخل بجيشه الجزار من الجهات المتعابلة لهاتين الجهتين من المملكة المذكورة

ولكن لم يوافق وزرائه ورؤساء صاكره على هذا المشروع واخبروه انه يصير عرضة لاختار عظيمة اذا ذهب بجعساكره الى تلك الاقطار الفرنسية وبعد عن مخازنه خصوصا وهذه الاقطار لا يوجد فيها ما يكفي مؤونة اهلها وترجوه أن يلتفت من جهة الى كون مملكة فرانساً لا تنجز ابدان الحرب ملذات تدافع عن نفسها ومن جهة اخرى الى بطش اشراف الفرنسية اذا تمطقوا بالشماة وتدروا بالحمية للذب عن ملك يحبونه حبا جارا واجلاء العدو عن وطنهم * وذكره بما حصل من الخذلان للدوق دي بوربون والامیر يسکیر حين شرعا في مشن هذا الغرض مع أن مقتضيات الاحوال اذ ذاك لم تكن دون مقتضيات هذا الوقت في المعاهدة * ولكن اكثرهم الحاسبا عليه في هذا المعنى هو الملتزم دوغواست حيث خزع على اقدامه وترجاه أن يعدل

عن هذا المشروع الخطر ولكن الاسباب العديدة التي حلت الايمبراطور
على قصد هذا المشروع لم تنقوغه أن يسع لهم قولاً ولأن قبل منهم صرفاً
ولا عدلاً وكان حاد يندر عدوله مما عزم عليه لاسيما في هذا المرة فإنه كان يريد
وضع ارض خصمه الملك فرنسيس وكان ثمراً واثماً يحمله على ازدياد ما احتل
معارفه وانكار فضله وفي الحقيقة كان هذا البون بعيدين معارف هذا ومعارف
ذلك وكان الايمبراطور مغروراً بنظره وحظه بل ربما كان معولاً على قول
من اخبره من المنجمين بأنه سيكون مستقبله سعيداً وأنه لا يزال يرقى الى اوج
المصالح فإلى الانهيار هذا المشروع بل عزم على التوجه الى بلاد فرنسا قبل
التغلب على اقليم بيمون وأما اخذ منه بعض قلاع لازمة جداً لتكون وصلة
بين جيشه ودوقية ميلان

وكان الملك فرنسيس قد اقام الملتزم دوما لوسة على طاعة صغيرة
من العساكر معدة لحماية بيمون فأهمل الملتزم المذكور في هذا التفرغ حتى
استولى عليه الايمبراطور مع السهولة وكان هذا الملتزم قد تربى بديوان
فرانسا وكان الملك فرنسيس يثق عليه بالتجريات الجزيلة فشرفه
بإتيمانه وإقامته بهذا الثغر العظيم إلا أنه ترك سيده على حين غفلة وخانه
بدون سبب ولا علة تغضبه وتوجب ذلك بل كانت اسباب خيائته واهية باطلة
كما كان فعله مع باب الجبل وذلك أنه كان من اهل البدع والاهام فكان يصدق
بأخبار المنجمين فيحزم بأن الملكة الفرنسية قد حان اوان اقراضها
وأن الايمبراطور سيضع اساس دولته على آثارها فينام على ذلك رأى من المحرم
والصواب أن ينضم الى حزب الايمبراطور حيث ان الدهر يساعده ويسائمه
ورأى أنه لا يستوجب لنفسه لوما ولا يلحقه عار اذا تغلب على حزب يريد الله
سجانه وتعالى دما به * وكان غدوه كبيراً وخيائته فاحشة حيث
انه لاجل أن يشق للاعداء فتور فرانسا استعان بالشوكه والصولة التي كان
قلدها الملك فرنسيس وجميع ما عرض عليه الضباط الذين كانوا تحت
حكمه وأهملوا جعله لاجل دفع الاعداء بوطر دهم انكره عليهم اوضاع عمرته

مطلب
تغلب الايمبراطور على
جزء من دول دوق
سباوة

فاهمل بالكلية فيما يجب عليه من المدافعة من حيث كونه رئيس المحافظين
وبهذا السلوك القبيح الذي اكسبه الخزي والمعزة جعل القلاع والحصون
غير مألوفة للمقاومة حيث جردتها عن الزاد والادوات والاسلحة والمهمات
فكان لا يفلح جيش الايمبراطور في التغلب على اقليم بيون
لولا يكن الامير مونييزات محاطا بمدينة فوسانو فدايدي العجب العجائب
من الشجاعة والمهارة حتى اوقف جيش الايمبراطور شهرا صاكا املا علم
هذه المدينة الصغيرة

ولما حصل هذا العائق لجيش الايمبراطوري اتسع الوقت مع الملك فرنسيس
وامكنه أن يجمع قواه وعساكره ويدير امر المدافعة عن بلاده ويتقدها
من تلك الاخطار والاهوال واقتصر على ما يمكنه أن يقاوم به عدوه ويخبر
من صولته وشدة بطشه وما اظهره من الحزم والاصابة في انتخاب الوسائط التي
احترس بها ومن العزم والمواظبة في اجراء تلك الوسائط جدير بالمدح وحسن
التنامي حيث كان مخالفا لحيثه الطبيعية كما كان مبالغا في الطباع الملة الفرنسية
فازم نفسه بالاعتصام على المدافعة وعدم الحاطرة بعساكره في القتال
الا اذا جزم بالثبوت وعزم على أن يحيط معسكره بخصمات منتظمة
وأن لا يضع المحافظين الا في اعظم القلاع والمدائن الحصينة وأن يخرب البلاد
التي يدنو منها العدو حتى يهلك جوعا ولا ضرر في خراب اقليم يهترق عليه شاة
المملكة بتمامها وقوض امر ذلك المارشال دومونتورانس وكان هو
المتدع لهذا الامر وما كان الا جعله الله سبحانه وتعالى لتخفيف هذا
المهموع المهم فكان ذاتهم واقعة وكان صعبا جبارا يحب نفسه وبعارفه
ويردوى معارف من عدائه وكان لا يعشق ولا يفتق فكان اذا عزم على شيء
لا يعدل عنه حتى يفض امره

فاننا المارشال معسكرا خصينا تحت اسوار مدينة اوشون على ملتقى نهر
الرون ونهر دورنسة فكان اجمع هذين النهرين يجلب الى عساكره
من داخل المملكة جميع ما يلزم لهم وكان النهر الآخر يحصن معسكرهم بالجهة

مطلب
صورة مادبره الملك
فرنسيس للمدافعة
عن مملكته

مطلب
مقوضه اجراء هذا
الامر الى المارشال
مونتورانس

مطلب
وضع معسكره بقرب
مدينة اوشون

سنة ١٥٢٦

التي يظن أن العدو ياتي منها واشتغل من غير افعال تحصين هذا المعسكر حتى جعله حصينا منيعا وجمع فيه جيشا عظيما وان كان دون جيش الاميراطور عدد احوال الملك فرنسيس فاخذ طائفة اخرى من العساكر ونصب معسكره بقرب مدينته والفسه على شاطئ نهر الرون فوق معسكر المارشال ورأى انه لا يلزمه الاتحصين مدينتين وهما مدينة مرسيليا ومدينة اركس اما الاولى فيكون متمكنا من البحر واما الثانية فوجه لروم تحصينها أن تكون حصنا لا تليق لتغذوق فوضع في هاتين المدينتين طائفة ضخمة من المحاربين والفروا تحميم من اعظم جنوده وجعل عليهم ضباطا لا يعهد فيهم الا الامانة والشجاعة وامل اهل المدن الاخرى وسكان القيطان والقنوات على ترك بيوتهم ووزعهم فجعل بعضهم في الجبال وادخل بعضهم في المعسكر وارسل الباقي الى داخل المملكة وهدمت سائر الحصون والقلاع التي يمكن أن ياتي اليها العدو وبدا فعيا من نفسه وقتلت الجيوب وانواع المطعومات والذخائر والعلوفات من تلك الاماكن وخربت الطواحين والافران وهدمت الابار وغيرها حتى صار لا يتنفع منها بشئ فكنت ترى الارض مقفرة كالصحر من جبال البه الى مدينة مرسيليا ومن شاطئ البحر الى دوقية دوفينة ولا يرى في الساريح أنملة متحدة قطعت مثل ذلك الامر الشنيع المتكرر لتدافع عن بلادها .

مطلبه

دخول الاميراطور في اقليم برونسة

وقد وصل الاميراطور مع طليعة جيشه الى ضواحي اقليم برونسة وكانت نشوته لم تزل منسلطنة عليه وآماله متعلقة بالنجاح حتى انه لما نزل بعساكره واضطر لا انتظار بقية جيشه ومضت عليه عدة ايام في هذا المخطط صار يقسم على ضباطه البلاد التي كان يؤمل قصها ويعظم يناسب مملكة فرنسا وارضيا وبين لكل منهم سهمه ليستند عزهم وتقوى ظولهم لكنه لما جال في البلاد ورأى الاراضي خربة مقفرة كالصحاري داخله الياس وزال من نفسه ما كانت تسوله له آماله وادرك أن الملك الذي يخرب اقليم من اغنى اقاليمه وابهاها لابد وأن يكون مصمما كل التصميم على المدافعة عن الاقاليم

الايخرى واما التدوينة التي كان يعتمد عليها في تحصيل قوت جيشه فعملها الرياح
وحصلت لها عواقب اخرى تمكنت زمانا طويلا لا يمكنها الدفاع من سواحل
فرانسا فطالبت بعدمعانة وتعب داي الايمبراطور ان ما فيها من الذخائر والموتنة
لا يمكن جيشه للجزار وكان لا يطمع في شئ من اقليم برونسية ولا من بلاد
دوق ساووة لانها مكنت مدة طويلة وهي تصرف على جيشين
عظيمين فتصير في امره وصار لا يدري ما يصنع بجيشه في تلك البلاد ولا من اين
يطعمه لانه وان كان حيثئذ مستوليا على هذا الاقليم العظيم ما عدا بعض
بلاد منه الا انه كان لا يعتد به مستوليا عليه حقيقة حيث لم يجد فيه الامداد
غير حصينة بخلاف الفرنساوية فكانوا متحصنين في معسكرهم بقرب
اورينون وكان يديهم مدفعا مرسيليا وارس ولم يكن ثم مدينة محصنة
سواهما فاراد الايمبراطور ان يبدأ بالهجوم على معسكر الفرنساوية وينهي
بذلك امر الحرب الا ان الضباط الماهرين الذين بعثهم ليكشفوا له عن كيفية
وضعه اخبروه بمعلوماتهم عليه بانه لا يتمكن منه باى وجه كان فامر بوضع
الحصار على مدينة ارس ومدينة مرسيليا مؤملا ان الفرنساوية
يادرون الى اعانة هاتين المدينتين ويتركون المعسكر المحكم الوضع الذي
كانوا به لكن لما كان المارشال مونتورانسى لا يعدل عما هم عليه لم يتحول
عن معسكره وتلقى محاطوا المدينتين عساكر الايمبراطور فلبث ثابت وعزم
بعيب حتى انهم الى رفع الحصار بعد ان هلك مقدار منهم وباؤا بالخنزى
والعزة فخطر الايمبراطور ودنا من مدينة اورينون الا ان العساكر الخفيفة
كانت تخرج عليهم من المعسكر وتطرد عساكرهم حتى سئموا واشتد بهم التعب
والتعيب ونزلت بهم الامراض وقبضوا كل الياس من امكان ازالة تلك العوائق
الكبيرة والموانع الكثيرة التي كانوا لا يتقربونها

مطلب
محاصرة لمدينة
مرسيليا

مطلب
ثبات مونتورانسى
في تمجيد ما دبره
للمدافعة عن مملكة
فرانسا

وفي مدة الحرب كان مونتورانسى يكابد المشاق من جهة عساكره اكثر مما
اهمه من جهة العدو وكان ان حية عساكره الفرصاوية ومحبة لوطنهم
اخرجتهم عن طور العقل والحزم وافضت بهم الى ترك سبل السياسة والتبصر

(سنة ١٥٢٦)

في العواقب حتى ان ملكه فرانس لهذا السبب كانت قد اشرفت على الوقوع
في الاحوال والمصائب التي كان مونتوراني جسياسته وحزمه يحاول
اجتنابها وابعادها عنها فلم يستطع الفرنساوية الملك بدون حرب والعدو نصب
اعينهم يحترق وطنهم وبلادهم وداخلهم القلق والجزع من طول المدة التي
مضت عليهم وهم محجوزون عن الحرب ولم يذكروا الفوائد الجليلة التي كانت
نهب عين المارشال مونتوراني من المنهج الذي سلكه للمداخلة
عن المملكة فطلبوا الحرب والقتال مع الاخراج والارام وعدوا ما سلكه
المارشال مما يري بالملك الفرنساوية ويكسبها الخزي والعار وكنوا يرون
أن حزمه ونصره في العواقب ليس الا من باب الخول وأن احتراسه بهز وتبته
في اتباع هذا المنهج الذي اختاره للمداخلة ليس الا من قبيل العناد والكبر
وفشاذة التلايق العساكر واصاغر الضباط ثم سرى الى عقول اكابرهم وكان
اغلبهم يغار من خطوة المارشال مونتوراني عند الملك وسم البعض
الاخر من كبره وشجته فمما قليل عم التماسا للمعسكر وجعل العساكر والضباط
يتخبرون سرايل ويظهرون التشكي من سلوك المارشال المذكور ولم يكن ذلك
كأنه تأني عنده كما أن ما صنعته العدو وكذلك بل لم يرل مصمما على قصده متغيا
بالمعسكر لكنه لاجل تسكين ما داخل العساكر من الغضب الذي لحقهم
من سكوتهم المبين لجنيتهم الطبيعية حلت مسكاة الرق واللين على خلاف عادته
فكان في الغالب يراعي خواطرهم وهما امكن ويفصح للضباط عن الاسباب
التي اجبته الى عدم التعرض للعدو ويوضح لهم ما يقترب الى ذلك من القوائد
وما يعقبه من النجاح العظيم وبعد ذلك حضر الملك فرنسيس الى المعسكر
بقرب اوينون وانضم الى الجيش الذي كان بالمعسكر عدة طوائف كبيرة
من العساكر فرأى فرنسيس حيث أن جيشه قد تقوى وصار قابلا لمصادمة
جيش الاميراطور ومقاومته وكان فرنسيس قد غلب على نفسه حتى رضى
بمك بمساركة تلك القوة الطويلة التي مقتضاه على المدافعة وكان يميل
الى المشروعات الجسيمة التي تستلزم الجسارة والجراحة وربما كان قد عرض

عساكره وضباطه واطهارهم القلق والجزع من اقتصارهم على المدافعة
والهدويعترب اوطانهم يحصلو على العدول عما ملكتهم من غورائى من الرأى
المبغى على الخزي والاصابة فيغير على جيش العدو ويضع التهمة بالجليلة التي كان
يتقنها من غورائى من هذا التدبير الصائب المبغى على مزيد الاحتباس
والتبصر في العواقب

ولكن لحظت ملكة فرنسا وسعدا سارا لايمبراطور بجيشه فكان ذلك سببا
في ثبات هذه المملكة من الاخطار التي كان من الجائز أن تقع بها لو حصلت
المجاورة من الفرنسيين وهجموا على جيش الايمبراطور وذلك أن الايمبراطور
مكث شهرين في اقليم برنسنه وهذه المدة تعدت كثيرة بالنسبة لشهرته
ومقامه ومع ذلك لم يمكنه تحصيل مرماه واضطر الى الخروج من هذا الاقليم
ولم يفعل ما يكون جديرا بالتجهيزات الجسمية التي جهزها قبل شروعه في الحرب
ولما يؤيد اقتضاه في ديوان البابا امامها لكرديتالات ورسل الممالك الافرنجية
وغيرهم حيث بالغ في وصف بطشه وشدة بأسه وهلك من اعتماه الشهب
انفوان دوليوه وعتقاخرى من ضباطه الماهرين المتأخرين ومات نصف جيشه
من المرض والجاعة وصار الباقي لا يمكنه أن يصبر على مكابدة الاحوال والمصائب
بعد أن عاينوا اخوانهم على كون أمامهم على اسوأ حال فألجأته الضرورة
الى الاتصال فامر بذلك ولم يدركه الفرنسيون غرضه من السير بعساكره
فلم يبعوه والاهلك جيشه عن آخره فان طائفة من العساكر انخففت قد تبعته
مع عتة جياعات من الفلاحين الذين حنقوا من العساكر الايمبراطورية وكانوا
ينظرون فرصة تساعدهم على الانتقام من هؤلاء العساكر الذين خربوا بلادهم
ونشروا فيها عتوهم وفسادهم فادركت تلك الطائفة ساقه الجيش الايمبراطوري
وصارت تبهم عليها مرة بعد أخرى حتى اوقعت فيها الاختلال والارتباك بحيث
صار الاولى أن يقال في سيرهم انه ادبار وفرار وحركات هروية لا سير وجوع
على اصول الحركات العسكرية فكنت ترى الطريق مشحونا بالاسلحة والامتنعة
والمهمات ومستوية بالرم والمضى والجرحى وبالجملة قد شاهد المؤرخ

مطلب
القضاء جيش الايمبراطور
وما أكل اليه من الجالة
السنة

(سنة ١٥٢٦)

مارطين دويلى بعين رأسه الجيش الإمبراطورى وهو فى هذه الحافة السبعة
الحزنة فلم يوافق به من تشييه بين إسرائيل حين استولى عليهم الرومان
وإذا قومهم بشؤونهم من أنواع العذاب ما تقصر عنه العبادة **✠** فلو تقدم
المارشال مونتورانسى مع جيشه وادخل الجيش الإمبراطورى بهذا الجلالة
لأباده عن آخره لكنه لطول المدة التى مكثها مقتصر على المداخلة كان
قد صار يمكن من الحرص والاستقوان فطرط حرسه ونؤدنه لم يعدل عن منجبه
الاول ولم يغير حاله سريعا كانت غيرت الأحوال والمقتضيات بل كان يلجج دائما
بقوة ترك الاسد عند فرار ماولى من اقتضا آثاره وكان يقول أيضا ينبغي إنشاء
قنطرة من ذهب للعدو إذا ذهب

ولما وصل الإمبراطور بما كان متزقا من جايابيشه الى ثغور دوقية ميلان
ولى المقيم دغواست على هذه الدوقية بدلا عن الأمير انطون دوليوه
ثم سافر الى جنويرة لكن لم يمكنه أن يمر بالمداخلة التى مر بها اولا فى بلاد
إيطاليا مع الابهة العظيمة فاصدا فتح بلاد جديدة بل صمم على الرحيل
الى بلاد اسبانيا خشية أن يزدريه الإيطاليون ويحتقرهم ولما لحقهم من
التعب والمدة فى رجوعه حيث شابت أماله وهلكت رجلاه

واما جيوشيه التى شنت الغارة على مملكة فرنسا من الجهات الأخرى
فلم يحصل لها نجاح عظيم بحيث تجبر ما خسر فى إقليم برونس وذلك
أن دويلى بساوكه سلك الخداع وإيقاع القن والسماس حل كثيرا من أسرار
المانيا على استرجاع جميع العساكر التى كانوا مدوا بها ملك الرومانين فاضطر
هذا الملك الى العدول عما كان عزم عليه من الاغارة على إقليم شجانيا. **✠** واما
الجيش الكبير الذى هوج من ملكه البلاد الواطية فانه لما دخل إقليم
بيكارديا وجد منها لى الحرمس لكون جميع عساكر المملكة كانوا قد انتقلوا
الى جهة الجنوب ولكن تسليح الامراء والاشراف ومنعوا بشجاعتهم وشهامتهم
أن يحل بالملكة من المصائب ما كانت عرقته له بسبب اهمال ملكها
فى تحصينها من تلك الجهة فدافعوا عن مدينة بيرون وغيرها من المداخلة

شهر تشرين الثانى

مطلبه

الحرب فى إقليم بيكارديا

(سنة ١٥٤٦)

مع قوة العزم وفرط الشجاعة حتى ارتحل عساكر الایمیراطور ولم یبکهم
فتح مدينة او بلدهم
فانظر الى خيبة امال الایمیراطور ودمار عساكره مع ما بذله من الجهد
الغریب وكان سبب ذلك حیثین التیدیون من الملك فرنسیس والتشام
رعایاه وشجاعتهم ولم یحصل للایمیراطور فی حروبه الطویلة مع
فرنسیس مثل هذه الوقعة التي خسر فیها خسارة كافت اخره
علیه من غیرها حیث اورثته الهوان والمذلة فضغت بذلك شوکته وانغصت
قوته ولكن حصلت حادثة اخرى مشؤومة ضیعت علی فرنسیس ما داخله
من سرور النفر والفرح فی هذا الحرب وهي موت أكبر اولاده وولی عهده
وكان یلوح علی هذا الامیر تبشیر الفلاح وكان الاهالی یحبونه کثیر لانه کان
یتقوا اثر والده وكان موته فجأة فلذا قیل انه مات بالسهم ولم تكن تلك الاشاعة
مقصودة علی العامة الذین من دأبهم نسبة موت اعیان الناس الی اسباب
ضریة بل قال بذلك ایضا فرنسیس ووزرائه وانهم به اقنونة
دومونیکو کولی وكان من ینکر ادات ایتالیا لانه کان سابقا لهذا الامیر
قبض علیه وعذب لاجل الاقرار فادعی أن الجنرال لیوة والجنرال غونزاغ
هما اللذان حملاه علی ذلك بل افاد أن الایمیراطور لم یدخل فی هذا الامر لكن
لم یکن ذلك منه بطریق المباشرة وكان الفرنسيه اذ ذلک یبغضون
الایمیراطور بغضا شديدا فجزموا بانه هو السبب فی ذلك ولم یلتفتوا الی ما بذله
هو وضباطه من تبرة اقسهم من هذا الامر لم ینکروا ولا الی غضبهم من نسبة
هذا الفضل الشلیعة الیه وفی الحقیقة لم یکن هناك ما یدعو الایمیراطور
الی ان یرتکب هذه الخطیئة فان الملك فرنسیس كان له ولدان غیر الدوفین
المتوفی وكان کل منهما قد بلغ رشده بحيث یکنه أن یختلف الیه فی المملكة وكان
والدهما ایضا قوی البنية عظیم العصة فلو قطعنا النظر عن طبع الایمیراطور
ولم نلتفت الی کونه لم یرتکب هذه حیاته من المکرات ما هو من هذا القبیل صح
أن نضعهم من هذه الحیثیة اعنی وجود عقب لفرنسیس مع قوة بنیه وصحة

مطلب
موت الدوفین ای ولی
العهد
مطلب
نسبة موته الی السهم

(سنة ١٥٣٦ هـ)

يذه بيرة الإمبراطور من تلك التهمة ويكون ذلك مواز بالمادعاء عليه القوتية
دومتكو كولى من نسبة ذلك اليه بسبب ما لحقهم من الأكرام وثمة العذاب
ولولم يكن قرئيس أولاد صالحون خلفه وكان ضعيف البنية لا يمكن
تسليم هذه الدعوى وقبولها هنا والذي ذهب اليه المؤرخون أن سبب
موته هو أنه استكثر من شرب الماء البارد بعد أن لعب الكورة واشتدت به
الحمى والحرارة وهذا أقرب إلى الصواب من الأول وعلى فرض أنه مات
بالسم فلا مانع مما ادعاء الإمبراطور من أن السم إنما أعطى له بأمر الأميرة
كاترينه دوميديسيس ليبقى التاج الملوك لزوجها دوق دو بليان وهو
الثاني من أولاد الملك فرنسيس إذ لا شك أن لها مصلحة عظيمة في موت
الدوقين أي ولي العهد ومن المعلوم أنها كانت شديدة الطمع فلا يبعد عليها
أن تركت مثل هذا الأمر المتكرر حيث تعين طريقها إلى بلوغ مرامها

(سنة ١٥٣٧ هـ)

مطلب

القرمان الصادر من

ديوان برلمان باريس

في شأن الإمبراطور

وقد افتتحت السنة الجديدة بجماعة غريبة وان لم تكن بالنظر لذهابها مهمة
ولاجديرة بالذكر إلا أنها تدل على ما كان بين الإمبراطور وفرنسيس
من شدة البغضاء والعداوة حيث فعل كل منهما في حق صاحبه من الأمور
القصية ما يرزى بهرهما وذلك أن فرنسيس ذهب بأمر ديوان البير
(ديوان أمراء الدولة) وأمرائه عائلته الملوكيسة إلى برلمان باريس (مجلس
وكلاء الملك) وجلس به على حسب الرسوم الجارية ثم قام الخطيب الأعظم وقال
في شأن الإمبراطور معنوا عنه باسم كرولس أمير الأوستريا أنه قد قضى
مشارطة كبرى التي خرج بموجبها من تبعية تاج فرنسا الملوك التي كانت
تقتضي ائتمنة الفلنك وقوتية ارفواس ثم برهن على أنه بنقض هذه المشارطة
يجب أن ترد الأشياء إلى أهلها ويبقى الإمبراطور كما كان من اتباع
تاج فرنسا الملوكية وحيث أن الإمبراطور قد ارتكب ذنبا عظيما بصيانته
على ملكه يجب عليه أن يحضر بنفسه أو يرسل موكله إلى مجلس البرلمان
في باريس لتتقضى دعوته ويحكم فيها بما تقتضيه الأصول فلما سمع أرياب
الديوان هذه القضية الغريبة استحسنوها وقبلوها وبعثوا رسولا إلى ضواحي

يسكراديا فلما وصل الى الامبراطور طلب منه على حسب الرسوم المقررة
أن يحضر الى مجلس البرلمان في ياريس بعد مدة معلومة فاقضت تلك
المدة ولم يحضر الامبراطور ولا وكيله فصدر من ديوان البرلمان فرمان بتعزير
الحكم على كركوس امير الاوسترشيا (يعني الامبراطور) بأنه قد خان وغدر
واسحق أن يزرع ما يده من الالتزامات لكونه خرج عن طاعة سيده
وخالف القوانين بامتناعه عن الحضور الى الديوان في الاجل المعين فنزع منه
اقليم التملك واقليم اروتاس ورد الى تاج فرنسا وامر بالديوان المذكور
بإظهار هذا فرمان واذا صوته بصوت البوق على ضواحي هذين الاقليمين

مطلب
افتتاح الحرب في مملكة
البلاد الواطية في شهر
أذار

وبعد أن نشر فرنسيس هذا الامر أزال على حقه لاعلى بطشه توجه
فورا الى مملكة البلاد الواطية فاصدا اجراء ما قضته فرمان الصادر
من برلمان مملكته والاستيلاء على الاراضي التي صدر الحكم بردها اليه
وكان الامبراطور قد سلم لاخته مملكة البحار حكومة البلاد الواطية الآن
فرنسيس اغار على تلك البلاد بقتة وكانت تلك المملكة لم تأهب للمدافعة
فلذا كانت النصر في مبدأ الامر لفرنسيس فاحتل على بعض مدائن
حصينة ولكنه لما ترك جيشه وذهب الى جهة اخرى كانت ايضا تحارب وكان
حضوره فيها ضروريا لاجتماع اهل التملك جيشا عظيما وقت كوابيسه واخذوا
ثانياً أغلب الميدان التي كانت اخذت منهم وجعلوا يجمعون ويتقلبون
على بلاد فرنسا واية حتى اخذوا بعض مدائن وحاصروا مدينة روانه
وكان الدوق دووليان قد انتقل اليه لقب الدوقين اى ولي العهد بعد
موت اخيه البكرى وكان المارشال مونمورانسي قد كافأه الملك فرنسيس
على ما بذله من الخدم الجسدية في مدة الحرب السابق بتقليد منصب الكونتيتابل
اى رياسة الجيوش فحزم كل منهما على المضاطرة والهجوم على العدو ليجبراه
بذلك على رفع الحصار فيقتلها ما يسيران بالعساكر لهذا الغرض حتى لم يبق فيهما
وبين العدو الا بعض اشيال اذ اتاهما رسول من طرف مملكة البحار
واخبرهما انه قد انعقدت مهادنة بين الامبراطور والملك فرنسيس

(سنة ١٥٣٧)

مطلب

المهادنة المتقدمة
في مملكة البلاد الواطية

وكان سبب هذه المهادنة التي انعقدت على حين غفلة سعى الاختين فيها وهي ملكة
فرنسا وملكه الجمار وذلك لان هاتين الاميرتين كانتا لا تظفان ابدا
عن الاصلاح بين الدولتين وكان الحرب للذي وقع في البلاد الواطية قد خرب
ضواحي هاتين الدولتين من غير ان يعود معه فتح حقيقى على احدهما من الخزيين
وكان كل من الفرنسيين واهل القلعة يتأسف على تعطيل التجارة واتساعها
من بينهم لانهم كانوا يتخفون منها انتفاعا عظيما وكان كل من الملك
فرنسيس والاميرالطور قد اهلك رعيته وادفعهم في الفاقة والفقير بما وقع
بينهما قبل ذلك من المروب والمقاتلات فرأيا أن يقبها عساكر اليباده لاجل
الحرب في البلاد الواطية لا يتأق يدون اضرار الحرب في اقليم بيون بل ذلك
يجزى الى ضعفه واضلاله مع أن هذا الاقليم كان مطمح قنارهما فهذه
الاسباب كلها اعانت الاميرتين المذكورتين على مقصدهما من اشاع الصلح
بينهما وحالت الملكين على الرضاء بالمهادنة فافضلت الهدنة بينهما على عشرة
اشهر لكن بمجرد ابطال الحرب من مملكة البلاد الواطية دون غيرها
وكان الحرب في اقليم بيون استلكن غيره نعم وان كان كل من الاميرالطور
والملك فرنسيس ليس له اقتدار على عمل الحرب بقوى تلاميذ بعضهم
لبعضهما الا انهما كانا مستعزين على الحرب كنه من تعسهما البعض عند
تفوقهما وتحدث فيهما قوة جديدة فكانت المدائن التي يأخذها احدهما
من صاحبه يأخذها الاخر منه ايضا وكان لا يمضى يوم الا يقع فيه
قتال بين الفريقين ولو هينا فكم سقطت بينهما دماء من غير أن يظلب احدهما
صاحبه فارادت الملكان أن يتما مابدا تاء في شأن الاصلاح بينهما فالتحت
احدهما على زوجها والاخرى على اخيها حتى حلتا هما على الرضاء بصفة الهدنة
ثلاثة اشهر في اقليم بيون ووقع الاتفاق على أن كلا من الملكين يستق
مستوليا على البلاد التي تحت يده ويخرج جيشا من هذا الاقليم ولا يلقى فيه
من العساكر الا المحاطين في المدائن ويعين كل منهما وكلاء من طرفه بقوى لهم
احرازها تلك المناجرات وموجب حكمهم واقرارهم تنعقد مشاركة بنية بها

٣٠ من شهر توفز

مطلب

المهادنة المتقدمة
في اقليم بيون

(سنة ١٥٣٧)

مطلب

اسباب هذه المعاهدة

يتقطع الحرب وتزول اسبابه

ثم ان الاسباب التي دعت الملوك الى هذا الاتفاق هي عين الاسباب التي اسفهاها غير مبررة وهي أن مصاريف الحرب كانت تزيد بكثير على ايرادها وكان لا يمكن كنهها أن يشرع في حرب مع غارم جديدة على رعاياها زيادة على المغارم القديمة لان الرعايا انذاك لم يكونوا متعودين على تحمل مثل هذه المبالغ الجسيمة التي كانت مضروبة عليهم وقتئذ لاسيما الايبراطور فانه مع ما اقترضه من المبالغ الجسيمة كان لا يمكنه أن يصرف المليشيات البهجة التي كانت قد تراكت عليه لساكره حيث مكث زمنا طويلا لا يصرف لهم استحقاقاتهم وكان لا يطعم كللثة الساجدة في الاعانة بالمدد والعساكر من طرف البابا واهل البنادقة ومع ذلك كان يسلك معهم تارة مسلك الوعد والترغيب واخرى مسلك الاعداء والترهيب ولم يمكنه قصصيل مرارته منهم أما البابا فكان لا يقول عما صم عليه من أنه يكون خلى غرض بحيث لا يتضرر لاحدهما على الآخر فاطهر للايبراطور أنه من حيث كونه ابا النصراري كافة لا يليق به الالهيته بما يكون به الاصلاح بين الفريقين واما اهل البنادقة فكانوا لم يراوا على رأيهم الاول من أنه يلزم ابقاء التعادل بين الخصمين وذلك لا يوجد عند اعانة احدهما على الآخر

مطلب

كون السبب الاتوي هو معاهدة الملك فرنسيس مع سلطان الدولة العثمانية

ولكن كان ثامرا في الايبراطور شركان ثاثيرا اقوي من ثاثير هذه الاسباب وهو خوفه من الدولة العثمانية وكان فرنسيس قد رضاه عليه وعقد المعاهدة مع السلطان سليمان وذلك أنه مكث مدة طويلة يتردد في عقد المعاهدة مع هذه الدولة لان دول النصراري انذاك كانوا يخشون اهل الاسلام اشتبا البغض ويكرهون معاملتهم ويرون مؤالفتهم ومودتهم بما يوجب التضيعة والمغرة او من قبيل الكفر مع أنه كان اضعف شوكة من الايبراطور وتحاربهم معه غير أن يستعين باحد عليه ولكن غلبت الضرورة على خوف الملامة فانست فرنسيس ثاب لحقه مع اللوم والمذمة بمعاهدته مع اهل الاسلام وكان له سراو كليل في الدولة العثمانية يسمى لافوريت فقد هذا

(سنة ١٥٣٧)

الوكيل في اواخر السنة الماضية مشاركة مع السلطان سليمان فتحتمل
أن السلطان في الحرب الاثني يهجم على مملكة نطلي وعلى ملك الرومانيين
في بلاد الجمار وأن فرنسيس يهجم على دوقية ميلان مع طائفة
من العساكر تكفي في التغلب عليها وقد في السلطان من تهاقسه بما وعد
فان بربروس قدم الى سواحل مملكة نابلي بدونغا كبيرة وأوقع
في غلوب اهلها الفزع والرعب وكانت العساكر الاميراطورية قد خرجت منها
قاصدة اقليم ليجون فاخرج بربروس عساكره من السفن بدون مانع
قريسا من ترنته وجبر مدينة كسترة على التسليم وكانت حصينة منيعة
وغرب ماياورها من الاراضي والبلاد وجعل يحصن ما تحصه من البلدان
ويفتح بلاد النصراري حتى وصل اليه الامير دورية على حين غفلة وكان معه
سفن الباياء وعدة من سفن اهل البنادقة فطرده من تلك البلاد الا أن فجاج
الائتراك يلاذ الجمار كان اعظم من ذلك فان مصر عسكرهم هزم عساكر المانيا
في الواقعة الكبيرة التي حصلت بمدينة امسيكة على نهر دراق

ولكن لو فور حشد النصراري لم يكن للملك فرنسيس اقتدار على أن ينجز
ما التزم به في المشاركة المتعقدة بينه وبين السلطان سليمان حيث لم يمكنه
أن يجمع جيشا كافيا يشن به الغارة على دوقية ميلان فبذلك ضاعت
منه الفرصة التي كان يمكنه بها أن يتغلب نابيا على هذا الهوقية وينزعها
من يد العدو فيجزمه وضعف شوكة تحت بلاد ايطاليا من مصائب حرب
جديد ووقيت أن تكون غنية لجيوش الاسلام بعدما كابدته من المشاق
والاهوال السابقة وقد ادرك الاميراطور أنه لا يمكنه أن يستترز من ساطو ولا
على مقاومة جيوش الاسلام وجيوش الفرنساوية وصار لا يؤمل النجاة
الا ان اطرات عوارض مساعدة لنجاة مملكة نابلي ودوقية ميلان من الخطر
وادرك ايضا أن دول ايطاليا تتهمه بشدة الطمع وربما طامت عليه
ونجرت عن طاعته افاهو صمم على امتهامه الحرب لانها بذلك تكون
عرضة لاخطار عظيمة فلهذه الاسباب رأى أنه لا يحسن عن الرضا بقبول

(سنة ١٥٢٧)

الهدف فكنز وقت نغاره وامنه عليها * وكذلك الملك فرنسيس لم يأب الصلح
لكونه رأى أن ذلك مجلبة للرم والمذمة وايضا كان يخشى اذا هو امتنع من الصلح
أن يقصب عساكر السوربية وغيرهم من العساكر الانجنيية الذين كانوا
في خدمته فيقتلوا عن حزبه ويشرذم في الحرب فلا يمكنه مقاومة الايمبراطور
بل وكان يخشى ايضا أن تسأم منه قوس الرعية بمساعدته لدولة الاسلام
على توسيع دائرة ملكها مع أن الواجب عليه أن يكون على سنن اسلافه
من اضعاف شوكتها وازالة صولتها وكره أن يقر منه الاهالي اذا هو سلك
هذا المسلك الذي لا يليق به لانه كان يمكن من الشهرة وكان يلقب ترك تان
اي شديد الصلح بدين النصرانية فرجع جانب هذه الاسباب ايضا ورأى
أن مخاطرته بنفسه في فتح المشاركة مع السلطان سليمان اهن عليه
من الاخطار التي يكون عرضة لها اذا عمل بمقتضى هذه المشاركة

ومع رضاء الجانبين بالهدنة حصل التوقف الكلي بين وكلاهما حين ارادوا عقد
مشاركة بنية وذلك أن كلا من الملكين اراد أن يظهر عظمه الغالب وعلى
على صاحبه ماشا من الشروط فاستنكف كل منهما أن يتساهل في امره ويذعن
للاخر فترتب تسريح المشاركة على احسن حال فلذا مكثت الوكلاء مدة
مستطيلة وهم يتفاوضون في هذا المعنى واتسبى الحال الى تقطيعهم واتضاء
الذاكرة بدون أن يتواخيا امر او ينعقدوا هدنة ببعض اشهر

(سنة ١٥٣٨)

هذا وقد ظن البابا أنه ينصح في هذا الغرض أكبر من الوكلاء قصدى لذلك
بنفسه والتزم بيت امر الصلح وكان له في ذلك غرضان عظيمان احدهما أن يرتب
عصبة قادرة على حماية الملل النصرانية من اغارات الجيوش العثمانية وثانيهما
أن يبعث عن وسائل قوية بها يزيل مذهب فخرير الذي اضر بالكنيسة
الرومانية وكان يرى أن الشام الايمبراطور مع الملك فرنسيس اعظم
شوايغته على التوصل الى هذا الغرض وايضا رأى أنه ان سعى في الاصلاح
بين هذين الملكين يظهر الفرق بينه وبين البابا الذين حكموا قبله على كنيسة
رومة وواقعو التفاتهم والشقاق بينهما لتجيز ما ربههم ووعايت مصالحهم

طلب
الذاكرة في شأن الصلح
ير الايمبراطور والملك
فرنسيس

مطلب
وسط البابا بنفسه
في الصلح

(سنة ١٥٣٨)

ويكتسب بذلك بهجة ورواق في الممالك ويمدحه الناس على حسن سياسته
 وادارته وربما كان يطعم أهله بالسي في تخير تلك المقاصد الحميدة يمكنه فتح
 عائلته لأنه كان شحي جوده فيما فيه قهها ومصطفها وان كان لا يظهر منه طمع
 ولا ايتهاد في هذا المعنى كما كان اسلافهم بآيات ذاك العصر ولما كلفت
 هذه المآرب نصب عليه عرض أن يتقابل الابرطور والملك فرنسيس
 بمدينة نيسه وأنه يجتمع معهما في تلك المدينة ليصلح بينهما ويرزى لاسباب
 التفاهم والشقاق فلما رأى الابرطور والملك فرنسيس أن البابا مع كبرسه
 وجلالة قدره قد عزم على تحمل مشاق سفر بعيد رغبة في الصلح وصمم
 على الارتحال من مدينة رومة الى مدينة نيسه ليعصهما الايايته
 الى المقابلة فذهبا الى المحل الموعد ولكن حصل التوقف في كيفية الملافة
 على أي وجه تكون في طريق الرسوم والتشريعات التي يجب على كل منهما
 أن يفعلها في حق الآخر فحلتها البغضاء والمنافسة على عدم الاجتماع
 وانما وقعت المذاكره بينهما بواسطة البابا فكان يتردد بينهما ومع بذل جهده
 وحسن سلوكه وسنلوص طويته وصدقه في سعيه لم يمكنه أن يظهر على العوائق
 التي كانت تمنع من حصول الالتئام الكافي بينهما لاسباب متعلقة بدوقية ميلان
 ولم يمكنه ايضا مع صولاته وجلالة قدره أن يوقع بينهما الصلح والوفاق ولكن
 لتلايقال أنه ثاب في سعيه حمله على عقد هدنة بغير سنوات وكانت
 شروطها عين الشروط المذكورة في الهدنة الاولى حيث ذكر فيها أن كلاهما
 يبقى معه ما هو الا آن تحت يده وأتهما في مدة الهدنة يعثنان وسلمهما الى رومة
 لينتظرا في هذه القضية مع التؤدة والتأني
 فمما كان آخر هذا الحرب الذي لم تطل مدته وانما كانت أهميته لاهمية
 ما حصل فيه من الوقائع وما بذله الصلمان قيمه عن المجهود وان كان فرنسيس
 لم يظهر بقصوده الذي كان نصب عينيه وهو التخلط على دوقية ميلان لكنه
 حاز لنفسه شرفا عظيما وبخاراجا جسيما بفتح جيوشه واصابة رأيه في الوسائط التي
 احتسرها بالمدفع العدو وطرده عن مملكته وزيادة على ذلك اضاف الى مملكته

(سنة ١٥٣٨)

بلادا كثيرة حيث تغلب على نصف بلاد الدوق دوساوة وضجها الى بلاده بخلاف الايمبراطور شرلكان فانه طرد ولحقه الذيل والهوان بعد أن اظهر في المحل العام كاسبق أنه جازم بالنصرة واضطر الى اشتراء الهدنة بتخليه عن الدوق دوساوة وكان يتقبحه ويحتد على شوكة وصواته وطاماتسكي هذا الدوق وتظلم من هذه المشارة التي اضرته وولكن لم يجده ذلك فعاوكان ضعيف الشوكة لا يمكنه المقاومة في مثل تلك الاحوال فامتثل طوعا او كرها ولم يتق له من بلاده سوى مدينة نيسة وأعمالها وماعد ذلك تقاسمه الملك فرنسيس بظله واقبائه والايمبراطور الذي كان متعاهدا معه وتحتل عنه مع الحاحه عليه في طلب الاعانة والاسعاف وهذه عبرة يعتبر بها اولو الابصار حيث يعلم منها أن الامراء الضعفاء الشوكة اذا كان بجوارهم ملوك ارباب شوكة قوية وجلهم عدم الحزم والتبصر في العواقب على الدخول في حروبهم لابد أن تضيع حقوقهم ويلحقهم الضرر عند الاصطدام

وبعد عقد الهدنة بايام ركب الايمبراطور البحر وسافر الى مدينة برسلوة الا أن اختلاف الريح قذف بسفنه الى جزيرة ستجار غوريطه على اطراف اقليم برونسة وكان الملك فرنسيس قريبا من تلك الجهة فلما بلغه ذلك رأى من الواجب عليه ايواء الايمبراطور في بلاده فعرض عليه أن يتقابل معه في مدينة ايفومورت فمعرض خمس الايمبراطور أن يكون دون فرنسيس في الحلم وكرم النفس فلبى دعوته واجابه الى ما طلب وتوجه الى المحل الموعود فبمجرد أن رست سفنه ذهب اليه الملك فرنسيس حتى كاثه نسي الرسوم البخارية ونزل سفيته ولم يخنمته حذرا فتقاء الايمبراطور مع غاية التعظيم والتجيب وظهر له صدق المودة والمحبة ولما كان اليوم الثاني لم يأخذ الايمبراطور ايضا حذرا من الملك فرنسيس حيث نزل بمدينة ايفومورت بدون احتراس فتلقاه فيها فرنسيس مع التجيب والظهار المحبة الصادقة كما فصل شرلكان معه تخين نزلي سفيته وقضيا تلك الليلة مع بعضهم على شاطئ الماء وكانا في مسامحة تهما يتسابقان الى اظهار الاحترام والتجيب

مطلب
مقابلة الايمبراطور
شرلكان مع الملك
فرنسيس في مدينة
ايفومورت

(هنة ١٥٣٨)

لبعضهما فكانت هذه المقابلة عجيبة بالنسبة الى ما وقع بينهما قبلها فانهما
مكثا عشرين سنة وهما في حروب ومقاتلات مع بعضهما وعداوة مستمرة وطالما
نقص احدهما بالآخر وسبه ودعا الى القتل الخصوصي والتزال في الميدان
فقد وقع من الإمبراطور غير حرة القدر في فريس والتشجيع عليه في سائر
الممالك الافريقية ووصفه بأنه ملك لا عرض له ولا شرف وكان فرنسيس
قبل ذلك بمدة قليلة قد اتهمه بأنه سم ابنه البكرى فانظر الى هذه الامور
المتناقضة ولكن لا غرو في ذلك فان تاريخهما مشهور بمثل هذه الامور
الخشنة وقد ظهر في ظرف هذه المدة السيرة انهما اتفلا من اشد البغضاء
والعداوة الى صدق المحبة واكيد المودة ومن عدم الوفاق ببعضهما
الى الائتمان التام ومن خداع اهل السياسة ومكرهم الى حسن النية
وخلاص الطوية

وبعد ان اتيت البابا لنفسه التخاذل بنشره الوية الصلح والاصلاح في بلاد اوربا
اشتغل بترقية عائلته ونجح في مقصوده وذلك أنه لم ير ليسي وينزل جهده
حتى خطب من الإمبراطور مر غريطة اميرة الاستروسيا للامير
او كاوة فارنيز وكانت هذه الاميرة من ماء الإمبراطور بدون نكاح وكانت
اولا تحت الامير اسكندر دوميديسيس ثم اتى عنها وتأممت بعده فاعطى
الإمبراطور مخاطبة بنته المذكورة تشريعات وارضى عظيمة وكانت تلك
الاميرة قد عقدت زواجها في اواخر سنة ١٥٣٧ بمحاضرة مشهورة
محزنة حاصلها ان هذا الامير لا ساعده الإمبراطور وولاه الحكم على فلورنسة
بعد ان بردها عن الحزبة اهل في ادارة الحكومة واتسع سبيل اللهو واللعب
ولم يكن في قريته الامير لورنطة دوميديسيس بشاركتة في سلوك هذا
المسلك بل كان يرشد عليه ويفر به عليه فكان هذا الوزير يريدى للامير اسكندر
من المسار والمخطوط ضروريا وانواعا حتى تمكن منه وصار له موقع عظيم عنده
ولكن مع تجاوز لورنطة المذكور الى المد مع هذا الامير في الانهالك على
المخطوط والشهوات والمبالغة في الترفه والرخاوة حتى كان لا يتقصد سيفا ويبرزع

مطلب
قتل أسكندر
دوميديسيس

(سنة ١٥٣٨)

لرؤية الدم كان يمكن من الطمع والحرص فانه لتولعه بالخرقة والطمع في نيل
الحكومة عزم على القتال بهذا الأمير الذي كان يحبه ويفقد عليه بالخيرات
الجليلة والعطايا الجزيلة فكثرت مدة طويلة وهو يشاور نفسه في هذا المقصد
المهول وكان مؤسوساً لا يأمن احداً على سره فلم يخبر بذلك احداً واستمر
مع اسكندر على المحبة والالفة حتى سادعه ذات ليلة واظهر له أنه يريد
أن يجتمع مع امرأته من الاهيان كان اسكندر يتخفى ومالهنا فاستوى
على عقله بهذه الحيلة وادخله في محل من منزله بحيث لا يراه احد ثم وثب عليه
فقتله بخنجر وهو نائم على فراشه مهمل في نفسه ينتظر قدوم هذه المرأة التي
وعدها فغند ذلك ارتفعت فرائص لورفضة وحقه الخوف من ارتكاب هذا
المكر واشتد به الحال حتى صار كالجناد لا حراك به ونسى جميع الاسباب التي
حمله على هذه القتلة فغلق ابواب المحل الذي قتله فيه وخرها باباً كالجنون
الى ارض غير ارض فلورنسة عواض عن كونه يعرض الاهالي على استرجاع
سريتهم ويخبرهم بموت اسكندر الذي كان يظلمهم او يدبر بعض طرق
يتوصل بها الى حيازة منصب من قتله ولم يعلم احد بقتل اسكندر الا في اليوم
التالي بعد مضي مدة طويلة من النهار لان اتباعه وخدمه كانوا لعدم انتظامه
في معيشته لا يدخلون اليه في الصباح فلما شاع الخبر اجتمع اكابر الدولة
واعيانها وتفاوضوا في شأن الحكومة ومن يقوم بها وكان الكردينال سيو
يجب عاقلة ميديسيس لانه كان من اتاحها بفرض أن يولى على الحكومة
الامير كوم دوميديسيس وكان عمره يومئذ ثمان عشرة سنة ولم يكن هناك
من المذكور من يرث هذه العاقلة سواء وواقفه على هذا الرأي
فرنسيس غيشاردين حيث ذكر اهل فلورنسة يبلغ كلامه وحجاسة
هبارته ما حل من الفتن والتعكريرات يسلاهم حين كلفت حكومتها اهلية
فرضوا بتولية هذا الأمير عليهم الا أنهم لم يثبت في الخيرة رسوله قوانين
يعمل بمقتضاها حتى لا يفسدوا الامم والبلاد في هذه الحالة

مطلب
قولية كوم دوميديسيس
على دولة فلورنسة

كالاول

(سنة ١٥٣٨)

مطلب

تصدى المتقيد من
فلورنسة لمنع توليته

واما لورنطة فانه لما نزل يحمل آمن حكي ما وقع منه للامير فيليس مغرور
وغيره من اعيان فلورنسة الذين كانوا قد تلوا منها وخرجوا بالطوع
والاختيار حين تحضت الحكومة الجمهورية وتثبتت حكومة العائلة
الميديسية فشكوه على فقرات هذه الخطة وشبهوه في الفضائل برجلين
يقال لكل منهما بروطوس احدهما انتهك حرمة الحقوق الطبيعية
ولم يراع لمة النسب (حيث قتل اولاده) رغبة في حرية الوطن والثاني قض
علائق الحبة وبذل الشكر بالكفران (حيث قتل قيصر وكان قد تشبه
واغدى عليه بالتم) * ولم يقتصر اعيان فلورنسة المذكورون على مدح
لورنطة بل خرجوا من الهال التي كانوا ملتصقين بها وجعوا عساكر وجنودا
وسرخوا اتباعهم واحزابهم على حمل السلاح وانتهزوا تلك الفرصة العظيمة
ليردوا حرية وطنهم الى اصلها واعانهم على ذلك رسول فرنسا الذي كان
وقفت في ديوان رومة وكان البابا ايضا يصمم على هذا الامر سر لانه
كان لا يحب عائلة ميديسيس فدخلوا ارض فلورنسة مع طائفة كبيرة
من العساكر ولكن كان الامراء الذين انضموا الامير كوم وظلوه بالحكومة
مستكملين بجميع الادوات اللازمة لتأييد اقتضابهم وسائر نلسا المعارف
اللازمة لاستعمال هذه الادوات في محالها حتى يكون نجاحهم محققا
فجمعوا في اقرب وقت جنودا كثيرة واجتهدوا في استمالة قلوب الاعيان
اليهم وفي ترغيب الاهالي في الملك الجديد واستعانوا في هذا الامر بالابرطور
مظهرين له انه لاشئ يؤيد كوم ويتأمر توليته الاهو يشد بطنه وقوة
عزمه وكان شرلكا يعلم ان اهل فلورنسة لهم رغبة عظيمة
في المعاهدة مع مملكة فرنسا وأنه مغرض من هذا نصار الحكومة الجمهورية
واحزابها حيث كانوا يرون أنه هو الذي تعدى عليهم واضرب بحريتهم فبناء
على ذلك كانت له مصلحة عظيمة في منع تجديد الحكومة القديمة اعني الحكومة
الجمهورية فلم يقتصر على اقرار كوم بالرياسة على محولة فلورنسة ولا على
تشريره بالالقاء وغيرها مما كان للامير اسكندر قبله بل التزم ايضا بتأييده

ونفضيده وكف من يعترض له بسوء ولاجل تحقيق هذا الالتزام ارسل
الى ضباط عساكر الايمبراطورية التي كانت معسكرة على ضواحي طوسكانه
أن يقوموا بنضروهم ويعينوه على اعدائه فبهذه الاسباب اتصّر كوم بالسهولة
على اعيان فلورنسة المنفيين حيث فاجأهم ليلا وقبض على اغلب
رؤسائهم فخابت بذلك آمال المتحزبين واستقر كوم على كرسية منصورا
مؤيدا وكان يتنى زيادة على هذه الانعامات التي منحها الايمبراطور
أن يتزوج يتيمة التي تأيت بموت زوجها امكندر الآن الايمبراطور
لما عان كوم على الوجه المذكور رأى أنه بذلك قد استأله اليه وثقتت
عنده محبته وصداقته فآثر عليه البابا وزوج بنته لقريبه (اوكانه)

وفي اثناء الحروب التي كانت بين الايمبراطور والملك فرنسيس حصلت
حادثة ضعف بينهما كان بين ملك انكلترة وملك فرانس منذمة
طويلة من المودة والمحبة وذلك أن ياكس الخامس ملك ايقوسيا
كان شابا ذابراة وجسارة فلما بلغه أن الايمبراطور قصد الاغارة على اقليم
برونسة اراد أن يظهر أنه ليس دون آباءه واسلافه في الميل والمحبة للمملكة
فرانس لاسيما وكانت فيه حمية تحمله على حيازة الشهرة والامتياز ببعض
مشروعات حربية لجمع فرقة عسكرية وعزم على السير بها لاعانة
الفرنساوية لكنه طرأت له موانع مشرومة منعتة عن التوجه بهذا الجيش
الصغير الى ارض فرانس ومع ذلك لم يزل مصجما على الذهاب اليها بنفسه
فركب البحر وسار حتى خرج الى البر قصد فورا اقليم برونسة لكن كان
قد ماخر في الوصول اليه لانه حصل له عائق في السفر فلم يتمكن أن يدرك الحرب
ويصل الى ملك فرانس الأبعد ارتحال عساكر الايمبراطور فبجئ هذا
السعي احبه الملك فرنسيس لاسيما وكان مخاطب في المحادثة بخطاب
عذب ويراعى من طرق الأدب ما هو مألوف مستحب فاخذ يذبله واستولى
على عقله فلم يتمكن أن يمنع عنه بنته مادلينه حين خطبها لنفسه فلما بلغ
هذا الخبر الملك هنري حصل له غم شديد لانه كان يغار من الملك ياكس

مطلب
تناقص المحبة التي كانت
بين الملك فرنسيس
والملك هنري الثاني

(سنة ١٥٣٨)

ولا يالته حتى انه مكث زمنا طويلا وهو يعامله ويعامل رعاياه اسوء المعاملة
فهو بالضرورة يتضرر من ذلك الزواج الذي يحوز به صدوق الشهرة وقوة
الشوكة ورأى أن تعرضه لمنع فرنسيس من تزويج بنته لياكس مغل
بالمرومة والادب خصوصا وهو ملته من عشيرة ملاوية كان آباؤه من قبله
حقا للمملكة القوقاسية ولما كان ذلك الاميرة بعد ذلك بجيل فطلب
ياكس من فرنسيس أن يزوجه بنته الاخرى وهي ماريه دوغيزة
فجعل الملك هنري عند ذلك يلح على فرنسيس كل الالتحاح ويحمله على
عدم الرضا بهذا الزواج وطلب هذا الاميرة لنفسه ليجيب سعى ياكس
ولكن لما كانت خطبة ياكس صادرة عن طوية خالصة بخلاف خطبة
هنري فانها كانت محض خداع بقصد التمهيل رجع فرنسيس الاول
ولم يصغ لقول ملك انكلترة فاغاضه ذلك كثيرا لاسيما وكان قد دخلته
الرغبة منه بسب الهدنة التي انعقدت بمدينة نيسه ومقابلته للايبراطور
في مدينة ايفومورت فظن أن فرنسيس عدل عن محبته وجعل يجدد
اسباب الالفة مع الايبراطور وكان الايبراطور يعرف طبع الملك هنري
حق المعرفة فادرك تأثره وتغيره من ملك فرانسوا ورأى ذلك فرصة تعينه
على تجديد ما كان قد انقطع من بينهما منذ زمن طويل من المفاوضات
والمداولات وكان قد زال من بينهما اقوى اسباب التفاهم والشقاق بموت
الملكة كاترينه زوجة هنري وكانت هذه الملكة من عائلة الايبراطور
ولما اراد هنري أن يطلقها كما تقسم عارضه الايبراطور اذ لا يليق به عدم
التعرض للمداخلة عن ملكة من عائلته فلما ماتت اراحته من التراجع مع هنري
واخذ يخادعه ويستعمله ويحبس اليه فعرض عليه عدة اميرات من عائلته
ليترجى منهن بمن شاء وكان منهن بنت اخته من ملك دانييرقه وخطب منه
بنته ماريه لامير من عائلة ملوك البرتغال ورضى بها بوصف كونها
بنته من الزنا ولكن لم يستعبد من ذلك نكاح اصلا ولم يوافقها كان عرضه لهنري
في هذا المعنى ليس على سبيل الجد ومع ذلك قد نجح في مقصوده وترقت بين

(سنة ١٥٣٨)

مطلب

تقدم التسع اى
اتساع دائرة الدين
(الجلد)

مطلب

المدالات والدساتر
التي حصلت لاجل
مقدورة قيسية

ديوان وديوان هنرى مدالات مسترة اضطلع بها احد هنرى على
الايمبراطور وولد بينهما محبة اضررت عاقبتها بالكل فرانس كل الضرر
وبهذه الحروب الطويلة التي مكثت عدة سنوات وكانت ناشئة عن طمع
الايمبراطور وحوصه تقدم التسع في بلاد المانيا واتسعت دائرة الدين
الجلد وذلك انه في مدة اثارته على بلاد افريقية وحرب مع ملكة فرانس
لم يلتفت في بلاد المانيا الا الى منع ما يضر بالراحة والامن العام بسبب
المشاجرات والمنازعات الدينية فلذا كان يحسن معاملته الامراء المعتزلة ويسلك
معهم مسلك الحلم ولين الجانب ليستميلهم اليه او يمنعهم عن الانضمام الى حزب
خصمه فاعتنى كل الاعناء بابقاء المزايا التي حازوها بموجب مشاركة الصلح
المتحدة في مدينة نورمبرغ سنة ١٥٣٢ من الميلاد واذا قطعنا النظر
عن بعض احكام كانت تصدر من ديوان الايمبراطور صرح ان يقول
ان الامراء المعتزلة لم يكن عليهم حرج في التسك بدينهم ولم يكن عندهم عائق
يمنعهم عن نشره وتوسيع دائرته ولكن كان البابا لم يرل بسى في عقد مشورة
قيسية عامة وكان المعتزلة لم يرضوا بافقادها في مدينة منتو حسبا
طلبه البابا ومع ذلك لم يرل البابا يشدد في تضييق ماسى فيه حتى صدر منه
في الثاني من شهر حزيران سنة ١٥٣٦ من الميلاد فرمان بتضييق المشورة
يكون افقادها بالمدينة المذكورة في الثالث والعشرين من شهر ايار
من السنة الجلدية وعين للتيا به عنه فيها ثلاثة من الكردينالات واحمر ملوك
لتصراية ان يؤيدوا تلك المشورة ويعضدوها ودعا احبار جميع الملل الى
حضورها ولا يخفى ان عقد مثل هذه المشورة لا يلقى الا في اوقات الصلح الخالية
من التفكير والشقاق حتى تكون عقول الناس مستعدة للتوافق وعدم
لاختلاف فلذا ظهر ان عقد هاتفي هذا الوقت غير مدب لان الايمبراطور كان
بأهب قتال فرانس ويستعد لاضرام نيران الحرب في جزء عظيم من بلاد
ودبا ومع ذلك اخذ القرمز من رسل وقتية غير معتادة ونشروه في الدواوين
لافرنجية ولابل استماله قلوب اهل المانيا كان الايمبراطور مدة اقامته

(سنة ١٥٣٨)

في رومة بلغ على البابا أن يتجزأ انعقاد تلك المشورة الآتية طمع في تحويله عما كان عليه من التخلي عن الحزبين وضمهم إلى حزبه فبعث مع الرسول الذي أرسله البابا إلى بلاد ألمانيا نائب صاحب ختامه المسيي هلدو وامره أن يساعده البابا في سائر ما يعرضه على المعتزلة ويؤيده في ذلك عن لسان الامبراطور أتم التأييد فاجتمع المعتزلة في مدينة سمالكالد وعرض عليهم الرسولان ما هما مبعوثان بصدده فبعد أن ابدى الهم ما عندهما من البراهين والادلة أبوا عن لسان واحد أن يقررا تلك المشورة القيسية التي يكون انعقادها باسم البابا وامره وله الحق بمقتضى فرمان في الرياسة عليها لاسيما وانعقادها بمدينة بعيدة عن بلاد ألمانيا في حكومة ملك لا يعرفونه ولا يعرفهم وله اتحاد والتسام كلتي ديوان رومة فلا يأمن علماءهم التبولجية أن يذهبوا إليها خصوصا وقد عنون عنهم في فرمان بالراضة فلا تشرح صدورهم لمثل ذلك وانضمت هذه الموانع إلى موانع أخرى كثيرة ومطريعتها في دق طويل نشره في الممالك ليركوا أنفسهم ويبرؤوها فغضب ارباب ديوان رومة من امتناع المعتزلة وجعلوا ذلك دليلا واضحا على عنادهم وعنتهم ولم يرل البابا يشدد في عقد المشورة في المكان والزمان اللذين عينهما لذلك الا أنه حصل التوقف في هذا الامر من طرف الامبر دوق دومترو من جهة حقه في الحكم على من يحضر هذه المشورة ومن جهة أمن مدينة منتو التي هي تحت حكومته من هؤلاء الأجانب فلما لم يمكن للبابا أن يجيب هذا الدوق إلى ما طلبه آخر عقد المشورة بعض شهور ثم امر بعد ذلك بعقدها في مدينة ويسنسة بدول البنادقة وجعل يوم انعقادها غرة شهر ايار من العام للقبال ولما كان لم يقع صلح بين فرنسيس والامبراطور فلم يأذن كل منهما لاحد من رعاياه بالتوجه إلى تلك المشورة فلم يحضر في اليوم الموعد احد من اعيان الدين النصرانية فخشى البابا أن يعين يوما آخر فلا يحضر فيه احد وذلك يزرى بمشائعه وعلو مكانته فامر بتأخير عقدها ولم يسم لذلك اجلا

في ٨ من شهر تشرين
الاول سنة ١٥٣٨

(سنة ١٥٣٨)

مطلب

إزالة الباب العدة مفساد
من ديوان رومة

وحيث كان البابا بولس لا يريد أن يعاب عليه بكونه يشد في نسخ يتوقف
حصوله على غيره ويمل في نسخ يمكنه تغييره بنفسه أمر جمعية من الكرديتالات
والاساقفة أن يمشوا عما في ديوان رومة من الفساد والمظالم وعن أقوى
الويباط في إزالتها ونسخها بحبل بمنه ذلك لكن مع التغيير والتكثير فلذا كان
اجراؤه بطيئا حيث تساهلت هذه الجمعية في البحث عن هذه الفساد بل كان
مثالها في ذلك كمثل انسان ترقد قرأه كلما أراد أن يدخل يده في الجرح ليعرف
ما به ومع انهم سلكوا في البحث عنها مسلك التعامل والتساهل غيروا منها على
مفساد كبيرة ومظالم كثيرة الا أن الطرق التي سلكوها في اصلاحها لم تكن
كافية اولم يحصل الاعتناء باجرائها وكان ارباب هذا الديوان مصحين
على اخفاء تقرير هذه الجمعية وما يخط عليه رأى اربابها ولكن طرأت عوارض
كانت حيا في انتشار ذلك يلاذ المانيا حتى علم به الخصاص العام واستعان به
المعتزلة على افساد اصول الكنيسة الرومانية وتأييد مذاهبهم من جهة جعلوا
يرهنون على انه لا بد من النسخ في اصول الكنيسة وابدوا أن أغلب الفساد
التي اعترفت بها تلك الجمعية هي عين الفساد التي قرنها لوتير واصحابه
وارادوا اصلاحها ومن جهة اخرى أخذوا يرهنون على أن القسوس
لا جسارة لهم على اجراء هذا النسخ بانفسهم فقال لوتير انهم اشتغلوا بمعالجة
ناكيل صغيرة واهملوا القروح الكبيرة بل وصبروها منمنة

وكان الامبراطور قد ألح على الامراء المعتزة أن يرضوا بقدر المشورة القسبية
العامية يلاذ ايطاليا فافزعهم ذلك جدا حتى رأوا من الواجب عليهم
أن ينقروا عصبتهم فادخلوا فيها عدة ناس ذوى شوكة كانوا يطلون الدخول
تقيا لاسيما ملك دانيفرقة وكان هلدو رسولا الامبراطور قد شاهد مدة
اقامته في المانيا أن المعتزلة لهم شوكة عظيمة بسبب عصبتهم فاراد أن يرتب
عصبة تعادلها ولا تخفج عن القساويلبيين من امراء الامبراطورية
فترتب هذه العصبة وسميت باسم العصبة المقدسة ولكن لم تكن الا ليجرد
الدافعة عن دين الكنيسة وتأييده لأن نقض دين المعتزلة ونسخه وكان هلدو

مطلب

العصبة التي ترتب
للعادلة عصبة المعتزة

(مئة ١٥٣٨)

مطلب

خوف المعتزلة وفزعهم

لم يرتب تلك العصبية الا بطريق النجاسة عن الايمبراطور حيث كان قد قوض له الامر فيما قيل ومع ذلك انكرها الايمبراطور فيما بعد ولم يدخل بها من الامراء الا افراد قلائل

وقد علم المعتزلة بهذا العصبية مع الاعتناء الكل بكتمانها وانشاء امرها عنهم وكانت قوسهم دائما غير مطمئنة فكانوا يحضون حدود امر يضرب بينهم الجهد ولحقهم فرع كبير من تجمد هذه العصبية وظنوا أن الايمبراطور قد عزم على نسخ مذهبهم وابطالها فبنوا على ذلك اخذوا يحترسون منه فجعلت عصبيتهم تكثر من عقد الجالس والمذاكرات وتتداول مع كل من ملك فرانسا وملك انكلترة بل وصاروا يتذاكرون في شأن جمع العساكر والاموال التي فرضوها على كل واحد من ارباب العصبية في المشاركة المتعقدة بمدينة سمالكاد ولكنهم محاليل علموا أن هذا الفرع لم يصادف محلا وأن الايمبراطور محتاج الى الصلح وبقاء الراحة بسبب دمار قواه وعساكره في حربه مع مملكة فرانسا فلا يريد ما يوجب تعكير بلاد المانيا وازالة الصلح منها وذلك أن المعتزلة لما اجتمعوا برسل الايمبراطور في مدينة فرنكفورت رأوا أنه لم يعزم على شيء مما اتهموه به فاقطع الرأي في هذه المدينة بينهم وبين رسل شرلكان على أن مارخص لهم فيه سابقا لاسيما في المشاركة المتعقدة بمدينة نورمبرغ يبقى على ما هو عليه حسبما وقع عليه الاتفاق مقدسة عشر شهر وأتته في طرف تلك المدة لا يصدر من الديوان الايمبراطوري حكم عليهم بشيء وأن تتعد مشورة يحضرها بعض افراد من علماء اللاهوت بعضهم من طرف الكنيسة وبعضهم من طرف المعتزلة لينظروا في المسائل الخلافية ويحتملوا شرط الصلح التي تعرض على مشورة اللجنة حين انعقادها ولكن لم يقر الايمبراطور هذا الاتفاق صراحة خوفا من غضب البابا حيث أبدي أن البند الأول يضرب بمصلح الكنيسة ومع ذلك عمل بمقتضى هذا الاتفاق حرقا بحرق حتى ترتب على ذلك تمكين اياما الحزينة بالبيعة التي كان المعتزلة يجتهدون في طلبها

مطلب

ادخال دين المعتزلة في بلاد سكس

وبعد الاتفاق الحاصل بمدينة فرنكفورت بايام قلائل مات الامير جورج

دوق سكس فكان موته معيناً على نشر دين المعتزلة وتوسيع دائرته وكان
هذا الامير كبير فرح امراء ~~سكس~~ الصغير وكان له من حيث كونه ملتزم
مسيحه وتوحيجه اراض واسعة جداً من بجلتها مدينة ~~تدرسه~~ ومدينة
لبسبك وغيرهما من اعظم مدائن بلاد هذا المنتخب وكان من اكبر اعداء دين
المعتزلة فكان يقرمه بقدر ما كان غيره من الامراء المتخفين يؤيده ويدافع
عنه فكانت لافتقاره همة في مناقضته لانه كان متمسكا كل التمسك بالدين
القائوليقي فاودع ذلك في قلبه بدعا واوهاما مقرطة خصوصا وكان يبغض
لوتير حتى كان لا يستطيع النظر اليه وكان الفرع الاخر من عائلة سكس
يدافع عن الدين الجديد ويعضده وكان بين الفرعين مناقشة فلذا كان الامير
جورجي المذكور من اقوى الموانع لتقدم دين المعتزلة واتشاره وحيث انه
مات ولم يعقب ذرية انتقل ميراثه الى اخيه الامير هنري كبير الفرع الاخر
وكان يميل الى حزب لوتير بل كان ميله الى دين المعتزلة يفوق ميل
الى الدين القائوليقي ~~وسكان~~ جورجي لشدة ميله لدين الكنيسة قد حذر
وصية قبل وفاته ذكر فيها أن جميع اراضيه تكون هبة منه للامير اطور وملك
الرومانين ان اراد اخوه هنري اتساع دين المعتزلة والعدول عن الدين
القائوليقي فبجرد استيلاء هنري على اراضيه وحيازتها لم يلتفت الى تلك
الوصية بل دعا جمعة من علماء المعتزلة وكذلك لوتير الى الحضور بمدينة لبسبك
فلما حضروا بها وحصلت منهم الاعانة لهذا الامير فسمح في ظرف بعض اسابيع
من بلاد الدين القديم ونشر بها اعلام الدين الجديد وفرح رعاياه بذلك كل الفرح
بقيته على وفق مرامهم وانما كان اميرهم المتوفى يمنعهم عن هذا الدين بطريق
القهر والاكرام فهذه الحادثة نجت طائفة المعتزلة من الاخطار التي كانت
عرضة لها يبغض الامير جورجي لديها لاسيما ~~سكان~~ متمسكا منهم
حيث كانت اراضيه في وسط بلادهم قرأوا بعد موته دائرة اراضيه قد اتسعت
وصارت متصلة ببعضها يكاد أن لا يخط لها فاصل من عواصم البحر بلطقي الى
شواطئ نهر الرين .

(سنة ١٥٣٩)

مطلب

قيام العساكر

الإمبراطورية

وخرجهم عن

الطاعة

وبعد انعقاد هدنة مدينة نيمس ببعض أيام حصلت حادثة علم بها اهالي
اوربا أن الإمبراطور لم يعدل عن الحرب الا لكونه رأى انه لا اقتدار له عليه
وأن مصالحه لا تتوخى له ذلك حيث كانت عليه مبالغ جسيمة من ماهيات
عساكره وكان يلاهم ويحاذهم بالمواعيد ويرزخ لهم القول لكن لما أوا
انه بسبب الهدنة صار لا يحتاج اليهم ولا يجهيهم اذا طلبوا منه ماهياتهم عيل
صبرهم وعصوا دفعة واحدة واطهروا أنهم يريدون اخذ استحقاقهم بطريق
القهر والغلبة ولم تكن هذه القننة مقصورة على بعض دول الإمبراطور دون
بعض بل عت سائر بلاد * فاما العساكر الذين كانوا بدوقية ميلان
فهبوا القرى وبلاد الارياف وافزعوا تحت هذا الدوقية * واما المهاقلون
الذين كانوا بقلعة غوليطه فابعدوا أنهم ان لم يعطوا استحقاقهم فلما مانع
يمنعهم من تسليم هذه القلعة الى بربروس * واما العساكر الذين كانوا
بجزيرة سيسيليا قتلوا ما هو اعظم من ذلك حيث انهم بعد أن طردوا
ضباطهم ولوا على انفسهم ضباطا آخرين هزموا سرية ارسلها اليهم نائب
الإمبراطور وتغلبوا على علة مدائن ونهبوها وسلخوا في ذلك غاية اللاتمام
والضبط والربط حتى كأن حروبهم ناشئة عن نظام تام وادارة محكمة لا عن جبة
عسكرية تمز ولا تستقر ولا يتسرمعها انتظام ولا ضبط وربط ولكن لحزم رؤساء
الإمبراطور ومهارتهم اقترضوا اموالا باسمهم واباسمه وشرى كل منهم مغارم
جسيمة على مدائن الاقاليم التي كان مقيما بها حتى جعوا المبالغ اللازمة لصرف
ماهيات العساكر وسكنوا القننة وبعد ذلك سرخوا معظمهم ولم يبقوا منهم
الا بقدر ما يلزم لحفظ القلاع والمدائن الكبيرة وحفظ سواحل البحر من اغارات
الدولة العثمانية

مطلب

اقتقاد مشورة

وكلاء مملكة

قسطيلة في مدينة

طليطلة

فلو فو حظ الإمبراطور اتقنه مهارة رؤسائه من هذا الخطب الذي كان
لا يمكنه بجرده أن ينجو منه ولم يكن تحت نظره بما يوفى به استحقاق عساكره
الا الامداد الذي كان ينظره من اهالي مملكة قسطيلة فبنا على ذلك جمع
مشورة وكلاء تلك المملكة بمدينة طليطلة وعرض عليهم المبالغ الجسيمة التي

(سنة ١٥٢٩)

صرفها في الحرب وبين لهم ما عليه من الديون الجمة وطلب منهم أن لا يسلطوه من الامداد والاعراف ما يستنصبونه بالنظر لحالته الراهنة وأن يضربوا ذلك مغرماً على جميع البضائع وقروح التجارة ولكن كان اهل اسبانيا اذذاك ملزومين بخارم لم تكن تعهد عندهم بانهم واسلافهم وكانوا يتحكرون بخالبها من فقد اموالهم ورجالهم في حروب لا تقصم ولا يعود عليهم منها فضع فكافوا مصممين على أن لا يتكفوا انفسهم بخارم جديدة ولا يعينوا الايمراطور على شرب يضو يلاذهم كالحروب السابقة لاسبانيا لاشراف منهم فانهم تلتصقوا في المغرب المطلوب ولبدوا انه يضرب باعظم من اياهم قوتهم وهي معافاتهم من الخارم على اختلاف انواعها وطلبوا المناقضة مع وكلاء المدن في شان سالة الله وعرضوا على الايمراطور انه ان اقتدى بسلفه ولازم الاقامة يلاذ اسبانيا ولم يتعرض الى المصالح التي لا تقص الدول الاسبانية فايراد التناج يكتفي بل يريد عايلزم للحكومة من المصاريف وامام ادم يعدل عن ستمهم ويحمل في تلك الوساطة التي ينشأ عنها ثروة الله وتقوذ كلمتها فبعيه في ضرب مغارم جديدة على السلة الاسبانية ولية محض ظلم وتعسف فلك الايمراطور مع ارباب تلك المشورة سلك التبرج والمواعيد والاستدلال والبرهنة ليستميلهم اليه فلم يجد ذلك نفعاً فصرفهم واحشائهم تغلبي ومن يومئذ ليدع الاشراف ولا القسوس الى مشورة القرطس وبسبب ذلك هو ما قيل انه اذا انعقدت مشورة القرطس وكان الغرض من انعقادها ضرب مغارم جديدة فلاداعي لحضور خرقة القسوس والاشراف الهالان من لا يدفع شيئاً للاحقه في ابداء الرأي وصار لا يحيل في تلك المشورة تاذا اجتمعت الا وكلاء المدائن الثمان عشرة المتقدمة وكاواسنة وتلافيين لان كل مدينة منهما كانت تبعث رسولين وكان يتألف منهم مشورة ليس لها من الصولة ولا من القسام والاعتباجوما كان مشورة القرطس سابقاً بل كانت تطيع الديوان الايمراطوري في جميع الامور ولا تتخالفه في شيء مما تحصل في شأنه المذاكرة فمن ذلك أن اشراف قسطنطينة لعدم تبصرهم وقلة حزمهم ايدوا المنزاة الملوكية وقاموا بانصرحها حين خرجت

مطلب

تشكي ارباب المشورة وتظالم

مطلب

ابطال الرسوم القديمة التي كانت مجمولة لمشورة القرطس

(سنة ١٥٣٩)

البلديات البلدية عن طاعة الملك سنة ١٥٢١ فاضرت ذلك بمصابة
الاشراف حيث ان الاشراف المذكورين باعته لهم لشرلكان على خفض
طاقتهم من طوائف المملكة وهي طاقتة الاشراف على العموم اضاعوا التعادل
الذي كان حصاناً من القوانين للمملكة وساغ لشرلكان ومن خلفه
أن يفتنوا تلك للعصابة ويجعل دوا عن ابيه من اياها واعظمها
ومع ذلك فكان باقية الاعيان اسبانيا شوكه عظيمة وخصائص جسيمة
يدافعون عنها مع الكبر والعنف الذي كانوا ممتازين به عن غيرهم من الامم وقد وقع
للايمراطور مدة انعقاد مشورة العموم بمدينة طليطلة ما يده على ذلك
* فقد اتفق ذات يوم أنه كان راجعاً من ملعب التورنوس ومعه
معظم الاشراف فهم احد جاو يشية ديوانه أن يسمع له طريقاً من الزمام ف ضرب
بعضاً فر من الامير دوق دولقاتنادو فغضب هذا الدوق وسل حسامه
وضرب به الجاويش بخرجه فغضب الايمراطور من جسارة هذا الدوق امامه
وضرب به الجاويش بحضرته وأمر الامير رونكيو وكان من ضباط ديوانه
أن يقبض حالاً على الدوق فتقدم رونكيو ليقبض عليه فحلب بالامر فلم يشعر
الاوحاً كم المدينة قد قبض عليه متعللاً بأن من مزايامنصبه ووظيفته أن يحكم
على اعيان اسبانيا وذهب بالدوق دولقاتنادو الى منزله فصر لذلك
جميع الاشراف الذين كانوا حاضرين لمافية من المدافعة عن مزايائ طاقتهم
وتركوا الايمراطور وصحبوا حاكم المدينة الى قصره وهم يمدحونه على فعله
فاضطر الايمراطور الى الرجوع وليس معه الا الكردي نال طاويرة ولحقه
من ذلك غضب شديد لكنه رأى أنه ان تعرض لمن أساءه بشئ قد تعرض
نفسه الى الخطر لان طاقتة الاشراف كانت شديدة البأس وكانت ادنى اساءة
تخرجها عن اطوارها وتودعها الى ارتكاب ما لا يرتكب فعوضاً عن كونه
يشدد في هذا الامر ويظهر بحقوقه ومزاياء الملكية عمل بما يقتضيه الحزم
من الانغصاء عن سفاهة هذه الطاقتة القوية الشوكه حيث كان يعلم أنه
ان قصدي لعقابها عرض نفسه للفطر وارسل في صبيحة اليوم الثاني الى

مطلب
بيان كون اعيان
اسبانيا كان لهم مع
ذلك مزاياء كبيرة

(سنة ١٥٣٩ م)

الدوق ولاقاتادو في بيته وعرض عليه أن يعاقب الجاويش كيف شاء
فرأى الدوق أن تسليم الإمبراطورة بهذا المنابة **❧** كفي في التوفية بحقه
واصلاح ما حصل له من الأياء فصنع حاله من الجاويش بل فاقفه بهدية عظيمة
في نظير جرحه وعما قيل تنوسيت هذا الدعوى فلم يبق لها ذكر ولولا أنها تدل
اتم الدلالة على كبر اشراف اسبانيا وحررتهم وعلى نهضة الإمبراطور
وحزمه لكونه رأى في ذلك مقتضيات الأحوال لما كانت جديرة
بالذكر في التسامخ

مطلب

عصيان مدينة غنده

ولكن لم يحصل من الإمبراطور مثل هذا الحلم في حق أهل غنده حين عصوا
عليه بعد ذلك بمدة قليلة وكان سبب عصيانهم أنه في سنة ١٥٣٦
من الميلاد حصلت حادثة أفضت بهم إلى الخروج عن الطاعة فأضرت عصيانهم
بتلك المدينة الزاهرة وذلك أن ملكة البحار لما كانت حاكمة في البلاد الواطية
وجامعها أمر من أخها شريك بالانغارة على ملكة فرنسا بما يمكنها
جميعه من القوى والعساكر جمعت مشورة عموم الأقاليم المتبعة فرضى أربابها
أن يجمعوا لها القوامتين من القلودان (نوع من النقود) لتستعين بها على
الحرب فضرب على قوتية التملك تلك هذا المبلغ وكان أعظم مدن هذه
القوتية مدينة غنده وكان لأهلها تجارة واسعة رابحة مع ملكة فرنسا
فكانوا لا يريدون الحرب مع الفرنسيين فطلب منهم ما يخصهم من المبلغ
الذكور بأودفعه متعلين بأنه بموجب الشروط بينهم وبين أباء الإمبراطور
لا يسوغ أن يضرب عليهم مقرر أيا ما كان إلا عن رضائهم بدون إرام وكانت
ملكه البحار تقول أن هذا المبلغ حين اقترنه مشورة عموم التملك وكان وكلاء
غنده من جملة أرباب هذه المشورة ولولم يصدر منهم تصديق يجب على هذه
المدينة أن ترضى بما حكمت به تلك المشورة لأن من الأصول التي
ينبغي عليها نظام كل جمعية ولا يتم الأمن بدونها أن رأى الجمهور يغلب
على غيره فلا يصح أن يعمل بمقتضى رأى وكلاء تلك المدينة ويلقى رأى غيرهم
وهو الجمهور

دعوى أهل غنده

فلربما اهل غنده بهذه العلل حيث كانوا متعودين في عهد العشرة
البورغونية على التمتع بهزايا وخصايس واسعة وعلى الحلم ولين الجانب من
طرف حكمهم فلم يزالوا معصين على عدم دفع ما ضرب عليهم وأبوا أن يطيعوا
الملكة التي كان كمعها عليهم بطريق القياية ولم يقبلوا امرها في شيء بقصر
بحقوقهم ومن الملم التي طالما ادخروا عنها ملوكهم الاقدمين وظفروا بمرامهم
مفعات الملكة اولا لتسليمهم باللين والرفق وتسلمت معهم مسلك الحلم لتدخلهم
تحت الطاعة فلم يكن ذلك فلعنها غضب شديد وامرت بالقصص على كل من كان
في مملكة البلاد الواطية من اهل غنده ولكن مثل هذه الطريقة لا تؤثر
في رجال كانت حيتهم شديدة من وجهين مختلفين وهما بعضهم الظلم وجههم المزية
فشدت غضبهم من هذه الملكة لم يلتفتوا الى ما ترتب على عصيانهم من المصائب
التي تضر باياموتهم واحصايتهم بل احترقوا ارامرها وعثروا رسلا الى سائر
المدائن الغليظة يحرضونهم على عدم التخلي عنهم في هذا الخطب حيث
انه امر مشترك بينهم وبينها وطلبوا منها أن تنضم الى حزمهم ليستصروا الحقوقهم
ويؤيدوها وانه لا يليق بهم أن تفر عنهم بقاها امرأة لا تعرف من اياهم او تعرفها
ولا تحترمها فابت تلك المدائن أن تنعصب على الملكة ماعدا بعض مدائن صغيرة
وانما اوطأ بعضهم بعض على أن تترجى الملكة أن تبقى هذا المغمم المضروب
على اهل غنله حتى يعثروا رسلا الى الإمبراطور في اسعانيا يعرضون
عليه ما لهم من المزية التي بموجبها كوفون معاقين من دفع ما ضرب عليهم
وعرضوا هذا الرأي على الملكة فتوقفت اولا ثم رضيت فتوجه الرسل الى
اسبانيا فوجدوا في الإمبراطور من الكبر والعنوة ما لم يجدوا في اسلافه من
الملك فامرهم أن يطيعوا اخته كما عتبه له واصل تحقيق دعواهم على مشورة
مدينة مالينس وكانت هذه المشورة جزأ من برلمان قوية الظنك
فكان يسوغ لها أن تحكم في المصالح الجسيمة حكما يتبلا لا يقبل النقص فحكمت
بأن دعوى اهل غنله لا غية والزمهم بدفع المغمم فورا
فغضب اهل غنله من هذا الحكم وعذبوه من الظالم الذين في سقمهم واستولى

مطلبهم
عصيان اهل غنله وعرضهم
على ملكة فرانسأ أن تدخل
مدنهم تحت حكمها

عليهم اليأس والقنوط حيث رأوا أن المشورة التي هي قرار العدل ومحل
 الانصاف قد خانتهم وغدرت بهم وحكمت عليهم بغير الحق مع أن حقها
 أن تعضدهم وتأخذ بناصرهم فعصوا جميعا ونهروا السلاح وطردوا من
 مدینتهم جميع من كان مقبلا بها من الاشراف وقبضوا على طلائعهم من ضباط
 الايمراطور وجعلوا يعذبون ضباطهم اتموه بأنه اخفى اوزير في الدفتر الذي
 كان محتويا على قوانين معاقبتهم ورتبوا فورا مشورة فوضوا اليها ادارة
 مصالحهم وصدرت منهم اوامر باصلاح التخصينات القديمة وانشاء ملازم من
 التخصينات الجديدة ونشروا لواء العصيان والخروج عن طاعة ملكهم لانهم
 لما كانوا يعلمون أنهم لضعف شوكتهم لا يمكنهم مقاومتهم بمفردهم ارادوا أن يتخذوا
 لهم نصيرا يعينهم على بطش عدوهم فجمعوا على ارسال رسول الى الملك
 فرنسيس يعرضون عليه أنهم يابعدونه بالملك عليهم بل ويعينونه حق الاعانة
 على التغلب من مملكة البلاد الواطية على الاقاليم التي كانت ساقا لتاج فرنسا
 وحكم بعضها اليها في الامر الصادر منذ قليل من الملك باريس ولا يخفى
 أن عرض مثل ذلك من اناس يمكنهم أن يغيروا بعضه حالا ويعينوا حق الاعانة
 في تجميع البعض الآخر كان حقه أن يفر فرنسيس لشدة طمعه وحرصه
 ويبنى عليه آمالا واسعة لان قوتية القلعة وقوتية اربوازة كلتا
 اعل مقدار من دوقية ميلان التي كان فرنسيس يودا لاستيلاء عليها
 ومكت زمنها طويلا وهو يصرف في ذلك مصاريف واسعة ويذل مجهودات
 كثيرة ولم يمكنه التفرغ بمقصوده في شأنها ولقرب هاتين القوتيتين من مملكة
 فرنسا كان يسهل عليه الاستيلاء عليها وحفظهما اكثر من الدوقية
 المذكورة وكان يمكنه أن يجعلهما مملكة مخصوصة يولي عليها ابنه الامير
 دوق دووليان وتكون جذيرة بংশمه كالمملكة التي كان ابوه يعد لها وكان
 من الجائز أن اهل القلعة يعرفهم باخلاق فرنسا وية وحكمهم لا يتوقعون
 في الدخول تحت طاعتهم وأن فرنسا وية لتعجبهم بقادقواهم في حروب بلاد
 ايطاليا يرغبون في الحرب بمملكة البلاد الواطية ويعتفون به فلا ينجيب

(سنة ١٥٣٩)

سعيهم بل يظفرون بجرامهم ومع أن هذه الفرصة كانت في الظاهر اعظم فرصة
للملك فرنسيس يستعين بها على توسيع دوله واذلال الايمبراطور كان
ثم عدة اسباب قوية منعه عن انتهازها واجتناب ثمارها وذلك أنه من حين
مقابلتهما لبعضهما على مدينة انغومورت كان الايمبراطور ليرذل يراعى
مزاج الملك فرنسيس ويلاطفه ويعد به بأنه يجيبه الى مطالبه في شأن دوقية
ميلان وأنه يعطيه اليه الا أنه أبى أن يـ~~تـ~~سلم هذه المواعيد صادقة
وأنه كان قصده بها اما اخراج فرنسيس من معاهدة السلطان سليمان
او أنه بكثر مداولاته معه يوقع الريبة في نفس السلطان فيحصل التناقص بينهما
وكان من عيب فرنسيس أنه كان كالتلمذ يغتر بالسراب فاهمل في تحصيل
القوتين السابقتين مع أنهما اعظم من دوقية ميلان التي كان يريد الاستيلاء
عليها * وفي اعادة على ذلك كان الدوقين ابنه وولي عهده يفاقر من اخيه غير شديدة
وكان يعهد فيه الطمع والحرص فشق على نفسه أن تعطى له قوتية الفلنك
وقوتية ارنوازة لانهم كانتا في داخل مملكة فرانسا وكان للمارشال
موتورانسى الخطوة عند الدوفين كوالده فرنسيس فاستعان به
على أن يعمل اباه على عدم قبول ما عرضه عليه اهل الفلنك
فلهذا الغرض جعل المارشال موتورانسى يبالغ لفرنسيس في الشهرة
الكبيرة والشوكم العظيمة التي يحوزها باسترجاع دوله التي كان يملكها في بلاد
ايطاليا وافهمه أن محافظته مع التدقيق على العمل بمقتضى الخدمة وامتناعه
عن قبول ما عرضه عليه رعايا الايمبراطور الخارجون عن طاعته مما يجب
فيه الايمبراطور فيه عليه دوقية ميلان * وكانت هذه الدوقية
عند فرنسيس بمثابة جديله فكان اعتباره لها بقدر ما حصل له من التعب
والمشاق في الاستيلاء عليها لاسيما وكان لاستقامة طبعه يركن الى مآطاهه
الحلم والكرم فجمع قول موتورانسى واستحسنه وامتنع عن قبول
ما عرضه عليه اهل غنسة وصرف رسله بقدر أن اجابهم بما اغضبهم
وانغاضهم

مطلب
امتناع الملك فرنسيس
عن قبول عرضهم

(سنة ١٥٣٩)

مطلب

اعلامه للإمبراطور
بمقاصدهم

ولم يكتف فرانسيس بردهم وعدم اجابتهم بل لسلامة باطنه اخبر الايمبراطور
بما وقع بينه وبين رعاياه الخاضعين من طاعته واعلم بما وقف عليه من مقاصدهم
والوسائط التي يريدون الاجتراس بها فلما رأى الايمبراطور ذلك من الملك
فونسيس آمن من جهته وزالت عنه الرية والوسواس وصكان قد بلغه
ما هو حاصل في مملكه البلاد الواطية من مجاوزة اهل غدة الحدود
في الحروب والعصيان وكان يعرف اخلاق اهل هذه المدينة وحيثهم وحبهم
للحرية وتولعهم بمزاياهم وعوايدهم القديمة وعنتوهم وبطأهم في اجراما معزوما
عليه من الشرورات وكان يعلم أنه لو أعانهم ملك فرنسا لظهر واعليه
ونظروا بجرامهم لما بلغه ما فعله فرانسيس معهم وصار آمنا من جهته
استمر على ما كان مصمما عليه من وجوب المبادرة الى اطفاء نيران الفتنة وبذل
الجهد في هذا الغرض لئلا تداركه قبل اتساع الخرق في هذه البلاد اقوية الشوكة
لكثرة مداسنها واموالها ودجالها ففكر زمنا طويلا ثم رأى أن الاصوب
أن يتوجه بنفسه الى مملكة البلاد الواطية وكان ذلك على مرام اخته لانها كانت
تطلع عليه بالسفر الى هذه المملكة وكان له من حيث السير الى اطر يقان يختار
ما شاء منهما اما أن يسافر الى ابرتا بأن يجوب بلاد ايطاليا والمانيا او يحرا
بأن يسافر من احدى مينات بلاد اسبانيا حتى يصل الى احدى مينات مملكة
البلاد الواطية فاما الطريق الاولى فكانت طويلة المسافة بالنظر لقتضيات
الاحوال اذ ذلك لان مثل هذا الغرض يلزمه المبادرة والاسراع لاسيما وطريقه
من بلاد المانيا فيلزمه من حيث كونه ايمبراطورا أن يأخذ معه اتباعا كثيرة
وقصاكر لاجل الاحتراس لانه ربما كان لا يأمن على نفسه وذلك يعطله
وتطول به الشقة واما الطريق الثاني فكان مزاج الفصل يمنع من السفر بحرا
لاسيما وكان بينه وبين ملك انكلترة منافسة ونزاع فيلزمه أن يأخذ معه
دوتما عظيمة لاجل حرسه وسخفه فلما كانت تلك الموانع تمنعه من ترجيح احدى
الطريقين على الاخرى فكر في الهم غريب ورجع الى الظاهر من الجنون
وهو أنه يريد المرو بمملكة فرنسا لانها اقرب طريق الى البلاد الواطية

مطلب

مذكره للإمبراطور
في شأن سفره الى مملكة
البلاد الواطية

مطلب

عرضه المرو بمملكة
فرنسا

(سنة ١٥٣٩)

فعرض على ديوانه استئذان الملك فرنسيس في ذلك ظم واقعه احدث من ارباب
الديوان على هذا الرأي وتظهر لهم أن ذلك من باب المخاطرة وأبدوا له أن هذا
السؤال لا يليق من جميع الوجوه وذلك أنه لا يخلو اما أن يبيحه بلتغ وذلك يحتمل
بمقامه ويؤذي بعرضه واما بالايجاب فيوقع نفسه في الخطر حيث يصير بذلك
بين ايدي عدو أهله غير متردد فهو يود أن لا تعلم منه لاسيما و كانت اسباب
الحرب لم تزل باقية بينهما ظم يصح الامبراطور لكل امهم بل ما زال معهما على
هذا القصد لانه كان يعرف طبع فرنسيس اكثر من جميع وزرائه وارباب
ديوانه فاجبرهم أن مروءه بملكة فرنسا ليس فيه ادنى خطر بل يسأل به
مطلوبه من غير أن يتكف شيأ يضرب شاجه

فاخبر قصده رسول فرنسا واية الذي كان في ديوانه وبعث الى مدينة
باريس وزيره الاعظم يستأذن فرنسيس في المرور بمملكته ووعده
بأن قضية ميلان ستم له عن قريب وترجاه أن لا يشتد في طلب مواعيد
اخرى غير هذا الوعد وأن لا يدقق في المواعيد التي وقع الاتفاق عليها سابقا
حتى لا يظهر أن الحامل له على قصدا عطية دوقية ميلان هو الضرورة
والحاجة لاعلاقات المحبة وحسب العدالة واما فرنسيس فلم يدرك ما رآه
الامبراطور وخداعه مع ظهوره وعدم خفائه على اولى الالباب بل عول على
أن الاولى للإنسان أن يحسن لمن اساء اليه لاسيما وكان قد فرح فرحا شديدا
بما بلغه من المدح على رده لامل غنمة وعدم قبوله لما عرضوه عليه فاجاب
الامبراطور الى ما طلبه لانه كان يظن في الامبراطور ما يعهده في نفسه
من الصدق وخلوص الطوية قطن أنه اذا اكثر من حسن معاملته واشده
المعروف اليه يحمله ذلك على الوفاء بمواعيده ويكون هذا الطريق اشد تأنيرا
عما اذا لزمه ذلك بموجب مشاركة أكيدة

ولما كان الوقت عزيزا عند الامبراطور شرلكان سافر فوراً ورعيته في وجل
وفزع عليه حين لم يجهده في السفر الانبضاض قليلا بل نحو مائة نفس ولكن
مع قلة هذه الدائرة المصاحبة له في السفر كانت دائرة ذات بهجة ورواق

مطلب

رضاء الملك فرنسيس

مطلب

دخول شرلكان

في مملكة فرنسا

(سنة ١٥٣٩)

فلما وصل الى ياون وهي مدينة على ضواحي مملكة فرانسأ تلقاه فيها
كل من ابني الملك فرنسيس وهما الدوقين ابي ولي العهد والامير دوق
دورليان وكان معهما الامير مونتورانسى وعرض عليه أن يذهب الى
اسبانيا ويكسبها ويكون بمنزلة الرهينة حتى يعود اليها سالما غلاما فلم يجبهما
الى ذلك بل قال ان الرهينة هي مروية ايكيا فلا اعول على غيرها وكان لكلامه
على مدينة تظهر لمن الاحترام والتبجيل ما لا يزيد عليه فكانت تتنافس
في تعظيمه وتشرفه حيث كان الحكماء يسلون اليه مقابضها وفتحت السجون
فلما رأيت ما كان يودى له من التشرىفات يومئذ لظننت أنه ملك فرانسأ
لاملك اجنبى عابر سبل وذهب الملك فرنسيس الى مدينة شاتلوروت
لاجل ملاقاته فيها فلما اجتمعا اطهر كل منهما لآخر صدق المحبة وأكد المودة
وسار معا حتى وصلا الى مدينة باريس وتعجب اهلهما حين رأوا هذين الملكين
بعد الحرب والشقاق الذى وقع بينهما مدة عشرين سنة وترتب عليه تعذيب بلاد
الافرنج بتمامه قد دخلوا مصطفيين مع الابهة والاحتفال ويطهران لبعضهما
الصداقة حتى كأنهما نسياما مضى بينهما من الاساة وصحبا على أن يعيشا مدة
حياتهما فى صلح مستمر لا ينقضى مدى الايام والليالى

(سنة ١٥٤٠)

واتام شريكان فى مدينة باريس ستة ايام وكان ديوان فرانسأ
الملوكى يسرى له من انواع التشرىفات والافراح ما لا يزيد عليه وكاوا
يتنزهون فى ذلك لاجل ادخال الحظ والسرور عليه ومع ذلك كان فى خلق من
الملك بفرانسأ لانه كان يود الارتحال الى البلاد الواطية ولم يكن سبب
هذا القلق مجزى لزم حضوره الى تلك البلاد بل كان سببه ايضا خوفه من
الاقامة عند عدوه وذلك انه لحب طوبته كان فى رعب شديد فكان يخشى
أن يظهر منه ما يدل على ما فى ضميره فيدرك خصمه او يرتاج منه ومع أنه نجح
فى اخفاء سره عن الناس كان يخشى ايضا أن يقلب فرنسيس مقتضيان
المصلحة على شعار المروءة وشرق العرض فيتمتز فرصة حصلت بين يديه ثم
قد انخط رأى بعض وزراء فرانسأ على معاملة الاسباطور بما فى نفسه

مطلب

قلق الاسباطور

فخرجوا

(سنة ١٥٤٠)

فزعوا على عقابه في قتلهم ما وقع منه غير مرة من الغدر والخيانة وارادوا
القبض عليه حتى يوفى بحقوق ملكة فرنسا الا أنه لم يـ~~يـ~~كنهم اذ يستلوا
فرنسيس الى قـ~~ض~~ ميثاقه وعهده ويهجموه اذ شرلكان بعد ما صدر
منه من المواعدة وحسن معاملته بهذا الميثاق لا يعد عليه أن يخون كما خان قبل
ذلك ~~كثير~~ من مرة بل نصبه فرنسيس الى مدينة سنت كستين غرورا
بجوارعيه ووفوقه بيهوده واماوله فانهما كما بالبلاد على حدود اسبانيا
لم يتركاه الا بعد دخوله ملكة البلاد الواطية

ولما وصل الايبراطور الى دوله جعل رسل فرنسا يلحون عليه اذ يقرب عهده
ويسلم في دوقية ميلان قتل بأن لا مشغول بسكن القننة من مدينة
غندة وطلب منهم مهلة جديدة وتلا رتاب منه فرنسيس استزاداه
ويخطابه بلسان المحادعة كما كان يفعل ذلك معه متعاقباته بملكه فرنسا
بل كتب اليه في هذا الشأن كتابا اطلب فيه لكن ايهما اتساقه وعباراته ليكنه
تاويل متشابه فيما بعد

واما اهل غندة فلم يكن لهم رئيس ذو اقتدار على ادارة مصالحهم وقيادة
صاكرهم وكان ملك فرنسا قد تغلى عنهم فلما لم يجدوا في اهل بلادهم
من يأخذ بناصيرهم وأو أنه لا يملكهم مقاومة الايبراطور وكان اذ ذلك في اشد
الحقد والغضب عليهم فصارت اهاب لقتالهم مع طائفة كبيرة من الصاكر جمعها
من البلاد الواطية وطائفة اخرى جمعها من بلاد المانيا وطائفة ثالثة
جاءت من بلاد اسبانيا بطريق البحر فلما احتاطت بهم الاهوال والاضطراب
احسوا بهزيمهم وعدم اقتدارهم على المقاومة وداخلهم الرعب والنفور
فبعثوا رسلا الى الايبراطور ليطالبوا منه الصلح والعفو ويعرضوا عليه أنهم
يقضون له ابواب مدافعهم فلم يجيبهم شرلكان الا بقوله اني لا تظهر بين اظهركم
ويدي قضيب الملك والحسام ونوجه اليهم معهما كره ولم يرض أن يدخل
المدينة الا في الرابع والعشرين من شهر شباط وهو يوم ولادته لكن اغضبه
لم تأخذه الرأفة والنقطة على تلك المدينة التي كان يهاجم لاده قتل ستة وعشرين

مطلب
كذب الايبراطور
في ٢٤ من شهر
كانون الثاني

مطلب
فتح اهل غندة

مطلب
عقاب الاله في ٢٠
من شهر نيسان

من احيائها ونفي اكثر من ذلك وجرد المدينة عن جميع من اياها وخصايصها
وصبغت على ايرادها لجاناب الميرى ونسخ صورة حكومتها القديمة واتاط تقليد
حكامها بالايبراطور وخلفائه ورتب بها طريقا جديدا في الادارة والقوانين
ولاجل منع اهلها عن الخروج والعصيان انقط الرأى على أن يبنى بها قلعة
وضرب على اهلها مفر من الاموال يبلغ مائة وخمسين الف فلوران (نوع من
التقود) ليصرف في بناء تلك القلعة وضرب عليهم ايضا مفر ما شنوا بآدمه
سنة آلاف من الفلوران لاجل مصارف من يصط في القلعة من المحاقطين
وكان تشديد شرب لكان على مدينة غندة عبرة لغيرها من مملكة البلاد
الواطية فكانت تهتز تلك الفرصة ليقع في قلوب اهل تلك البلاد الخوف والرعب
ويرجع مولته وشدة بطشه فشدد عليهم قدرا كانت من اياهم وخصايصهم
التي كان بعضها ثمرة تجارتهم وبعضها مينا في ازديادها واتساع دائرتها تحصر
شوكة الملوكية في حدود ضيقة وتسد عليه آماله وما ربه وتنبهه عن تضييق
اغراضه ومشروعاته

مطلب

امتناع شرب لكان عن
التوفية بوعده في شأن
دوقية ميلان

ولما انتقم الايبراطور من اهل غندة وممكن حكومته في مملكة البلاد
الواطية وماز لا حاجة له بكتمان ما في ضميره واخفاء مقاصده عن الملك
فرنسيس جعل يرفع بالتدريج الحجاب الذي كان الى ذلك الوقت يستتر به
يقاصده في شأن دوقية ميلان فحاول اولارسل فرنسا ويحثهم طلبوا منه
الوفاء بوعده ثم عرض أنه يعطى الدوق دورليان قوتية الفلنك عوضا
عن دوقية ميلان ولكن اشترط امورا غير مقبولة كان مصمما على تقضها
وعدم تنفيذها فلما الخ عليه هؤلاء الرسل وسألوه أن يجيبهم بجواب قطعي
يخبرونه بسيدهم ورأى أنه لم يبق له حيلة لمحاولة لهم بها أن يصرم نفسه من تلك
الدوقية المهمة بمحض الحظ والسكرم ورأى أنه لا حيلة له به لم يضعف قوته
ويقتوى شوكة عدوه فانكر أنه مسدود منه وعد بهذا الامر الغير المرضي الذي
يضر به وبصالحه

ولاشك أن هذا الفعل هو اقبح شيء فعله الايبراطور مما يلام به عليه او يرزى

(سنة ١٥٤٠)

بفخاره ويدنس عرشه فانه وان كان لا يصدق في الوسائل التي توصله الى مقصده ولا يفتنى بمراعاة دعائم البشرف والصدق الا انه كان الى ذلك الوقت لم يتطاهر به تلك اصول التناهل التي يتخذها الملوك قاعدة في سلوكهم ويرون مراعاتها من الامور المخفية عليهم ولا يبلغ في ذلك هذا المبلغ ولكنه قصدي في هذا الميزة غش ملك حليم سليم الباطن حسن الطوية ومسال في الحصيل معه يسلك كاذميا لمينج في ذلك ولم يلمت الى ما ابداه من المحبة وحسن الصنيع والمعاملة بل جازاه بالنسيئة والغدر ومن ذلك لا يليق بعلو شأنه ورفعة مقداره كالا يليق بعظم مقامه وسعة آرائه

وكأن الإمبراطور استحق اللوم على غدره وخيائته كذلك فرئيس استحق أن يحقر بسهولة تصديقه ووقوفه وذلك أنه بعد ادمانه على التصاريح بطول مدة حكمه وما شاهد من الإمبراطور من الخديعة والتبذير عما ابداه في هذه الفرصة حياة وغباوة استحق بها ما لا قام من الإمبراطور واخذ يشكي ويتظلم من غدر الإمبراطور حتى كأن هذه اقل مرة حصلت منه وتأنر كما هو العادة من هذه الاساة لما فيها من احتقاره والاضرار بمصالحه اكثر من غيرها حتى جزم الناس لما راوه من حقه وشدة غضبه أنه ينتهز اقل فرصة تلوح له في الانتقام من الإمبراطور وأنه سيقع في بلاد اوربا حرب اشده ولا خطرا من الحرب العاق

وقد اشتهرت هذه السنة بانشاء الطائفة القيسية المجهة باليسوعية وهي جدية بأن يتكلم التاريخ على قوانينها المحكمة واصول احكامها لما كان لها من المدخلة العظيمة في المصالح القيسية والمصلحة واذا التفت الانسان الى سرعة ثرونها وتقدمها في الصولة وقوة الكلمة وحسن ادارتها وشرورها في مقاصد عالية وجرورها على تمييزها حق عليه تعظيم مقشها وموسبها واعترافه بالفضل وحسن التدبير ويرى أن انشاءها لا يخطر الايصال من خاص بجمهورية وتكن منها كل التمكن ولكن ينبغي أن تقول ان هذه الطائفة هي كغيرها من الطوائف القيسية لم يكن لبقائها بسبب الاجمية مؤسسا لاجرمه

مطلب
امر البابا بانشاء
الطائفة اليسوعية

(سنة ١٥٤٠)

وحسب إدارته فان مؤسسها هو ايناس دولوايولة الذي سبق ذكره بمناسبة الكلام على بروج في محاصرة ميلون كان ذاتية جاهلية وافكاره مخجلة هو صية وقواعد في السلولة غير مرضية ومخالفة لاه ول الملة النصرانية تحطد بها ذكره واشتهرت سيرته واقره ولم تكن مقاصده الهوسية وما بها لجنونية التي الجأته اليها شدة حبيته الجاهلية وجاقته الطبيعية دون ما في سير القديسين الاقدمين من البدع والاورهام الخرافية الا أن هذه ليست مثلها جديرة بالذكر في التاريخ فاشدته حبيته اولتولعه بتحصيل الشوككة والشهرة لان التولع بهما لا تلم منه نفس تعلقت آمالها بصلاح خارج عن حد العادة طمعت نفسه في تأسيس طائفة دينية زعم أنه لوى اليه في شأنها والهم ترتبها وأنه يرتب قوايتها واحكامها على هذا المتوال كما قل ذلك عنه او عن بعض اتباعه على لسانه ومع هذه الدعوى التي ادعاها اليسهل عليه بها تنفيذ اغراضه ومقاصده لاقى في مبداه امره عوائق كبيرة وموانع كثيرة فكتب اليها اولا يترجاه أن يقره على انشاء هذه الطائفة فردده بحضرة جمعية من الكرد ببالان كان قد عقد لها لاهتسان تلك القضية فانخط رأى اربابها على أن هذه الطائفة مع عدم نعمها تقتضي عاقبتها لمرض البابا أن يقره على انشاءها الا أن لوايولة استألفه فيما بعد باهر وعده به لوعرض على غيره من البابايت لرضيه وجنح اليه وذلك أن لوايولة عرض عليه أن يضيف الى الشروط الثلاثة التي تشترط على طائفة دينية وهي التفر والعبادة والطاعة شرطاً رابعاً وهو أن تلك الطائفة التي يريد انشاءها تكون البابا وقطيعه طائفة خصوصية بحيث يلتزم كل فرد من افرادها أن يذهب في خدمة الدين الى حيث شاء البابا ولا تطلب من الكنيسة شيئاً من المصاريف وكانت شوكة البابا حينئذ قد ضعفت بقيام عدة ملل على الكنيسة الرومانية والخروج عن مذهباها فراح بانشاء هذه الطائفة التي يمكنه أن يقاوم بها اعداءه فصد رمنه فرمان بانثائها وانتم على رجالها بمنزلة اياو خصايص واسعة وجعل لوايولة رئيساً عليها وقد شهد له ما حصل فيما بعد بلا صابة والحزم في اقرار انشاء الطائفة المذكورة ودل ذلك على أنه ادرك أنها ستنتفع

مطلب
حجة لوايولة الذي اسس
هذه الطائفة وافراغ
غيره على الدين

مطلب
الاسباب التي دعت
البابا الى اقرار انشاء
تلك الطائفة

في ٢٧ من شهر ايلول

(سنة ١٥٤٠)

الكنيسة الرومانية كل النفع فلم يرض نصف قرن الا وقد صار لهذه الطائفة نزل
واما كن في جميع البلدان المتباعدة بالدين القائلون في وازدادت شوكتها وثروتها
على وجه عجيب وتكاثر رجالها وامتازوا بالمعارف والقضائل ولجبت بدحها
السنة احباب الكنيسة الرومانية وصارت مهابة عند اعلاها ومعدودة من
امهر الطوائف الدينية واكثرها شجاعة وجسارة

مطلب
كون قوانينها
واحكامها جديدة
بالانتماء اليها

ولها قوانينها واصول احكامها فكان تتبعها على يد كل من الرئيس لينيز
والرئيس اكيويو وكانا قد تقلدا الرياسة على تلك الطائفة بعد موت
لوايولة وكانا امهر منه في المعارف والادارة والحكم وان كان استاذهما
وامامهما فهما اللذان ربما ما امتازت به تلك الطائفة من طرق الدسائس
والسياسة الا انه ينبغي نسبة الحجة المبالغة المشوية بهاتين قوانينها واحكامها
الى مؤسسها اعني لوايولة وقد حصلت عدة حوادث صار بها للطائفة
اليسوعية طماع واخلاق مخصوصة بها وصار لها مدخل في مصالح ذلك العصر
اكثر من غيرهما من الطوائف التيسسية وكان لها ايضا صولة في ادارة هذه المصالح
لم تكن لغيرها من الطوائف المذكورة

مطلب
بيان الغرض من
الطائفة اليسوعية
المتخص بها

وكان الغرض الاصلي من اطلب الطوائف الدينية هو عزل قترجالها عن الناس
بحيث لا يكون لهم دخل في الامور الدنيوية كما ان الراهب او العابد اذا دخل
الخلوة واعتزل الناس لا يشتغل الا بما فيه شجاة روحه وحفظ نفسه من التفتش
والزهد في زهر الحياة الدنيا فكانه قد مات وهو على قيد الحياة لكونه اعرض
عنها وصار لا يتبع الناس الا بصلاة ودعائه وبكونه اسوة لهم في الزهد والرغبة
عن الدنيا واما الطائفة اليسوعية فكانت بخلاف ذلك حيث كان رجالها
يعتدون انفسهم انهم معذون لان يعيشوا معيشة دنيوية لا يعرفون فيها التفتش
والخمول فلم يكونوا الا بعباد كمرتفعين دخلوا في هذه الطائفة لمحض الجهاد
والغيرة على الدين وخدمة البابا الذي هو خليفة الله في ارضه فكان جل
غرضهم تعليم الجاهل وقمع الخارج عن طاعة الكنيسة الرومانية وكانوا الاجل
هذا الغرض معافين من شعائر العبادة والتقوى كالتمسك والزهد ونحو ذلك

(سنة ١٥٤٠)

مما هو صفة غيرهم من الاتقياء والعباد فهم وإن كانوا لا يحضرون الزفاف
والحافل العامة ومواسم الحب والهوا لأنهم كانوا لا يلتزمون تعذيب أنفسهم
بالانصراف في التقشف والزهد ولا يضيعون غالب أوقاتهم في تلاوة ادعية
وصلوات فوجب الأمة والضرب على كانت وثقتهم الاقناعات إلى ما يحصل
في الدنيا وانتهاز كل فرصة لاحتمالهم فيما يخص الدين والبص من طباع الدول
واخلاق اهلها والسعي فيما يستجلبهم اليهم ويحببهم فيهم ويؤخذ بمثل كونه
أن الفرض من هذه الطائفة وكذلك قوايتها واحكامها كان يلقي في اذهان
اربابها طرق المسائس والتولع بالقتال لاجل الدين ويزهدهم في التحول
ويرغبهم في التظاهر بالبطش والصولة

وحيث كان فرض هذه الطائفة مبني على فرض ماعداها من الطوائف
القيسية كل المباني كانت ايضا مغايرة لغيرها من تلك الطوائف في كيفية
حكومتها وادارتها وذلك أن الطوائف الاخرى كانت اشبه بجمعيات اختيارية
اي مجمعة بمحض اختيارها وادارتها وكان كل ما يخص مجموع الطائفة يعمل
بمقتضى رأى جميع اربابها وكانت قوة التفوذ من خصائص رؤساء الاديار
والطوائف واما قوة تقنين القوانين فكانت منوطة باهل الجمعية عموما وكانت
ادارة المصالح المهمة المتعلقة بالاديار الخصوصية مختصة بجمعيات القسوس
الموجودة تلك الاديار بمعنى أن كل جمعية قيسية وجدت بغيرة تكون منوطة
بادارة مصالحه بخلاف المصالح المتعلقة بعموم الاديار فان ادارتها كانت منوطة
بالجمايات القيسية كلها * واما لوائوة فكان تخدمته في العسكرية
ومكنه فيها مدة قد تعود على طاعة الرؤس للرئيس واتقياد التابع للمتبع
فأراد أن يجعل حكومة طاقته مؤرخية محضة بمعنى أنه يكون عليها ككل
مطلق التصرف فيها ولما كانت رياسته على هذه الطائفة بانتخاب رسل العمالات
وقوى هذا المنصب على أنه لا ينزع منه مدة حياته كان له الحكم المطلق على سائر
اربابها في جميع الاحوال فكان يولى بنفسه جميع من يلزم لحكم اقاليم الطائفة
من القسوس وجميع ضباطها ورسوخ له أن يعزلهم كما ولاهم وكان مختصا

مطلب

مغايرة اصولها
لغيرها لاسيما فيما
يخص شوكة الرئيس

(سنة ١٤٤٠)

بإدارة إيراد الطائفة وأموالها يتصرف في ذلك كيف يشاء وكان أيضاً مطلق
التصرف في إرباب طائفته يأمرهم بما شاء ويؤمرهم حيث شاء وكان يجب
على إرباب تلك الطائفة أن لا تكون طاعتهم في الظاهر قط بل كان يلزمهم
أيضاً أن يصرخوا عليه ما يضطر به اليهم وتعلق به إرادتهم وأن يذعنوا لأحكامه
ويقبلوها كأنها صادرة عن عيسى عليه السلام فكانوا بالنظر لحكمه كأنه
يصرخ أو كالطين يصدافع الخضار أو كاجسام ميتة لا حراك فيها وقفاً تطبعت
هذه السياسة العجيبة في قلوب جميع إرباب تلك الطائفة حتى صار لهم قوة
خاصة بهم في سائر مشروعاتهم ولم يشاهد في التواريخ البشرية مثل هذا
التصرف المطلق لآيين رهبان على كثر في الأديار على صوامعهم ويعلمهم
ولآيين رجال منتشرين كالجرادين الملل
وكما كانت قوانين هذه الطائفة تجعل لرئيسها التصرف المطلق في إربابها كانت
تعينه على معرفة طباعهم وصفاتهم حق المعرفة وذلك أن كل إنسان
أراد الدخول في هذه الطائفة كان يجب عليه أن يضح عا في ضميره لرئيسها
أول شخص آخر من طرفه وهو كذا بمن اعترافه بضطائاه وذنوبه وماتيل اليه
نفسه ولم يكن لؤاولة يكتفي بذلك في معرفة مخبات القلوب والإطلاع
على البواطن بل كان من قوانينه أن كل إنسان من أعضاء طائفته يجب عليه
أن يلاحظ من دخل في فرقته في أقواله وأفعاله فبذلك كان التقديم جاسوساً
على الجديد يلتفت إلى حركاته وأطوارهم في سلوكه ويختار الرئيس لؤاولة بكل
أمر مهم أطلع عليه ولاجل أن يكون هذا الامتحان على غاية من الدقة
والتشديد كان يلزم من دخل في الطائفة أن يمكث في مبدأ أمره مدة مستطيلة
وهو يحتم بالتدريج في سائر خدم الطائفة فإذا بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين
سنة قبلت منه المباشرة بعد من أعضاء الطائفة بهذه الطريقة كان الرؤساء
الصغار يعلمون حقيقة جعائهم ويعرفون استعدادهم ودرجتهم في المعارف
وبذلك كان لؤاولة في الطائفة كالروح في البدن يحركها كيف شاوحي يعرف
بواطنهم وظواهرهم فسهل عليه إدارتهم وكان يجب على رؤساء أقاليم طائفته

مطلب

الاسباب التي كانت
تعين لؤاولة حتى
الاعانة على اجراء
ذلك التصرف
المطلق

ورؤساء اديارها أن يرسلوا اليه في اوقات معلومة اعلامات وجراند تتعلق بمن
تحت رياستهم يبينون فيها هضيل كيفية ساول لكل انسان واخلاقه الذاتية
او المكتسبة واختباره بالامور والمصالح والخدمة التي تلايمه وبلايمها وكانت
هذه الجرائد كلها تخرر وتكتب بالترتيب وتفيد في دفا تر وعرض على لوابلة
فبذلك كان يمكنه في مدة يسيرة أن يطلع على امور الطاقة المموعة بتامها
ويعرف صفات كل شخص من اعضائها واخلاقه ودرجته في المعارف
فيقترب منهم من شاء ويقلده بالوظيفة التي يرى أنها اوفق بطبعه

وحيث كان غرض هذه الطاقة السعي في انتقاد المجهج وسلامة الارواح
على معتقد هم كان لا رايها وطاقت كثيرة في الامور الدينية * فمجرد
انشاء طاقتهم عدوا تربية الاطفال وتعليمهم من اعظم وظائفهم وتسابقوا
الى حيازة مراتب التقار والمعين فكانوا لا يفتلون ابداع تعليم العامة ويعشوا
رسلا الى الجهات البعيدة لتنصير من لم يكن على دين المسيح ولهذا الاسباب
تجيب الناس من تلك الطاقة وصار لها اشراب كثيرة تدافع عنها وتحميها وكان
رؤساؤها ينتهزون كل فرصة تعود عليهم وعلى طاقتهم بالنفع فعمال قليل تكاثرت
اعضاء تلك الطاقة وصار لها شوكة قوية جدا وكلمة نافذة قوذا خارجا
عن حد العادة وقبل اقضاء القرن السادس عشر كانوا معلمين للاطفال وقاطنين
بقريتهم في سائر الاقطار القانوليكية من بلاد الافريج وكانوا قد صاروا معلمين
اعتراف عند اغلب الملوك وهي وظيفة مهمة جدا في كل دولة وفي كل زمان
حتى انها تفوق وظيفة الوزير اذا كان الملك ضعيف الشوكة وكانوا انظارا على
اغلب الدوات والاعيان المعترين لعظم مقامهم وبقوة شوكتهم وشدة باسهم
وكانت كلمتهم نافذة عند البابا وكان يأتمهم وينتخبهم كل الوثوق ويعتقد أنهم اصدق
اشرابه وامهرهم وانهم انصار دولته وكان لمهارة هذه الطاقة وسعيها وحيتها
تأني اليها القرائد بدون مخافة فكانوا يستميلون قلوب الناس بتعليم اطفالهم
وكان لهم في قلوب هؤلاء الاطفال موقع عظيم حتى يصيروا شيونا وكاهن بايديهم
في عدة ازمان اعظم دواير الممالك لا فرجية وكان لهم دخل في جميع

(سنة ١٥٤٠)

مطلب
ازدياد ثروة الطائفة
اليسوعية

المصالح والدساتين والفتن وحيث كان رئيسهم يقف على خفية الوقائع والحوادث كان في وسعه أن يدير امور طائفته على وجهه بديع محكم وكان يحكمه بماله من اطلاق التصرف في أن ينجز ما شاء من المشروعات وكانت ثروة تلك الطائفة تزداد بازدياد شعوبها واما الفقر المشروط في الطوائف الدينية فخلوت فخصومت في اعماله مستندة في ذلك لعدة وجوه فصار لها اراض واسعة واملاك كبيرة في الممالك القانولية حتى صارت تضاهي غيرها من الجمعيات ذات الثروة في العمارات العامة المبنيمة والاملاك والامتنعة من منقولات وعقارات * وكان لها زيادة على الارداد الذي تنسك فيه غير هامن الطوائف القسبية ايراد يخصها وذلك انها لعل كونها تريد بفجاح ارسالياتها وسهولة معيطة دعائها طلبت من ديوان رومة أن يأذن لها في التجارة مع الملل التي تنصت لى نصيرها فاذن لهم في ذلك ولم تكن تلك المزية لغير هامن الطوائف فصار لها في شرق بلاد الهند وغربها تجارة رابحة واسعة وانشأت في جميع الممالك الافريقية مخازن ملاءتها بانواع البضائع وصارت تبعها لمع الرواج والربح الزائد ولم تقتصر على ذلك بل تأمت بغير هامن الجمعيات التجارية وجعلت تجدد محال مستجرة لتجارها فصاروا في بحارة اقليم واسع خصب في جنوب امريكة على الارض القارة وصاروا يهربوا بكثرة تحكم فيهم حكما مطلقا.

مطلب
التنازع الشنيعة
التي ترتبت على هذه
الطائفة البشري
البشري

ولكن حصل للناس مضار كبيرة وحلت بهم مصائب كثيرة بسبب ما كان لهذه الطائفة من قوة الشوكة والصولة التي حازتها بالاسباب المذكورة وذلك أن ما جرت عليه من الضبط في تربية اعضائها واصول قوانينها واحكامها كان يوجب على كل فرد من افرادها أن يعد مصلحة اوجاق اليسوعية من اهم المصالح والاغراض التي تؤثر على غيرها وترجع على ما عداها حتى انهم كانوا يمتازون عن غيرهم بحبهم لمصلحة طائفتهم لا هذا بل على مناهجهم السياسية وشعر بفرابة اصول قوانينهم وعلو كهم وكان أن تلك الطائفة كانت تبص عما يكون لها به نفوذ كلة عند الاعيان

(سنة ١٥٤٠)

المتأثرين بعلو المقام وبقوة الشوكه رغبة في تشريفها ومصطنها كانت رغبتهما في استمالة القلوب اليها والوقوف بها تسلك مع الناس مسلك الملاطفة والمراعاة حتى تستوجب مودتهم ومحبتهم فيغضوا عن مثالبها ويتجاوزا عما يصدر عنها من الامور الصعبة

ولما كان اقبال تلك الطائفة متوقفا كل التوقف على شوكه البايات كانت لمراعاة مصطنها تدافع كل المدافعة عما يترب عليه ازدياد شوكه البايات وامنا المديانات وقواتها على ما بقي من آثار الشوكه المدينية فجعلت لديوان رومة في الحكم والقضاء تصرّفا مطلقا لم يسبق بمثله في اعصر الجملالات السابقة على عهد البايات اولى العتق والكبر وايدت أن لا يكون نظرة القسوس دخل في الحكومة المدينية والتزمت أن تقاوم كل ملك او امير يخرج عن الدين القانوليقي ونشرت قانونا يبيع الكبار والقواش ويؤدى الى تقض كل ميثاق وعهد يجمع بين ملك ورعيته

ولما كانت شهرة هذه الطائفة وشوكتها ناشئين عن قوة عزيمتها وعلو همتها في المدافعة عن الكنيسة الرومانية وحمايتها من بدع المعتزلة وضلالاتهم استولى الكبر على قلوبها حتى افضى بها الى أن التزمت أن تنسخ مذاهب المعتزلة وتحمو اثرها فلم تدع حيلة ولا وسيلة الا واستعملتها في تحصيل هذا القرض وكانت لا ترى ما يراه ديوان رومة من ملوك طرق الدين والملاطفة مع المعتزلة بل كانت دائما تحرض القسوس والامراء على أن يسلكوا معهم مسلك التشديد والتهديد لا مسلك اللين والرفق

وقد تبعهم الرهبان ونسجوا على مشواهم في هذه الاصول والالهام المضرة بسعادة البشر وحسن نظام العالم لئلا يكون لهم لأسباب غير خفية احتسروا في نشر هذا الاصول أكثر من اليسوعية فلم ينجحوا فيها مثلهم * ومن تأمل ما وقع في اوروبا منذ قديمين من الوقائع والحوادث رأى أن طاقة اليسوعية هي السبب في اقلب المصائب والاهوال الناشئة عن فساد الاخلاق وضلالات القسوس وبدعهم التي اودت بشهرة الكنيسة الرومانية واقتضت بها في ذلك

(سنة ١٥٤٠)

مطلب
القوائد البليغة التي
ترقت على حدود
هذه الطاقة

مطلب
فتح اليسوعية
خصوصاً في إقليم
براغة

العصر الى الضياع وترتب عليها من المصائب والازايا ما اضر بجنس البشرى
وانسد نظامه
ولكن مع ما نشأ عن هذه الطاقة من المضار جنبى الاعتراف بأنه قد عاود منها
على الجنس البشرى منافع كثيرة وذلك أنها كانت تعد تربية الاطفال
من الاغراض المهمة ولما شرعت في انشاء مدارس للتعليم عارضتها في ذلك
الجماع العلمية من عدة عمالات من بلاد الافرنج فرأت أنه يجب عليها بذل جهدها
حتى تفرغ نصب السبق في ميدان العلوم والمعارف وتغزو اخصامها الذين
عارضوها وتسهل قلوب العالم اليها فشرعت عن ساعد الجذوالاجتهاد في ممارسة
العلوم الادبية القديمة واخترعت عدة طرق في تسهيل التعليم على الاطفال
ونجحت في سعيها حتى كان لها مدخلة عظيمة في اتساع دائرة الفنون المستطرفة
فالتفضل لها على الناس في هذا المعنى ولم يكن نجاحها مقصودا وعلى تعليم اصول
العلوم الادبية بل خرج منها اساتذة ماهرون وعلماء ناجبون في عدة علوم
مختلفة ولا مانع أن يقال انه قد خرج من هذه الطاقة من كبار المؤلفين البارعين
اكثر من خرج من غيرها من سائر الطوائف الدينية
وقد ظهر اليسوعية ببلاد امريقة مظهر اغريبيا في العلوم والمعارف وملكوا
احسن المسالك في فتح الجنس البشرى وذلك أن الذين تغلبوا على هذه البلاد
وقصروا لهم تحكك آمالهم متعلقة الاسباب اهلها ونهب سكانها واسرهم
وتدميرهم واماطة اليسوعية فانها استوطنت بها التصديق اهلها وذلك
انه في اوائل القرن الاخير اذن لها بالدخول في اقليم براغة الممتد في جنوبي
امريقة في الارض القارية من داخل جبال بونوزى الى السهول
الاسبانية وبورنغالية التي على شواطئ نهر بلاطة فلما دخلت هذا
الاقليم وجدت اهلها على أصل القطرة التي يكون عليها الناس قبل الاخذ
في التأسس والانضمام الى بعضهم فلم يكونوا يعرفون شيأ من العلوم والفنون
بل كانوا يجهلون من صيد البر والبحر ولا يكادون يعرفون مبادئ الضبط والربط
وما يجب كون به نظام الجمعيات فالتزم اليسوعية بتعليم هؤلاء المتوحشين

(سنة ١٥٤٠)

وتأنيبهم فخلوهم زراعة الارض وتربية الحيوانات الاهلية واتخاذ
المساكن

والزعمهم بالانقياد الى بعضهم والاجتماع في القرى والبلدان وعلوهم الحرف
والصنائع وطبعوا في قلوبهم لذة الاجتماع والاتحاد واثابوهم طم الراحة
التي تنشأ عن الامن وحسن النظام فصار هؤلاء الناس رعية من احسنوا اليهم
واخرجوهم من حيز التبر الى حيز التمدن وسكان السوسية يحكمونهم
مع النخبة والرافة ويعاملونهم معاملة الوالد لولده ولما كانوا يحترمون اعزاء
محبوبين كانت شريعة قليلة منهم تحكم على آلاف من هندود امر يقة وكان
الناس عندهم في تلك الجمعية الكبيرة على حد سواء فكان يجب على كل واحد
من الطائفة أن لا يشتغل بنفع انسان مخصوص بل يشتغل بنفع اهل الجمعية
عوما وكانت محمولات الفيطان وقواتد الصنائع توضع في مخازن عامة
ويعطى منها لكل انسان ما يلزمه ولما كانت قوانين حكومتهم واهولها بهذه
المتابعة كانت منزعة عن الاعراض التي تضر براحة الجمعيات ويسوء بها
حال العباد وكان هنالك حكم ينتخبهم الهندود وينظرونهم بحفظ الامن وبقاء
الطمأنينة بين الناس وبالعامل يختص القوانين المقررة ولم يكونوا يعرفون
العقاب بالقتل وان كان كثيرا شائعا في سائر الملل وانما كان العقاب عندهم كناية
عن نوبج او تعزير بوجهه احد السوسية الي من ارتكب خطية فوجب له ذلك
او يفضح الخافي فضيحة فان كان الذنب جسيما ضرب بعض سياط فكان
ذلك كافيا في تربية هؤلاء الناس واتطامهم وحفظ الضبط والربط بينهم

ولكن مع ما بذلته طائفة السوسية من الجهد في قمع الجنس البشري تقول انك
انذا التفت الى كيفية سعيم رأيت من اول وهله أن هذه الطائفة لها في ذلك
ما رآب سياسية لا تخفى على التنبه فانها كانت تسعى في أن تجعل اقليم
براعه حكومة مستقلة لا تخرج عنها وتكون جيدة القوانين والاصول
بحيث يترتب عليها اتساع دائرة حكمها واتسار احكامها في جميع البلدان
التي يجنوب امر يقة وانضم الي هذا القرض غرض آخر وهي انها كانت

مطلب
ما زدها السياسية
المبنية على الطمع

(سنة ١٥٤٠)

تريد منع القتال الاسبانيولية والبورغالية التي كانت تارة بتلك الجهة
عن أن يكون لها ادى صولة على اهل البلاد التي كانت تحت حكم السوعية
فلهذا الغرض جعلت تفرس في قلوب الهندو بغية الاسبانيول والبورغال
ومنعت أن يكون بين اهل براغة وهتين القبلتين مخالطة لوتجولة
فمنعت أن يدخل هذا الإقليم احد من التجار الاسبانيولية والبورغالية
وكان اذا الى المارسل من الممالك الاجنبية لغرض من الاغراض وادخلته
في بلادها لا تأذن له بالكلام مع الهندود وكانت ايضا لا تأذن لاحد من الهندود
بالدخول في البيت الذي به الاجانب الابعضور انسان من السوعية وكانت
لهذا الغرض ايضا فنادرهما ممكن أن تعلم الهندو اللغة الاسبانيولية
او غيرها من اللغات الافريقية وانما كان دأبها أنهما اذا مدت طائفة اوقيلة
لدخلت عندها فرعا من اللغة الالهية وكانت تبذل جهدها في نشر هذا الفرع
في جميع البلاد الداخلة تحت حكمها

ولما كان مثل هذه الاحتراسات لا يكتفي بمرتد في تأييد دولتها وبقاء حكومتها
بل لابد لذلك ايضا من قوى عسكرية علمت رعاياها فن الحرب على حسب
الاصول الافريقية وحدثت الايات من القوسان والمشاة وسلطتها بالسلطة جيدة
واحكمته سياستها وضبطها وربطها واعتدت عندها مقدارا جسيما
من الاسلحة واللمحات الحربية وانشأت لها ترسحاتا ومخازن فيها الوجه
رئت جيشا يعد مثله كبيرا مهولا بالنظر لتلك البلاد حيث كانت يهاجم
عساكر الاسبانيول والبورغال العسكرية عبارة عن بعض اورط خالية
عن الضبط والربط ولا معرفة لها بن العسكرية كما ينبغي

ثم ان الطائفة السوعية لم يحصل لها تقدم على عهد الامبراطور شرلكان
ولم تتم شوكتها غواظا وذلك أنه لنباهته وفطنته ادرك مقاصدها وما يترتب
عليها فضعفها من أن تنسج دائرتها وضيق عليها كل التضييق ولكن لما كان
انشاؤه في العصر الذي هو موضوع تاليفنا وكان اهل العصر المتصودون
بتأليف هذا التاريخ فيه شاهدوا اضمحلال هذه الطائفة وزوالها لمزباسا

مطلبه

الاسباب التي دعت
المؤلف الى بسط
الكلام على حكومة
الطائفة السوعية
وعنى تقديمها

بإيراد قوانينها وأصولها وأحكامها ولا يعد ذلك من باب الاقتضاب المحض
المؤدى لسأمة الواقع على هذا الكتاب لاسيما وهناك سبب آخر خصوصى
دعانا الى التكلم على هذه الطاقة بغاية التدقيق وهو أن الإفرنج وإن كانوا
قد تمكنوا قرنين وهم يلاحظون شوكة هذه الطاقة وشدة ملمعها رخصهم منها
مضار عديدة لم يمكنهم أن يتفوا على حقيقة اسبابها ولم يكن لهم معرفة بالقوانين
الغريبة التى كانت تمتاز بها سياسة هذه الطاقة وأصول أحكامها مع أن هذه
القوانين كانت أصلا لى أهلها الى الطمع والفساد التى اختصت بها
تلك الطاقة ونشأ عنها ازدياد شوكتها وذلك أنه كان من جهة أصول السوعية
أنه لا ينبغي إشاعة قوانين طاعتهم فكانت محبوبة من الناس كأنها سر مكتون
وكانت لا تطلع الأجانب عليها أصلا بل كان عامة الطاقة لا يعرفون سرها
ولما طلبت منها الحكام الإطلاع على هذه الأصول امتنعت من إجابته لذلك
فاقتصر هذا الخطأ الغريب الواقع من الملوك وأهل السياسة في ذلك العصر
حيث رخصوا هذه الطاقة أن تستوطن في عدة بلاد مع تصبجها على إخفاء
أحكامها وقوانينها مع أن ذلك يكتفى مستقدا في طردها من تلك
البلاد وإبلائها عنها ولما طردت من بلاد البورغال وبلاد فرنسا انظمت كتبها
تتشبه على أسرار أحكامها وقوانينها فبذلك علمت أصول حكومتها وعرف
أصل شوكتها على ما ينبغي بعد أن كان يستحيل الوقوف عليه ..

وحيث ينما ترتب على قوانين الطاقة السوعية وأصول أحكامها من المضار
وسلكتنا في ذلك من طرق الحزبية وعدم التعامل ما يليق بالمؤرخين وجب علينا
بمقتضى الصدق والإنصاف الذى هو شرط فى كل مؤرخ أن نقب على أنه
لم يحصل فى الكنيسة الرومانية أن طاقة من الطوائف القيسية امتازت
بدمائة الاخلاق وتهذيبها أكثر من هذه الطاقة فأنها لو كانت أصولها
وأحكامها مبنية على ملة ريب سياسية فشاؤها الطمع والشر فلا مانع
من أنها كانت تؤثر فى عقول حكامها بل وتفسد قلوب بعض أفراد منهم
وتقتضى بهم السلوك لا يستحسن إلا أن معظمهم كان ما بين مشغول بالاداب

(سنة ١٥٤٠)

ومقلد بالوظائف الدينية فينبع من الأصول والاحكام ما يمنع الإنسان عادة من ارتكاب القواحيش والإكرام ويحمله على سلوك طرق الفضائل والاعمال الصالحة ولا يخشى أخرى بالتفات العارف المتولع بمعرفة وقائع النوع الانساني وحوادثه من الاسباب التي ترتب عليها اقراض هذه الطائفة الشديدة البأس ولا من العواصب التي ترتب على اقراضها سيلاد اوروبا غير أنه لا حاجة الى ذكر هذه الحوادث لأنها وقعت في عصر متقدم بكثير على العصر الذي هو موضوع تاريخنا

مطلب
مصالح المانيا

ولما صلح الإمبراطور حال مملكة البلاد الواطية وسكن قسما زمه أن يلتفت عقب ذلك الى مصالح بلاد المانيا وذلك أن المعتزلة كانوا يلحون عليه أن يأمر بعقد المذاكرة التي كان قد وقع الاتفاق على أن يعقدها بعض افراد من علماء اللاهوت يتخيم الفريقان بأن يكون بعضهم من طرف المعتزلة وبعضهم من طرف الكنييسة وكان هذا الامر من جملة الشروط المقررة في المشاورة المنعقدة بمدينة فرنكفورت ولما كان الغرض من هذا المذاكرات ما هو البحت والمناظرة في المسائل الخلافية والحكم في شأنها بما يستنبط وكان البابا يدعي أنه له الحق في أن يكون هو الحكم المتصرف في هذه المادة رأى أن إحالتها على غيره من باب الاقتيات وعدم الانصاف لاسيما وكان يجزم بأن المذاكرة ان لم تحكم في هذا المعنى بشئ فلا فائدة فيها والا كانت خطرة عليه ومضرة به فلم يأل جهدا في تعطيلها ومنع انعقادها ولكن كان الإمبراطور اذا ذلك يرى أن مصلحة في استمالة قلوب اهل المانيا اليه اعظم منها في مراعاة خاطر البابا فلم يلتفت الى قوله بل صمم على عقدها فانعقدت مشورة الديانة بمدينة هانغو وجع اربابها المواد التي تكون موضوع المناقضة والمذاكرة ثم انعقدت بعد ذلك بمدينة ورمين ووقعت فيها المذاكرتين علماء الفريقين وكان للتصديق من علماء المعتزلة ميلختون ومن علماء القانوليقية ايكيبوس فانعقدت بينهما المناظرة وجالوا في ميدان الحساسة كثيرا الا أنهم لم يحكموا في تلك المادة بشئ فصدر أمر من الإمبراطور بإبطال هذه المذاكرة لأنه اراد أن تنعقد

مطلب
المذاكرة التي حصلت
بين علماء اللاهوت
القانوليقية وعلماء
المعتزلة

ثانياً بحضرته فجمع لذلك مشورة الديانة بمدينة واتسبونة ووقعت
المذاكرة ثانياً في مجلس حافل حتى حرم الناس بأن هذه المذاكرة يقع فيها نزاع
شديد وجدال كبير ويصل فيها كل اشكال ويظهر الحق ويتضح الحال وقوض
مككل من الفريقين للايمبراطور أن ينتخب ارباب المذاكرة بنفسه فعوضا
عن أن تكون تلك المذاكرة على صورة منازعة عامة وقع الاتفاق على أن يبحث
بالتي هي احسن في المواد التي كانت سببا في الخلاف بين الفريقين فعين
الايمبراطور من حزب القانونيين ثلاثة وهم ايكوس وغروير وفلوغ
ومثلهم من حزب المعتزلة وهم ميلفنتون وبوسير وبستروس وكان
كل من هؤلاء الستة مشهورا في طاقته وكانوا جميعا ممتازين بلطف الاخلاق
والميل الى الصلح ما عدا ايكوس فلما اقتضوا المذاكرة تقدم الايمبراطور
اليهم كما بدأ ذكر لهم أنه تأليف رجل من علماء اللاهوت من مملكة البلاد الوطنية
وأنه واثق العبارة حسن التركيب بحيث يمكن بواسطته الاصلاح بين الفريقين
وقد نظن بعض الناس فيما بعد أن هذا الكتاب تأليف غروير احد الستة
الذين اتفقهم الايمبراطور فانه زيادة على فطنته وحذقه كان له اطلاع واسع
وباع طويل في العلوم والمعارف وكان الكتاب المذكور مستقلا على اثنتين
وعشر من مادة من مواد اللاهوت وكان معظم المسائل الواقع فيها الخلاف
بين حزب المعتزلة والكنيسة الرومانية مندرجا في تلك المواد وكان غرض
مؤلفه بتأليفه هو أن يبدى آراءه ويرتبها ترتيبا طيبا ويصنع عنها عبارات
سهلة عذبة لم يخرج فيها عن الفاظ الكتاب المقدس او الفاظ الحواريين
وأن يلطف بعض العقائد ويحسنها ويحرم منها ما كان غير معقول وأن يصلح
بين الفريقين بتسليمه في بعض المسائل لحزب الكنيسة وفي بعضها لحزب المعتزلة
واعنى حسب الامكان بالمحاولة في اجتناب عبارات المدارس والفاظ الجدال
التي هي علامات تميز اخلافهم من الآخر وكان في الغالب يترتب عليها بين
علماء اللاهوت نزاع وجدال اعظم ها يترتب على نفس العقائد والاثام وبالجملة
فكان تأليف هذا الكتاب على وجه مخصوص بحيث يؤمل الواقف عليه أنه

(سنة ١٥٤١)

مطلب
عدم قطع تلك المذاكرة

ينبغي في الاصلاح بين الفريقين وفي قطع المنازعات الدينية من بين الطائفتين
ولكن كان لاهل ذال العصر في الجادات اللاهوتية والمهاورات الدينية
تشديد مفرط وتدقيق زائد بحيث لا يمكن خضاعهم باى حيلة كانت * وكانت
مدة المذاكرة قد طالت واشتد فيها الجدل والتطاع فاغتاط كل من الفريقين في
وتكبر حتى تعذر الاصلاح بينهما فاما القانوليقية لاسيما تسوسهم الذين كانوا
من ارباب مشورة الديانة حكموا بيطلان كتاب غروبير المتقدم ذكره
متعلقين بانه مؤيد لمذاهب لوتير وزعموا ان مؤلفه ليس الا من الرواض
حيث اراد ادخال عقائد الزناغة في عقول الناس بهذه الحيلة الخطيرة واما المعتزلة
لاسيما لوتير ونفسه الامير متعجب سكت فشدتهم وصعوبتهم ابدوا
انه يجب بهذه الكتاب ظهر يا قائلين انه ذنب به قد جمع بين الحق والباطل وانما
وضعه مؤلفه لغش كل شامل ضعيف وكل ذى عقل مضيف ومع ذلك فالعلماء
الذين انيطوا بتصديق ما فيه احتضنوه مع الدقة والتؤدة وكان يرون على كنيسته
رومة ولا تعدم من العار ان تسلم في تفسير بعض العقائد النظرية التي كان
التزاع فيها قل ان يخرج عن مجالس المدارس وعلى فرض خروجه عنها واقشاره
بين العامة لم يكن فيه شيء مما يوجب لهم الجب او يؤثر في قوسهم فلذا
لم يتوقف القانوليقية في التسليم فيما يخص هذه المادة بل ورضوا ان يسلموا
في ما ذموا اخرى مهمة وهي مسئلة براءتنا من ولكن لما وقعت المناقضة في ملحة
الاحكام والقناوى التي تضر بمصالح الكنيسة الرومانية وتجزى الى ضعف شوكتها
او الى خدش الرسوم الجارية في التعبد والديانة وكان اذا حصل فيها تغيير يتغير
بين الانام ويكون معلوما للناس والعالم تدق القانوليقية في هذا المعنى كل
التدقيق ولم يتساهلوا في شيء من ذلك اصل لانهم كانوا يرون ان ابطال هذه الرسوم
القديمة يترتب عليه ضياع شرف الكنيسة الرومانية واحترامها ويخشى عليها
منه فكل ما يخص شوكة البابا وصوله الى جمعيات القسيسية وصيغة اداء
التقديس والصلاة وما اشبه ذلك كان غير قابل للتغيير والتبديل حتى انه بعد
بذل غاية الجهد في الاصلاح بين الفريقين في شأن هذه المواد جزم الاميراطور

(سنة ١٥٤١)
٢٨ من شهر تاموز
مطلب

اتفاق مشورة الديانة
المنعقدة بمدينة
واقسونه على عقد
جمعية قيسية عامة

بأن سمع لاثمة فيه ولا طائل تحته غير أنه لما كان يود انتهاء مشورة الديانة
على وجه السرعة بذل وسعة حتى امتثال جمهور أعضائها إلى قبول الأمر
الآتي وهوان المواد التي اتفق عليها العلماء في المذاكرة تعتبر كأنها منبئة
وصارت بالاختلاف فيه بحيث لا يجوز لأحد من الفريقين نقضها وأما المسائل
التي اختلفوا فيها فتوقف حتى تعقد لها جمعية قيسية عامة فإن منع من
انعقادها مانع انعقد لأجلها جمعية ملية ببلاد ألمانيا فإن تعذرت هذه
الجمعية أيضا انعقدت مشورة الديانة بالإمبراطورية قبل مضي ثمانية عشر
شهرا لتب أمورها وتنتهي موجبات الشقاق بين المعتزلة والكنيسة الرومانية
وإن الإمبراطور يبدل بمجهوده في حل البابا على عقد جمعية قيسية أولية
وإنه قبل انعقادها لا يجوز تغيير شيء ولا تبديله ولا الإقدام على ما يترتب عليه
تكتير حزب المعتزلة وأنه لا يسوغ التعدي بأى وجه كان على إيراد الكنيسة
ولا على محمولات الأديار والقسوس

مطلب

غضب المعتزلة
والقائمية بما حكمت
به مشورة الديانة

وكل أعمال هذه المشورة وما حكمت به في هذا المعنى اغضب البابا كل الغضب
وذلك أن أهل ألمانيا لما اتصبوا بأقسطهم أفرادا من علماءهم اللاهوتية
ليتمنوا المسائل الخلافية ويحكموا في شأنها حكما يبين أظهر البابا أن ذلك محض
اقتيات على حقوقه واعتباط منهم أيضا حيث طلبوا أن ينعقد جمعية ملية فرأى
أن ذلك خروج عن الطاعة لتقدم طلب ذلك من أرا عديدة وعدم اجابتهم
وأقارهم عليه كما فعله أسلافه من الباباين ولما لم يخط الرأى على عقد مشورة
الديانة وأن أربابها يكون معظمهم من اللايك ويكون لها الحق
في أن تحكم حكما يبين في شأن المواد الدينية غضب القائمية ورأوا ذلك كفرا
أجمع من الحاد والاعتزال الذي كانوا يبدلون جهدهم في نسخه وإراته وغضب
المعتزلة أيضا حيث حكم عليهم بحكم فيه تضيق على حرمتهم التي كانوا يتمتعون
بها إلى ذلك الوقت وتطلوهم من هذا الحكم كل التظلم حتى إن الإمبراطور لتصد
إزالة هذا الغضب من قلوبهم ومنع ما يترتب عليه للإمبراطورية من الضرر
حزر إليهم فرمأنا مخصوصا يتضمن معاقبتهم من كل شيء أساءهم وأرأوه من باب

مطلب

سعى الإمبراطور
شر لكان في استقالة
قلوب المعتزلة ورضاء
خاطرهم

(سنة ١٥٤١)

مطلب
مصلح بلاد البحار

الظلم والاحقاد بهم عما تضمنه فرمان الديتة واقم عليهم في هذا فرمان
بتقريرهم باستمرار التمتع بالمزايا والخصايس التي كانت لهم ومثل هذا الحلم
من الایمبراطور بعد غريباً الا أنه كان مجبوراً على ذلك حسبما اقتضته الاحوال
اذ ذلك وذلك أنه كان جرى أمره على اقليل لا بد من وقوع الحرب بينه وبين ملكة
فرانسا فبناء على ذلك لا يليق به أن يغضب المعترلة لانهم ربما اجفوا الى ملك
فرانسا وتحالفوا معه واتخذوه عوناً وظهيراً كما وقع منهم مثل ذلك سابقاً
وهناك سبب اقوى من هذا في مراعاة الایمبراطور للمعترلة وهو أن جيوش
الدولة العثمانية كانت في ظفر عظيم ببلاد البحار وكان قد حصل في هذه
الملكمة فتنة كبيرة وذلك أن حنا زاول سوبوس صاحب بلاد البحار كان
قد اختار كما تقدم أن تكون مملكته خراجية ولا يحرم من المنصب الملوکی فكان
يدفع الخراج والجزية للدولة العثمانية وكان السلطان سليمان نصيراه
قباعة هذا السلطان الشديد البطش اخذ من الملك فرديند جرأ عظيماً
من بلاد البحار ولم يترك له فيها الاشياء واهية ولكن كان حنا المذکور يميل
بالطبع الى الصلح فحصلت له حيرة عظيمة من اغارات فرديند وقتن المقرضين له
ببلاد البحار وكان غرض فرديند من هذه الاغارات استرجاع ما اخذ منه
في تلك البلاد وكان حنا ايضا في غم شديد من كونه يرى نفسه أنه مضطراً الى
الاستعانة بالدولة العثمانية وانه معدود من اتباعها الا من معاهديها وفي الواقع
كانت تلك الدولة معه بهذه المثابة ولما كان يميل الى الصلح بطبعه كما ذكرنا
اتفق سرّاً مع خصمه فرديند على أنه يبقى مدة حياته ملكاً في بلاد البحار
وأنه يتمتع بما هو تحت يده منها وبعد موته ترجع المملكة بتمامها الى الملك فرديند
المذکور وكان قصد حنا بذلك أن يريح نفسه من تعب الحرب ويتمتع بطلاعة
الفتنون ويحظى بالسرّات المستحسنة المألوفة لنفسه وكان يومئذ غير متأهل
مع كونه قد طعن في السن فخرج فرديند بهذه الشروط وقبلها منه ولكن
بعد ذلك بقليل اتفق اشراف تلك المملكة مع بعضهم على منع وقوع مملكتهم
تحت يدي ملك اجنبی وجملوا الملك حنا على التزوج بالاميرة ايراييه بنت

(سنة ١٥٣٥)

(سنة ١٥٤١)

مطلب

موت ملوك البحار

صحبته ملوك بلاد له تحت بعد أن تزوجها بسنة واعتقب منها ولدا يرثه في المملكة ويجعله ولي عهده ولم يلتفت الى المشاورة المتقدمة بينه وبين الملك فرديند بلزمه بطلانها حيث حدث مانع لم يكن موجودا حين عقد هاتوا ما بكافة ابنه وبناته للملكة كلاً من زوجته الملكة ايرانية والخبير جورجي مارتينوزي اسقف ووردين فكانا وصيغ عليه وبائع اغلب الملة هذا الطفل واختروه على الملكية وسموه اسطافان باسم من اسس هذه المملكة

ومع مالحق فرديند من الورطة والخيبة بسبب هذه الحادثة التي طرأت بغتة ابت نفسه أن يترك تلك المملكة حيث كان له حتى فيما بموجب الاتفاق الواقع بينه وبين سنا فبعث رسلا من طرفه الى الملكة ايرانية يطلب منها تسليم المملكة وعرض عليها التليم ترانسواانيا وهو الارذل تتكلم به هي وابنها وتأهب لتأييد حقوقه بالحرب والقتال ولكن كانت هذه المملكة ذات حزم قوى وكذلك الاسقف جورجي مارتينوزي فكان يحمل عزمهما عن التسليم في التاج مع السهولة وكان عندهما من الوسائط ما يلزم لحمايته والمدافعة عنه اتم المدافعة فاما الملكة فكان لها زيادة على الفطنة والسياسة الاذقة بالنساء فزعم قوى وطمع شديد مع الشجعان وعلو النفس واما جورجي مارتينوزي فكان قد ارتقى بمعارفه من الخفيض الى اوج المعالي بهما زمة منصب الاسقفية وكان من غول الرجال الذين هم لفزارة معارفهم واتساع دائرة اطلاعهم لهم

مطلب

بيان طبع جورجي

مارتينوزي وصولته

اقدار على تمييز كل امرهم وازالة كل خطب لم في اوقات التعكيرات والفتن وكان من حيث وتلقته الدينية يظهر التواضع والتقوى ويراعى شعائر الزهد والتشرف واما في ادارة مصالح الدولة فكانت له دقة بحبيبة وفشاط وقوة جنان غريبة فكان في مدة الحرب يخلع ثوب التمسوس ويركب جواده وينسلك بالسلكية والتمس بيده ويرز في الميدان مع اشبهت والمهارة التي لا تعلموها مهارا حادين ابناء وطنيه ومع اطواره واحواله المختلفة التي كان يستريحها كان يظهر عليه أن له رغبة عظيمة في الحكم والاعتلاء وكان جوابا لفرديند في هذا المعنى يفهم قبل وصوله بطريق الحديس والتخمين فعمال قليل ايقن

(شنة ١٥٤١)

فرديند انه لا يمكنه التغلب على تاج مملكة الجمار الا بالسلح جمع طاقتة
كثيرة من عساكر المانيا وانضم اليها احرارهم مع ابلعهم فصاروا بذلك
جيشا وجهه الى البلاد التي خرجت عن طاعته وانضمت الى حزب اسطغان
من مملكة الجمار فلما رأى الاسقف مارتنوزى انه لا قدرة له على مقاومة
جيش فرديند في حرب الصف وهو ان تصف عساكر كل من الفريقين أمام
عساكر الانواقتصر على تحصين المدائن والقلاع لاسيما مدينة بودة وتعرف
بيودين فانه اهتم بتحصينها بجميع ما يلزم وبعث رسالا الى السلطان سليمان
يترجاه في اعانة الابن كما كان يعين الاب ويكنه من كرمي مملكته وبذل
فرديند جهده في تعطيل المداولة التي حصلت في هذا الشأن بين الاسقف
مارتنوزى وللسلطان سليمان بل وعرض على السلطان أن يستلم منه
مملكة الجمار ويلتزم بجميع ما كان يؤديه الملك حنا للدولة العثمانية
ويدفع الجزية مثله ولكن رأى السلطان أن مصلحته انما هي في اعانة ابن الملك
حنا فوعده بالاعانة والامداد وجه جيشا الى بلاد الجمار ثم اردفه بجيش
آخ حصه بنفسه واما اهل المانيا فظنوا أنهم ان اخذوا المدينة التي بها المملكة
اراييله وانها تقضي الحرب وتكون النصر لهم فحاصروا مدينة بودين
وكان الاسقف مارتنوزى قد جمع فيها جميع عساكر اشراف الجمار فدافع
عنها حق المدافعة وثبت أمام العدو مع الشجاعة العجيبة والمهارة الفريسة حتى
وصلت اليه جنود الاسلام وقامت بنصره وذلك أنه بمجرد وصولها اليه حلت
على جيش المانيا وكان قد قوت همة بمالحقه من التعب والنصب
وقل عدده بمن هرب او مات بالامراض فهزمته الجيوش الاسلامية
وأبادته عن آخره

مطلب
استعانت بالاسلام

مطلب
ما فعله السلطان
سليمان مما لا يدق
بالملك

وعما قيل لحق السلطان سليمان جنوده بالجيش الثاني فوجدها منصوره
مؤيدة وكان قد ستم من المدافعة عن بلاد لانسيب اليه واعتبر تلك الفرصة
التي لاحت له فصمم على اخذ هذه المملكة واستسهل ذلك حيث كانت تحت يد
طفل وصيه امرأة وقسيس لا اقتدا ولهما على مقاومة جنوده الكثيرة فدخله

(سنة ١٥٤١)

الاعتزاز والطبع ولم يراع ما يعتد في الدول من شعار المروءة وشرف العرض فسلك
مسلك الخديعة والتحيل ليخبر هذا الامر الذي يحذر خطوره بالبال يחדش
سياسة عرض الانسان وذلك انه دعا الملكة ارياييله الى الحضور بمسكبه
محبة ابنها مظهر التثوق والرؤفة ودعا ايضا العميان ملكة البحار واكابر
اشرافها الى الحضور عند ملوسم يريد علمه فينما كانت الملكة واكابر دولتها
يلهون ويلعبون مع الامن والطباينة اذ نزلت سرية من جتود السلطان
وتغلبت على احد ابواب مدينة بودين وبعد ان استولى بهذه الحيلة على
تحت الملكة وقبض على الملك وامه واعيان الاشراف ارسل الملكة وابنها
الى اقليم الاردل وكان قد عينه لهما وولي باشا من طرفه وجعل دار اقامته
مدينة بودين وترك عنده جيشا عظيما في هذا الوجه انضمت مملكة البحار
الى الدولة العثمانية ولم يرث لحال الملكة وهي تبكي وتضرع اليه وكان الاسقف
مارتينوزي ضعيف الشوكة لا يمكنه مخالفة ارادة السلطان ومع ذلك بذل
جهده في تحويله عما عزم عليه فلم يجد ذلك ففعا

مطلبه —
ما عرضه فرديند
على السلطان

وقبل أن يصل الخبر الى فرديند بهذا التطلع كان قد بعث الى السلطان سليمان
رسلا يعرضون عليه الالتزام بحقوقه في مملكة البحار وما كان عرضه عليه
اولا من أن السلطان يعطيه هذه المملكة وهو يدفع له الجزية في كل سنة
فرد السلطان رسله خائبين ولم يقبل منهم صرفا ولا عدلا بل اظهر انه لا يدع الحرب
الا اذا سلم اليه فرديند حالا جميع المداين التي كانت تابعة بتلك المملكة
ورضى بتقرير مقدار معلوم على الاوستريا في نظير المصاريف الجسمية التي
صرقتها الدولة العثمانية في المدافعة عن مملكة البحار لان السبب في ضياع تلك
المصاريف انما هو اغارة فرديند على تلك المملكة

هكذا كانت حالة المصالح في بلاد البحار وحيث ان هذه الحوادث المشؤمة
كانت قد حصلت قبل انعقاد مشورة الديتة بمدينة راتسبونة
وكانت تحشى عواقبها رأى الامير اطور انه ان فعل مع المعترلة ما يوجب غضبهم
في ذلك الوقت قد عرض نفسه الى الخطر حيث كان يرى أن مثل هذا السلطان

(سنة ١٥٤١)

الشديد البطش مستعذلتن القارة على الإمبراطورية وكان يعلم أنه لا يؤمل من المعتزلة اعانة في استرجاع بلاد البحار من ايدي الاسلام ولا مداخلة عن ضواحي الاوستريا الا اذا داهنهم واجابهم الى مطلوبهم ولم يبلغ قصده منهم الا بعد الاطعامات والمزايا التي اتفقهم بها وقد تقدم الكلام على ذلك فتعهد المعتزلة أن يعينوه في حربه مع الدولة العثمانية كل الاعانة ويمتدوه بعد عظيم من الرجال والاموال فأمن الإمبراطور واطمأن نفسه وصار لا يخشى على بلاد المانيا من حصول حرب بينه وبين اعادته

مطلب

سفر الإمبراطور الى
ايطاليا

ويعجز اذا تقاضا مشورة الديينة سافر الإمبراطور الى بلاد ايطاليا ولماصر في سيرة بدينة لوكه اجمع فيها بالبابا ومكثا معامته قليلة وهما يتذاكران فيما يصلح من الوعايط لانهاء المناجرات الدينية التي كانت تعكر بلاد المانيا ولكن لم يقع الاتفاق بينهما على شيء حيث كانت آراؤهما ومصلحتهما في هذا المعنى متباينة كل التباين وقد سعى البابا في قطع اسباب التناقم الذي كان بين شرلكان والملك فرنسيس وبذل جهده في ازالة العداوة والبغضاء من بينهما لانه كان يخشى أن يترتب على ذلك سرب مهول في بلاد اوروايا لكن كان سعيه في ذلك سدى

مطلب

اغارته على بلاد
الجزائر والاسباب
التي دعت الى ذلك

وكان الإمبراطور مشغولا بما كان عزم عليه من شن القارة على بلاد الجزائر فلم يلتفت الى ما عرضه عليه البابا في شأن الصلح مع فرنسيس بل جعل بالرحيل ليحقق دونها وجهته

وكانت بلاد الجزائر بالمغرب انذاك لم تزل من عهد بربروس تحت حكم الدولة العثمانية ولما تولى بربروس قبطان باشا على دونها الدولة العلية تولى حكم الجزائر حسن اغا الطواشي وكان في الاصل نصرايا ثم اسلم وخدم في البحرية عند اهل الجزائر في سفنهم التي كانت صائفة في البحر وارتقى الى سائر الرتب بالتدريج فصار في فن الحرب بكمكان من المهارة والتجربة حتى كان يصلح لأن يتايطو بليفة مهمة جسمية تقتضى العزم والحزم وتستلزم معارف واسعة قصد أن يجعل نفسه جذرا بالمنصب الذي تقلده فكان ينظم جميع الدول

النصرانية ويغير عليها مع مزيد القوة والتشاط حتى انه لو فرض أن هنالك من يفوق ببروس في الحساسة والتسوية لكان هذا الطوائف قد يبلغ من تسوية وحساسة احزابه أن لتقطع التجارة في البحر الأبيض حيث كان يتقن على سواحل اسبانيا والبلاد المحاذية لتجرو ويقع في اهلها الرعب والفرع حتى اضطروا الى بناء رباطات فيها ووضع خفر يلازم حفظها من اهل بلاد البربر ويحمي الاهالي من اغاراتهم وكان الاميراطور منذ زمن طويل تصل اليه شكاوى من رعاياه مضجونها أن مصالحه وشعائر المروءة توجب عليه أن يجمع اهل الجزائر التي صارت منذ فتح تونس ماوى لارباب الصيال وأن يقطع دارهؤلاء الطلبة الذين هم اشتد أعداء ابناء النصرانية فبناء على تضرع رعاياه اليه او طمعاً منه في ازدياد غنائه الذي حازه بالتصارع في المرة الاولى على بلاد افريقية صدر منه امر قبل سفره من مدينة مدريد قاصداً مملكة البلاد الواطية لبلاد اسبانيا وايطاليا بتسلج دونما جمع جيش قصد هذا الحرب ولم تقهره بماطرأ فباعد من التغيرات فلم تقعه اغارات الدولة العثمانية ولا الحاح احبابه في المانيا عليه وافهامهم له أن اول واجب عليه هو اتمامه بالدفاع عن الاميراطورية ولا استهزاء اعياداً به حيث كانوا يقولون انه لعدم اقتداره على مقاومة السلطان شروع في الذهاب الى بلاد افريقية متعللاً بما تقتضيه فكل ذلك لم يؤثر عنده شيئاً ولم يحمله على تحويل قواه وعساكره الى بلاد الجمار ولا شك أن هجومه على السلطان ببلاد الجمار كان يكسبه الشرف وعلو القدر الا انه كان دون السلطان في الشوكة والقوة وكانت مصالحه اذ ذلك تقتضى خلاف ذلك فلو تعرض للحرب السلطان لزمه أن يحضر عساكر من بلاد اسبانيا وايطاليا وهي بعيدة عن دار القتال ولزمه ايضاً تجهيزات كبيرة واسعة لتقل المدافع والاسلحة والذخائر والمهصات الحربية وأن يتم في واقعة واحدة حرباً كبيراً كان يصعب تقسيمه في عدة وقائع وهذا كله كان يستدعى مصاريف جسيمة ومبالغ عظيمة لا يقدر عليها مع تضاد خزائنه انذال في المشروعات التي كانت مفتوحة عليه

من كل جهة

وزيادة على ذلك لوجه قواه الى هذه الجهة نفشى من ملك خراسا على بلاده التي بايطاليا ومملكة البلاد الواطية اذ لارب أن فرنسيس لا يحمل في امهارة تلك الفرصة وشن الغارة على الاراضى المذكورة * وايضا كانت مواد الاغارة على بلاد افريقية ومهمات قد تكاملت وكذلك مصاريقها الاماندر فلم يبق عليه الا مجهود واحد (وهو شن الغارة على تلك البلاد) لا يستغرق الامدة يسيرة بحيث لا يتمكن فرنسيس من اعتنام فرصة غيبته فيهب على دوله التي يسلاد اوربا وهذا زيادة على ما يترتب عليه من امن رعاياه واطمئنانهم وسرورهم بجيالة الظفر والتجاح في هذا المشروع .

مطلب
تجهيزاته

وكل هذا الاسباب حلت الاميراطور على التصميم على قصده وعدم للعدول عنه ولم يلتفت الى نصيح البابا ولا الى نصيح الامير اندره دورية الذي كان يلح عليه بعدم السفر ويخبره أنه يخشى على الدول اذا دامت من سواحل بلاد الجزائر لان رياح فصل الخريف اذ ذاك كانت شديدة جدا فطرل في سفن اندره دورية من ميناء پورتو فير بيلاد جنوية ومارغليا عرف أن كلام الامير اندره دورية في عمله وذلك أنه حصلت فرطونة مهولة فلم يكن أن يرسو على جزيرة سوديا التي كانت ملتحق بجميع الدولتات الابشقي الاقص ولكن لما كان من طبعه أنه اذا صمم على شيء لا يعدل عنه الا اذا خض امره لم يلتفت الى قول البابا ولا الى قول دورية ولم يرتدع من الخطر الذي كان عرضه له ولم ينشأ عن ذلك كله الا زيادة التصميم على هذا الغرض المشؤم ولا يخفى أن العدة التي كان جمعها كانت تكسب النفس امل التجاح ورجاء الظفر ولو لم تكن تكفى الاميراطور في الشتم والجسارة فقد كان عدد ذلك من المشاة عشرين الفا ومن الخيالة الفين مائتين اسبانية وايطالية والمائة وكان اغلبهم قد شادم عهده في العسكرية حتى صار متمكنا من اصولها وفرؤعها وكان مع الاميراطور ايضا ثلاثة آلاف من ايجي واعظم اشراف اسبانيا وايطاليا مصحوبه في هذه

سنة ١٥٤١

مطلب
خروج الایمیراطور
على سواحل افريقية

مطلب
دمارجيشه

السفرة بمحض اختيارهم وكان يترأى منهم أن لهم من يدرغبة في مقاسمته نخار
تلك الغزوة وزيادة على ذلك كان قد اتى اليه من جزيرة مالطة ألف
من العساكر بعثهم اليه اربابا الطائفة الدينية المشاة طائفة سنت جان
اي ماري حنا وارسلوا معهم ما تم من ابطال هذه الطائفة *

وقد حلقة في سيره من جزيرة مايورقة الى سواحل افريقية من التعب والمشقة
بقدر ما حلقة من ذلك قبل وصوله الى جزيرة سردينيا وذلك انه لما دنا من البحر
اشتدت الريح وهاجت العواصف حتى لم يمكن للعساكر أن يخرجوا من البحر
وبعد مكابدة المشاق القادحة اعتدل الهواء مدة يسيرة فجهل الایمیراطور
بانهما تلك القرصة واخرج عساكره الى البر بدون عائق ولا مانع وكان خروجهم
قرى سامن مدينة الجزائر فتوجه اليها بدون مهلة ولا تراخ ولم يكن عند
حسن اغا الطواشي حاكم الجزائر من العساكر الا ثمانمائة من الاتراك وخمسة
آلاف من المغاربة نصفهم من اهالي بلاد الجزائر والنصف الاخر من غرناطة
ومع ذلك اجاب الایمیراطور حين طلب منه التسليم مع الشجع والكبر ولا يفتي
انه مع شجاعته وتمكنه من فن الحرب وكثرة تجاربه كان قلة عساكره لا يمكنه
أن يقاوم عساكر الایمیراطور لانها كانت في هذه المرة اكثر عددا من العساكر
التي هزمت ببروس في المرة السابقة مع انه كان مع ببروس حيثئذ
يستون الفاتو تغلب الایمیراطور فيما على تونس مع ما بذله ببروس المذكور
اذ قال من الجهد واشتاره بالبطش والشجاعة

ولكن ينبغي ان كان الایمیراطور يرى انه لا يخشى شيئا من جهة اعدائه اذ نزلت به
مصيبة من جهة اخرى فوق طاقة البشر بحيث لا يمكن للانسان أن ينجو منها
بجزمه وعزمه وذلك انه بعد خروجه مع عساكره من البحر يومين اخذ يطرد
بعض طوائف من العرب كانت تجم على جيشه متقعة سيره فينهاهوا كذلك
اذ امتلا البحر بسحاب كثيف واشتد الظلام وعند المساء عصفت الريح وزلت
امطار غزيرة كانت تطرد هاريا شديدة قسقط بقوة وشدة وازدادت
القرطونات وهاجت الريح مدة الليل وكان عساكر الایمیراطور لم يخرجوا

من السفن الاسلحتهم قطعت عنهم تلك الليلة وهم في الكشتف تحت
السماء عرضة للعواصف والإمطار وعما قليل فاضت المياه على الارض حتى صار
لا يمكن للعساكر أن يأخذوا مضاجعهم منها وكان محسركم في اراض منخفضة
فكان السيل يأقي اليها من جميع الجهات حتى عمها وكان الرجل منهم اذا قتل
قدمه غاص في الطين الى نصف ساقه وكانت الرياح مع ذلك قاصفة حتى زعمهم
أن يغرسوا رماحهم في الارض ليستندوا اليها وكان حسن اغا الطواشي
متيقظا كثيرا المهارة والنشاط لاتفوته مثل هذه الفرصة التي تعينه على
الفتك بعدوه وتدميره وذلك انه عند طلوع الفجر خرج مع عساكر من العمران
وهم على شذبتهم وقوتهم لم يضع منها شي غنيا كلبدو من الامطار والرياح كعساكر
الايبراطور فبمجرد ظهورهم هرب العساكر الايطالية الذين كانوا نازلين
بقرب المدينة لاجل الحرس وانفخرت حسن اغا بعساكره من هذه المحطة
بدون مشقة فلما وصل الى المحطة الثانية قاومه العساكر الايبراطورية
الا أن الامطار اطفأت قلوبهم وبلت بارودهم فلم تقهرهم قرباناتهم شي وكانت
اسلحتهم قليلة عليهم فلم تحضر مدة يسيرة الا وهزمهم حسن اغا بعساكره
وبدد شملهم فتقدم الايبراطور مع الجيش همامه لدفع العدو وصده قتل
حسن اغا من جيش الايبراطور مقدارا عظيما واودع في قلوب الباقي الرعب
والفرع ثم رجع وعساكره في غاية الانظام والترتيب
وقد اعقب دمار الجيش بالبر دمار الدونغا بالبحر وذلك أنه في اثناء التهاق قد ملا
المضوء الجوق وانتشر في الافاق وكانت العواصف لم تزل مستمرة مع الشدة وكان
البحر يضرب كل الاضطراب وامواجه تتلاطم كالجبال فاقطعت السفن اهلا بها
وتكسرت تصادمها مع بعضها اومع الحشرات وقذفت الامواج كثيرا منها
الى البر وابتلعت بعضها حتى اقل من مائة من السفن الحربية الكبيرة
خمس عشرة سفينة ومن سفن النقل مائة واربعون وغرق من الرجال ثمانية آلاف
كانوا بها ومن حاول النجاة منهم وعام حتى وصل الى البر ذبحه العرب ولم يروا
لحاله واما الايبراطور فلما دخله من الرعب والفرع كان ينظر الى هذه

مطلب
دمار الدونغا

المصابين بعين الحيرة ولا يتقوه بشئ وكان ايضا ينظر بعين الحسرة الى الامواج وهي تبتلع مصاته الحربية وذخائره المعدة لتقوية عساكره غابت املاله وضاعت عليه الارض بما رحبت ولم يمكنه أن يصنع شئاً سوى كونه ارسل بعض سرايات من عساكره لتطرد العرب الذين كانوا على الشواطئ وتأخذ العساكر الذين كانوا يعومون ويصلون الى البر ولكن بعد ذلك اخذت الرياح في السكون والعواصف في الركود فطمع الاعميراطور أن يبقى له من السفن ما يكفي في نجاة الجيش من احوال القحط والجوع حتى يعود الى بلاد اوروبا ولكن كان ذلك من قبيل الاماني الباطلة لانه عند المساء امتلأ افق البحر بالضبابات الكثيفة ولم يمكن للضباط البحرية الذين بقوا من الهلاك أن يفهموا العساكر البرية مقصودهم قضت العساكر البرية تلك الليلة في عذاب اليم وفي حيرة وقلق عظيم فلما لاح التورجاء الى المعسكر تارب من طرف الاميرال (قيودان باشا) دورية واخبر أن الاميرال المذكور قد نجى من تلك العرطونة التي لم ير مثلها منذ خمسين سنة وهو مشغول بالملاحه وركوب البحر وأنه اضطر الى الذهاب الى رأس ميتافوزة مع سفنه وان كان قد لحقها التلف وكانت السماء لم تنزل متغيرة من الضباب وعواصف الرياح فبعث دورية مصيبة المرسلين بالقتارب الى الاعميراطور ينحسه ويدعوه الى الاسراع بالذهيل الى رأس ميتافوزة لانه وافق محل ينزل منه العساكر الى البحر .

مطلب
 اضطر ارسل مكان
 الى الارض حال

ولا يخفى أن مثل هذا الخبر نبأه جرم من السفن يعتق تلك المصيبة تسليمة كبيرة للايميراطور ولكن ما حصل له من السرور بذلك كان يعكره عليه سوء حال جيشه وكان رؤس ميتافوزة بعيدا عن معسكره بمسافة اربعة ايام وكان قد قد جمع الزاد الذي اخرجوه من السفن وكانت العساكر لتعبهم ونصبهم يصعب عليهم قطع تلك المسافة ولوفي بلادهم لفتور همهم بها كأبدوه من المشاق حتى لو حصل لهم عقب ذلك نصير ونجاح لاحتمل أن صدورهم لا تشرح لذلك ولا تعود اليهم همهم الاولي فكانوا لا طاقة لهم على مكابدة مشاق جديدة ولكن كانت حالة الجيش انذاك لا تسويغ التردد بين الرحلة والاقامة بل كانت تعين

سنة ١٥٤١

الارتحال فامر الإمبراطور عساكره بالسير ووضع المرضى والبحرى فى قلب
الجيش والاقوياء فى المقدمة والساقة فآزادت بهم الاكام فى السير وعظمت
مصيبتهم فكان يشق على بعضهم حمل سلاحه والبعض الآخر ضعفت قواه
من التعب والسير فى طرق وعرة غير مطروقة فكان يسقط فى الطريق ميتا
وكثير منهم مات جوعا لان الجيش كان لا يتقوت الا من الاعشاب وجيوب
النباتات التى تخرج فى الجبال ومن لحوم الخيل التى كان الإمبراطور يذبحها
ويوزعها عليهم وبعضهم غرق فى السيول وكانت غزيرة لكثرة الامطار حتى
كان العساكر عند خوضها تضربهم المياه الى اذنانهم وقتل العدو منهم مقدارا
جسدا لانه فى مدة سيرهم كان يجمع عليهم فى كل وقت ويتخس عليهم آباء الليل
واطراف النهار وبالجملة فبعد أن كابدوا من المشاق والتعب ما تقصر عنه العبارة
وصلوا الى رأس مينا فوزه وسكنت الرياح على حين فجلة فحصلت الوصلة
بين السفن والجيش وكثرت المأكولات عند العساكر وداخلهم براء أنهم
قد صاروا آمنين لا يخشون تعباً ولا نصبا

مطلب

كرم نفس الإمبراطور
وعزمه

وفى هذه المصائب الكبيرة ابدى الإمبراطور شرلكان من جيد الصفات
ما لم يكن يترأى منه قبل ذلك ولم يكن يعهد فيه حيث كان اولاً فى سعد مستتر
لم تلحقه فيه شدة يعرف بها عزمه وقيلده فابدى فى هذا الخطب العجب العجيب
من العزم وكرم النفس والشجاعة والمروءة فكان كاحد عساكره فى تحمل المشاق
ومكابدة الاهوال وكان يلقى بنفسه الى اعظم المحال خطبا واشدها خطراً
ويقوى قلوب من تقهرهمهم وتتأصق قواهم ويعود المرضى والبحرى
ويتشجعهم بالقول والفعل ولما نزل الجيش فى السفن تأخروا مع من تأخر على
الشاطئ مع أن العرب كانوا بالقرب منهم ويحشى هجومهم على الساقة فهذا
السلوك المستحسن والمفعل الم محمود ستم مثالب الكبر والعز الذى افنت به
الى التصدى لمثل هذا المشروع الذى اضرت عواقبه برعاياه كل الضرر

مطلب

رجوعه الى اوروىا

ولم يكن ذلك آخر مصائب الإمبراطور ورجوعه بل بمجرد نزول العساكر فى السفن
هاجت الرياح وهبت غرطونه كانت دون الاولى فى الهول والشدة الا انها شنت

سنة ١٥٤١
شوركاون الاول

السفن عن بعضها فكانت كل سفينة على حدتها تبصت لها عن جهة ترسو عليها
فبعضها ذهب الى اسبانيا وبعضها الى ايطاليا فانتشر بذلك خبر خيبة
الايمبراطور وخسارته مع المبالغت التي تترجها العقول المتكبر منها القزع
والزعب واما الایمبراطور فبعد أن انقضى اخطاؤها كبرت وقايد اهلها كثيرة
اضطر الى أن رسا بمينا بوجية يبلاد افريقية وعاقه فيها اختلاف الرياح
حتى مكث بها عدة اسابيع ثم سافر الى اسبانيا ودخل على حالة تغير الحالة
التي قدم عليها في رجوعه اول مرة منصورا من بلاد افريقية .

انتهت المقالة السادسة

• المقالة السابعة •

(من اتحاد ملوك الزمان بتاريخ الایمبراطور شريكان)

وقد تلقى الایمبراطور في هذا المشروع خسارة كبيرة لم يتحلل عن المبالغت من لفظ
العامية وكل بلدة كانت ابعدها عن غيرها عن محل الواقعة كانت المبالغت فيها
اكثر فاحتجها الملك فرنسيس فرصة في بدء الحرب مع الایمبراطور ولكن
لم يرمن الصواب أن يتعلل في ذلك بما سبق له من تطلب دوقية ميلان
ولا يندفع الایمبراطور له في هذا الشأن حيث وعده بها غير مرة ولم يف بوعده
وذلك أن العلة الاولى انما كان يسوغ له التعلل بها الواسع من عقد المهادنة
بمدينة نيسة بخلاف التعلل بما في تقص هذه المهادنة بعد انعقادها فلا يكفي
ولا يقوم بحجة في ذلك واما العلة الثانية فكانت نفسه تأبى التعلل بها لانه يترتب
على اظهارها استهزاء الناس به حيث وثق بوعده الایمبراطور بعدما الافاء منه
من القدور والخيانة . وكان قد وقع من بعض جنرالات الایمبراطور اساءة وتعد
في حق فرنسيس فاحتج ذلك على في طلب الحرب مع الایمبراطور لان هذه
الاساءة كانت فاحشة شنيعة فاغضبت فرنسيس كل الغضب واشتد بها
حقده وباليته كان يحبه الصلح قدر رغبته في الحرب بعد تلك الاساءة . وذلك
أنه كان قد فهم أنه باقرا لمهادنة نيسة قبل استشارة السلطان سليمان
بغضب هذا السلطان الذي كان يرى أن معاهدة الدولة العثمانية بما يشرف

مطلب
تجديد الملك
فرنسيس للعرب

(سنة ١٥٤١)

به ملوك النصرى * وكان فرنسيس ايضا قد اجتمع مع الايمبراطور
في اقليم برونت كاسق واكرمه فرنسيس غاية الاكرام واظهر البعض
من المؤدة والحببة مالا حفر يد عليه حتى ظن السلطان انهما نسيما عداوتهما
القديمة وتظاهرا على الدولة العثمانية لان هذا القرض كان قد اريد تنقيده غير
مرة ولم يتم وجميع النصرى كانوا يودون تنقيده واجراءه * وكان الايمبراطور
مع حيله ومخادعته يحاول أن يمكن هذا الظن من نفس السلطان ويوصي رسله
الذين يديون القسطنطينية وغيره من الدواوين التي كان لها مداوات
مع السلطان أن يشيعوا أنه قد اصطلح مع فرنسيس وصار معه على غاية
من الائتتام وأن مقاصدهما واغراضهما مارت واحدة فشق على فرنسيس
ازالة هذا الوهم من نفس السلطان سليمان فبعث الى الدولة العثمانية رسولا
فيحيا حادقا وهو الشهير رانكون فباذعهم حذق هذا الرسول الى المصالح
العلنية التي كانت تظهر للدولة العثمانية من الاتفاق مع فرانسوا على قتال عائلة
الاورستيا (عائلة الايمبراطور شرلكان) مال السلطان سليمان وصمم
على أن يقدم ملك فرانسوا معاهدة اكبنة فرج رانكون الى سيده
فرنسيس ومعه مكاتبات من طرف السلطان مضمونها أنه يحاول ادخال اهل
البنادقة معهم في التحزب على الايمبراطور وكان السلطان قد عقد مع
جمهورية البنادقة صلحا واعانه على ذلك فرنسيس ورسوله وانكون
حق الاعانة فظن أنه يمكنه استمالة ارباب مشورة السنت بتلك الجمهورية
اذا هو عرض عليهم ما فيه نفعهم ومصلحتهم لاسيا وكانوا يرون أن ملك فرانسوا
قد سبقهم الى ذلك فلا يتوقعون فيه بل يثرون نفعهم على ماعداء فعند ذلك
فرح فرنسيس وارسله رانكون ثانيا الى القسطنطينية واصرهم أن يمز
بالبنادقة مع رجل من جنويرة يسبحي فريوز كان منفيا من وطنه
وقوض لهما أن يسعيا في تميم الامر الذي كان السلطان قد بعث بصدده رسولا
من طرفه الى مشورة السنت وكان هذا الرسول قد افتتح المذاكرة فيما هو
مبعوث بصدده * وكان الملتزم دوغواست اذئذ الحاكم على دوقية ميلان

مطلب

كون قتل رسل
فرنسيس هو السبب
في الحرب

وكان من مهرة الضباط وانجهم الأثم كان من الجبايرة العتاة قبله ما إلى
بصدده هذان الرسولان وكان يعلم أن سيده يود الوقوف على مقاصد ملك
فرانسا وأن تأخير اجراء هذه المقاصد من اعظم المهام فبناء على ذلك اعد
لأن يكون وصاحبه فرغوز كينا من محاطى بأوليا فاقضوا عليهما
عند نزولهما في البحر في ميناء بوه وقتلوا مع عدة اشخاص من اتباعهما
وقبضوا على الاوراق التي كانت معهما فلما وصل الخبر إلى فرنسيس غضب
غضبا شديدا وكانت المهادنة لم تحض مدتها لاسيما والرسالة محترمون
ايضا فوجهوا ولويين الملل المتبررة الخشنة قتلهم فيه هتك لحرمة الحقوق بين
الملل ومخالفة رسوم الدول واستولى على فرنسيس الاسف والحزن
لان الرسولين المقتولين كانا صديقين في خدمته فتصير من هذا الامر الذي افسد
عليه مقاصده وانضم الى ذلك جميع ما سبق له من موجبات التعكير والافاظه
فقوى غضبه واشتد حنقه من هذا الامر المنكر الذي يري به وبمملكته فاتهم
الملتزم دوغواست بأنه هو الذي ارتكب هذه الكبيرة فاخذ الملتزم المذكور
يبرئ نفسه من هذه الخطيئة التي اورثته الخزي والمعزة ولم يجد ذلك نفعا
لان الرسولين المقتولين كانا قد تركا وراءهما الاوراق والمكاتبات المهمة * فارسل
ملك فرانسا الى الايبراطور يطلب منه تخليص حقه وأن يتصفيه عن فعل
هذه الفعلة السيئة التي لا يتحملها ادنى المملوك واكثرهم جبنا واقلهم مروءة
وكان الايبراطور اذذاك مستغلا بتجهيز العساكر المعدة للسفر معه الى بلاد
افريقية فاخذ يحاوله ويحجبه باجوبة مبهمه قتلهم منه فرنسيس وبث
شكواه الى ساردواوين المملوك الافريقية واطلعهم على قبح هذه الاساءة
وشناعتها وبرهن على استقامته وحسن سلوكه وظلم الايبراطور وتعديه حيث
احقره ولم يلتفت الى شكواه

ومع ما لباه الملتزم دوغواست في البرهنة على براءة نفسه كان جانب الملك
فرنسيس مرجحا على ايمانته ودلائله وكان الحاكم على لقليم يعون يرومشد
انما هو من طرف فرانسا وهو الامير دويلى فلم يزل يبحث ويبحث حتى

(سنة ١٥٤١)

وقب على حقيقة الامر وواقعه عليه عدة شهود فم وان كان هؤلاء الشهود
يتهمون على شهادتهم ~~لما كان~~ فيهم من الشبهة الا ان شهادتهم بانضمامها
الى ما وقف عليه الامير دويلى تعضدت وصارت شهادة ~~بجدة~~ بجدة يعمل بها
شرعا خصوصا وتهايد لفظ العامة ملووق عليه هذا الامير قطهر ان شكوى
فرنسيس في عملها ولم يتهمه احد حين اخذ يجهز لوازم الحرب بان الحامل له
على ذلك طمعه او خذه بل هو يجزء قصد الانتقام في قطير اتسالك بحرمة
ملكته .

ومع أن الحق كان مع الملك فرنسيس وكان متعاهدا مع السلطان على الاخذ
بناصره كان لم يرزل يحشى صولة الايمبراطور وبلشه فاخذ يبحث عن حلفاء
آخرين يستعين بهم عليه لتتعاذل قوى الفريقين ~~ولكنه~~ لم ينبج فجاحا تاما
فيما وقع بينه وبين غيره من ملوك الافرج من المفاوضات والمدالات في هذا
المعنى . فاما ملك انكلترا فكانت مطامعه وآماله في شأن ملكة ايقوسيا
لم تنزل باقية وكان يرى أن ذلك من موجبات الشقاق بينه وبين ملكة فرنسا
فكان يرغب في الانضمام الى حزب الايمبراطور لافي اعانة الملك فرنسيس
على مشروعاته واما البابا فكان معهما على عدم التعرض لاعانة احدهما
على الآخر وتأسي به في ذلك اهل البنادقة مع الحاح السلطان سليمان
عليهم في هذا الشأن واما اهل المانيا المعتزلة فكان الايمبراطور يحرص لهم
في دياتهم وعقائدهم فالواجب عليهم حينئذ مراعاته لا اعتضابه فلم يوافق
فرنسيس على الانضمام الى حزبه الملك داتيرقة وملك اسوج حيث
فرحاً بأن يكون لهم ادخل في حرب اعظم ملوك جنوب اوروپا واقواهم
شوكة وانضم الى حزبه ايضا دوق كليوس (وهي دوقية بيلاد المانيا)
وكان بينه وبين الايمبراطور نزاع في شأن اقليم غويلدره غير أن دول
ملكي داتيرقة واسوج كانت بعيدة جدا عن ميدان الحرب وكانت شوكة
هذا المروق ضيقة فلم يحصل ملك فرنسا كبير فائدة من معاهدته مع
هؤلاء الثلاثة

(سنة ١٠٤١)

مطلب

مهارة فرنسيس
في تجهيزاته للحرب

ولكن مهارة الملك فرنسيس سدت مستذلك كله الا أنه مرض في هذا الوقت بسبب انهماك على اللذات والشهوات فصاقه المرض عن الحرب ومكث مدة وهو يندى في تعديل المصالح عزما وحزما ~~كثرا~~ من الاول فكان هذا المرض باعثا له على ترك اللعب والتهويل اورثه شدة وهعبوبة مع وزرائه ورجلانه فكان دائما عابسا غاضبا وكلماته كمناداة الامير اطوره وما فعله في حق من الاساءة ازداد غمّه وغضبه حتى انه عزل بعض من كان ياتهم ويتقربهم وجردهم عن مناصبهم بل عزل الامير مونجورانسى مع أنه ~~كان~~ منذ زمن طويل مشغولا بإدارة المصالح الملكية والجهادية ويتصرف فيما تصرف الوزير المحبوب المحترم عند ملكه ولم يال فرنسيس جهدا في الاستعداد والتجهيز بل صرف مجهوده ليظهر في هذا الغرض بمظهر مبتهج حتى يرى ان حزمه في ادارة مصالح الدولة لا يتقص ولا يعتبره خلل بغيبه مونجورانسى واضرا به من اولى الشوكة والصولة

(سنة ١٥٤٢)

مطلب

تجهيزه خمسة جيوش

تجهز خمسة جيوش احدها اعده للهجوم على اقليم لوكسبرغ وكان رئيسه ابنه الدوق دورليان وبمعيته الدوق دولورينه وكان مأمورا بأرشاده في فن الحرب وثانيها كان رئيسه ابنه الدوقين اى ولى العهد وامره بالتوجه الى ضواحي اسبانيا وثالثها توجه الى اقليم برابطة وكان رئيسه مارشال غويلدره المسى واترومان ~~وكان~~ معظمه من عساكر اقليم كليوس ورابعها كان رئيسه الدوق دوواندوم وامره بالتوجه الى اقليم قلندرة وخامسها جمعه من العساكر التي كانت مقببة باقليم بيون وكان رئيسه الاميرال آوبوت (اى قيودان باشا) وهذا الترتيب كان تراءى أن الدوقين واخاه قد قفحت لهما ابواب الفتوحات والفخر وكان جيش الدوقين يبلغ اربعين الفا وجيش اخيه الدوق دورليان يبلغ ثلاثين الفا ومن العجيب أن الملك فرنسيس مع هذه الجيوش العديدة لم يجمع على دوقية ميلان مع أنها كانت غرضه من مشروعاته وحروبها منذ مدة طويلة ~~ولكن~~ كنه كان لم يزل متذكرا لما حل به فيها من مصائب حروبه السابقة ونكباتها وكان ايضا يرى انه يصعب

(المقالة السابعة)

(بتاريخ الايام اطور شرلكان)

١٦٣

(سنة ١٥٤٢)

عليه الحرب فيها بعدها عن بلاده فتقرت همته عن التصدي اليها ورأى انه يشق عليه النزول في بلاد ايطاليا وانه يجب عليه تحويل قواه الى جهة اخرى يمكنه القتال بها وبما كان لا يوجد في ضواحي اسبانيا من المدائن التي تقدر على المعاونة والمقاومة الا القليل وكان لا يوجد في تلك الجهة جيش يصده ويردّه طمع في الظفر بمرامه قبل أن يلحقه الايام اطور بعساكره وانه يستولى على قوتية روسيلون التي كان قد تغلب عليها شرلكان منته قليل ونزعها من مملكة فرانسوا واما حربه في مملكة البلاد الواطية فكانت له اسباب ايضا منها انه كان يجب عليه اعانة حليفه دوق كليوس ومنها انه كان يؤمل بتلك الواسطة أن ينضم الى حربه مقدار جسم من العساكر الالمانية

شهر حزيران
حرب الجيوش
المتقدمة

وقد بدأ الدوفين واخوه الدوق دورليان الحرب في آن واحد تقريبا اما الاول فوضع الحصار امام مدينة برينيان قاعدة اقليم روسيلون والثاني دخل اقليم لوكسمبرغ ونجح فيه كل الصباح فكان كلما سلكه مدينة تسلمه الاخرى حتى انه بعد مدة قليلة لم يبق للايام اطور بهذا الاقليم الكبير الا مدينة واحدة وهي مدينة تيموفيل ولو اغار الدوق المذكور على الاقاليم التي يجوار اقليم لوكسمبرغ لما امكها المقاومة بل كان يظفر بها كما ظفر بالاقليم لذلك كورال انه شاع على ألسنة الناس أن الايام اطور قد استعجز لطراد الدوفين عن مدينة برينيان قتل الدوق دورليان حالا بجمع قوتحاته وبادر بالتوجه الى اقليم روسيلون ليقتسم بفار النصر مع اخيه ولعل الذي دعاه الى ذلك هو حجة الشياطين الخالية عن الحزم والتبصر او هو غيرته من اخيه الدوفين وبغضه لم تطلق نفسه أن يتركه يختص بفنار الحرب مع الايام اطور

وبعد سفره تشتت بعض العساكر وهرب البعض وقتر حمة الباقي فلم يمكنه المقاومة وهذا السلوك الدال على ضعف عقل هذا الدوق اوعلى ضعف جناته اوعلى ما عاينته آماله بعد أن فرح بالنصرة في اول غزواته وامكن لعدوه

(سنة ١٥٤٢م)

أن يترجع قبل اقتضاء فصل الصيف ما كان اخذ منه وكان الاميراطور
سيد الراى سالكماسك الحزم لا يرضى أن يحاطر نفسه في الحرب على ضواحي
اسبانيا لانهم بما انهم وصارت تلك المملكة عرضة للاخطار فلما حصل
الهجوم على مدينة برينيان وصيكت غير حصينة تقاوم مع ذلك حق
المقاومة وكان الاميرال دورية قدملا هانا زاد والمهات الحربية وكان بها
الدوق دالبه وكان يابس الطبع عنيدا له اقتدار على المقاومة في الحصار
ولولفت الشدة متتهاها فدافع عن هذه المدينة مع العزم التام حتى قوت همه
القرنساوية وتناقصوا بالامراض التي حلت بهم وادركهم التعب من هجوم
الاعداء عليهم المرة بعد المرة مع شدة العزم وقوة البأس ودخلهم اليأس
واقنوط فرغوا الحصار بعد أن مكثوا ثلاثة اشهر وهم يكابدون من المشاق
ما تنقص عنه الصابة ثم توجهوا الى مملكتهم ومع هذه العساكر الكثيرة
والتجهيزات الكبيرة التي استعنتها الملك فرنسيس لم يحصل لهما كان يؤمله
من القوائد الجلييلة ولما كان اهل اوروا يترقبون حصوله ولا يدري
هل سبب عدم طفره بتقصوده هو عدم حسن سلوكه او كونه دون الاميراطور
في الشوكة والحزم فكان ما حصله في هذا الحرب منصرفا في بعض مدائن
تقلب عليها من اقليم يعون وقد اخذها الامير دويلى فميا بعد بالحيلة
والتدبير لا بقوة والحرب ..

(سنة ١٥٤٣م)

تجهيزات الحرب جديد

ومع أن كلا من الاميراطور وملك فرنسا كان قد دمر قوى الاسخر في تلك
الحروب التي لا طائل تحتها كانت البغضاء والعداوة بينهما لم تزل باقية على شدتها
الاصلية فبدل كل منهما جهده بعد ذلك في اتخاذ حلفاء يستعين بهم على عدوه
في حرب جديد كما قد صمما عليه فاما الاميراطور شربكان فكان قد تمكن
من قلوب رعاياه الفزع والرعب لما شاهدوه من اغارة القرنساوية بغتة على
بلادهم فاستهز تلك القرصنة وطلب المدد والاعانة من مشورة القورطس
فامتته بامدادات اكثر من المعتادة واقترض ايضا مبلغا جسيما من جينا ملك
البورغال وورهن عنده في نظير هذا المبلغ جزائي مولوك جهة الهند

وترك له تجارة البهارات النفيسة التي كانت تخرج من هذه الجزائر ولم يتصر على هذا الاستعسار بل تزوج ابنته فيليبس ولم يكن له غيره وكان عمره ست عشرة سنة بالاميرة مارية بنت الملك حنا المذكور فجهزها بجيهاز عظيم وكان اغنى ملوك الافرنج آنذا ثم التمس مثل كان بعد ذلك من مشورة القورطس بمملكة اراغون ومملكة والنسة أن تزواجه فيليبس على أن يكون ولي عهده في هاتين المملكتين واخذ من القورطس ما جرت العادة بيده في مثل هذه الصورة فامكنه تلك الامدادات أن يزيد في جيوش اسبانيا ويكثرها حتى اخذ منها طائفة كبيرة بعثها الى بلاد المملكة الواطية وكان في الباقي كفاية للقيام بالدفاع عن بلاد اسبانيا وبعد أن رتب في اسبانيا ما يكون به امنا واطمئنتانها جعل زمان الحكم يد ابنه فيليبس وتوجه الى المانيا من طريق ايطاليا ولم يخذعه حيل البابا ولا ما ابداه اليه من اغراضه مع أنه كان يسعى في تحصيل مبالغ جسيمة لتعينه على الحرب الكبير الذي عزم عليه وذلك أن البابا لما كان يعلم حاجته وكان يترب كل فرصة تعينه على ترقية عائلته طلب منه أن يعطى حكم دوقية ميلان الى حفيده او كذوة الذي هو صهر الإمبراطور كما تقدم واراد أن يرغبه في ذلك بيذل مبلغ جسيم يكفيه في مصاريف الحرب فابى الإمبراطور أن يبيع هذه الدوقية الطيفة لاسبانيا وكان حاقدا على البابا حيث ابى عدة مرات أن ينضم الى حربه لقتال الملك فرانسوا فلم يجبه الى ما طلب ولم يمكنه من الدوقية المذكورة بل اراد معارضته في فرض آخر وهو أن البابا كان يريد فصل اقليم برمه واقليم بلينزة من اراضي الكنيسة ويعطى احدهما لابنه والاخر لحفيده على حيل كونهما التراما بعا للكنيسة فلما لم ينق للإمبراطور بعد ذلك وسيلة يحصل بها اموالا من بلاد ايطاليا امره باخراج المحافظين الذين كانوا باقعة فلورنسة وقلعة ليبورنة (ليغرنه) فعند ذلك الهدى اليه الامير كودوميديس هدية جليلة حيث صار بعد ترويح المحافظين من القلعتين المذكورتين مستقلا بنفسه ومستهدا بالحكم عليهما كانتا سميان مقلد اقليم طوسكانة ولا شك أنهما

(سنة ١٥٤٣)

مطلب
مداولة الاميراطور
مع هنري الثامن ملك
انكلترة

مطلب
خضام هنري مع
ملكة فرانس وملكة
ايقوسيا

جدير تان بهذه السمية
وله كان مقاصد شر لكان آخذة في الازدياد والاتساع لاسيما بعد
أن تعاهد مع الملك هنري الثامن ملك انكلترة على أنهما يهجمان معاً على
بلاد فرانس وكانت هذه المعاهدة بالشبهة اليه اعظم فائدة وأتم نفعاً من جميع
ما جهزه واستعده العرب وكان ملك انكلترة قد سم من معاهدة فرنسيس
لنمازعات صغيرة وقعت بينهما وقد تقدم ذكرها فلما طرأت عوارض جديدة
انفصل هنري بالكلية عن ملك فرانس وذلك أن هنري المذكور
كما كان يبذل جهده في نشر الدين الجديد يلاذ انكلترة كانت له رغبة تامة
في أن يجعل له اتباعاً يتسكون بأرائه وعقائده فصمم على حث ياكس ملك
ايقوسيا وكان من آثاره على الخروج عن طاعة البابا واتباع المذاهب الجديدة
التي ادخلها في مملكته انكلترة وكان ياكس المذكور لا اعتناء له بشأن
الدين ففرض عليه هنري امورا مفيدة جداً بحيث كان يجزم بأنه يرضاها
ولا يردّها متفقاً لها منه بالقبول لكن لما كان قسوس ايقوسيا يعلمون
أن الشام ملكهم مع ملك انكلترة يضرب دين الكنيسة الرومانية ضرراً عظيماً
وخشوا ايضاً احباب فرانس واحزابها أن يضع تأييد هذه المملكة في مصالح
ايقوسيا وتقطع مدخلاتها فيا فاضم هؤلاء الاحزاب الى حزب القسوس
وصلحوا ممالك الحيلة والديسائس حتى افسدوا على ملك انكلترة ما كان دبره
وكان يمكن من الشدة والعناد فلم تطق قصه مثل هذا الامر ونسبه الى خداع
فرنسيس وطيح ياكس وخفته وهم يحصل السلاح لينزع من ياكس
مملكته لكونه لا يحفظ عهده ولا يرضى ميثاقاً وجهه الفيت من ملك فرانس
على أن يأخذ في التفاوضة مع الاميراطور فعمّا قبل عقد معه معاهدة الأمان قبل
بها وانها ما هي في اثناء محاربة ملك انكلترة لمملكة ايقوسيا وان ملكها
ياكس الخامس ولم يعقب الاغتصاب صغيرة لم تبلغ سن الرشد وهي الاميرة مارية
فانتقل اليها تاج المملكة بطريق الوراثة عن ابيها وبهذه الحادثة تغيرت
مقاصد هنري في شأن تلك المملكة وعمل عن قصد الاستيلاء عليها بطريق

(سنة ١٥٤٣)

التيهرو والغلبة لكونه رأى أن الاصوب والاسهل أن يضعها الى مملكته بتفويض تلك الاميرة لابنه ايدوارد ولم يكن له سواء ولكن كان يخشى أن لا يسلم له في ذلك حزب الفرنساوية الذي كان يملكه ايجوسيا لأن هذا الحزب كان قد اخذ يوقع من الناس والفن ما يفسد عليه آماله ويطل اغراضه فكان يرى أنه يلزمه تدمير هذا الحزب ومنع فرنسيس من اعاقته وامداده فلم يزل ذلك وسيلة الاتصاف اليهود التي كانت بينه وبين فرنسيس وتجدد معاهدة مع الإمبراطور وفادرا الى بت المعاهدة التي كان قد بدأ المداولة في شأنها مع الإمبراطور وصار الاثنان من وقتئذ على قلب رجل واحد

١١ من شهر شباط

مطلب

المعاهدة المنعقدة

بين الإمبراطور

شرلكان وهنري

ملك انكلترة

وكان أقل شرط من شروط هذه المعاهدة التي هي اولى بأن تسمى عصبة يتعلق بإيقاع الاتحاد والالتزام بين الإمبراطور والملك هنري وبمداخلة من بعضهما وبهذا الشرط ذكر فيها ما ينبغي لكل واحد منهما أن يطلبه من فرانس وما ينبغي لهما فعله إذا أبى فرنسيس ارضاء خاطرهما واجابتهما بالمطالبة وبالجملة فانحط الرأي بينهما على أن يلزمه بتقضى معاهدته مع الدولة العثمانية لما ترتب عليها من الضرر لبلل التصراية ويدفع اشياء لاصلاح ما فسدته هذه المعاهدة التي تأبأها القوانين التصراية وجبر ما ترتب عليها من الخلل وأن يرّد دوقية برغونيا الى الإمبراطور ويقلع عن الحرب حالاً حتى يتمكن الإمبراطور من توجيه قواه وعساكره الى اعداء ابناء التصراية وأن يدفع عاجلاً المبالغ التي كانت قد ذمت له ملك انكلترة او يعطيه بعض مدن تبقى معه رهناً على هذا الدين حتى يؤديه اليه فان لم يوف بهذه الشروط في ظرف اربعين يوماً وجب على كل من الإمبراطور وملك انكلترة أن يشن الغارة على مملكة فرانس مع عشرين الفا من المشاة وخمسة آلاف من الخيالة وتعاهدا معاً على أن لا يرجعا عن الحرب الا اذا اخذ الإمبراطور دوقية برغونيا ومدائن نهر السوم واخذ ملك انكلترة بلاد نورمنديا وبلاد غيانة بل ومملكة فرانس بتمامها وبغارسل الى مملكة فرانس لتبليغ تلك الامور فلم يؤذن لهم بالدخول في هذه المملكة ومع ذلك ظن

(سنة ١٥٤٣)

مطلب
مدأولة الملك فرنسيس
مع السلطان سليمان

الاميراطور والملك هنرى أن لهما الحق في اجراء ما وقع عليه الاتفاق بينهما
واما الملك فرنسيس فلم يكن دونهما في الاجتهاد والسعي في التجهيزات
اللازمة لهذا الحرب وكان قد ادركه قبل ذلك بمدة طويلة أن الملك هنرى
في حقد شديد منه فبذل جهده في استمالته وارضاء خاطرهم فلم يجد ذلك ففعا
فايقن بموجب ما كان يعهد في طبعه أن مكنونه سيقبضه عداوة كبيرة فعذل
عنه وقصد السلطان سليمان ليتمه بامداد كاف بحيث يمكنه مقاومة
الاميراطور والملك هنرى • فاقضى الحال تعويض الرسولين الذين قتلهما
الامير دوغواست فاقضى فرنسيس عوضا عنهما ضابطا من يوفياشية
القراية يقال له بولان وارسله ليذهب الى مدينة البنادقة ومنها الى مدينة
القسنطينية وانما عينه فرنسيس لهذه لوطيفة المهمة ورأى صالحا لها
بناء على ما ذكره الامير دويلى في شأنه من أنه اختبر معارفه ونباهته
في عدة مداولات ومذاكرات فلم ينجب بولان ظن الناس فيه ولم تقه اخطار
الطريق ومشاقها بل ما زال سائرا حتى وصل الى القسنطينية وبجهد
وصوله اليها لم يطلب ما هو مبعوث بصدده وعرف أن يتهز كل ما لاح له من
الفرص المساعدة حتى ازال جميع الموانع التي كان يتعلل بها السلطان بل اغرم
جميع الباشات الذين كانوا يناقضون في صحة معاهدة الدولة العثمانية مع الدولة
الفرنساوية امالان رأيهم كان كذلك في الواقع وقص الامر اولان رسل
الاميراطور كانوا قد استولوا على عقولهم وحشواهم على عدم الرضاء بتلك
المعاهدة • فصدرا من السلطان إلى بربروس أن يجهد ونفا كبيرة ويقبل
كايضعل الملك فرنسيس ولكن لم ينجح فرنسيس في ذلك ايضا مع بعض
امراء الاميراطورية الالمانية وذلك انه قصد اظهار الغيرة على الدين القاتوليقي
حق يزيل ما اطلع في عقول الناس من الاوهام والظنون بسبب معاهدته مع
المسلمين الذين هم اعداء دين النصرانية رأى انه يلزمه مقاومة جميع من عدل من
رعاءه عن دين الكنييسة وتمسك بالدين الجديد اشتد العقاب فلم يرتب على ذلك

(سنة ١٥٤٣)

الابغضه عندهم المانيا الذين كانوا يميلون بالطبع الى اعانه بل وكانت
مصلحتهم تازمهم بذلك هذا وكان له من به عظيمة اختص بهادون الاميراطور وهي
اتصال دوله ببعضها وكانت دائرة شوكته بفرانسيا واسعة فكفاه ذلك عروض
التعطيل والعوائق التي لابتة من وجودها بين اناس كرايا الاميراطور يدفعون
مصاريف الحرب بامدادات وقفية واعانات حالية تجمع بموجب اقراراد واورن
ومشارور تكون غالب القليلة واهية فلذا كان فرنسيس في الاستعداد والتجهيز
اسرع من الاميراطور فان تجهيزاته كانت بطيئة متراخية مالم تحصل له اعانة
اجنبية او تظرف له امور غير المعتادة فتسقطه من الحيرة والخطر
ثم ان فرنسيس وجه سائر قواه الى مملكة البلاد الواطية ونصب بهاميدان
الحرب قبل ان يصل اليها الاميراطور فتغلب على مدينة لندريسى واعتفى
كل الاعناء بتحصينها لانها كانت مفتاح اقليم هينوت ثم ارتحل منها واخذ
في السير ميمنة حتى دخل دوقية لوكسبرغ فوجد ها غير محصنة كما كانت
في السنة الماضية ولكن كان الاميراطور قد جمع من محالكة جيشا واقض به على
اراضى دوق كليوس وكان قد اقسام انه ينتقم من هذا الدوق حتى يكون عبرة
لغيره فلحق الدوق المذكور بالحق الامير روبرت دولامرك في الحرب
الذى وقع قبل ذلك بين الاميراطور والمك فرنسيس وذلك انه لم يكن عنده
من العساكر من يكفى لمقاومة عساكر الاميراطور الذين كان يبلغ عددهم اربعة
واربعين الفا فهم بالقرار عند قرب جنود الاميراطور من بلادهم فبادرت العساكر
الاميراطورية الى حصار مدينة دوران فابدى من بها من المحاطين العجب
العجاب في المداخنة عنها ومع ذلك اخذت عنوة وقتل جميع اهلها وهدمت منازلها
وصار عليها اساقفا ففرع من هذه القسوة جميع ما حولها من الدائن ودخلها
الزعب وانلوف فارسلت مفاتيحها الى الاميراطور بل اضطر دوق كليوس
الى ارتكاب ما يري به ويذنب عوضه وذلك انه لما لم يحصنه ملك فرنسا بمدد
يستعين به ذهب الى الاميراطور واستأذن في الدخول عنده فلما مثل بين يديه
ختر باساعلى ركبتيه هو وغمانية من اعيان جماعته وطلبوا منه الصنع والعفو

مطلب
بد الحرب في مملكة
البلاد الواطية

مطلب
تغلب الاميراطور
على دوقية كليوس

تركه الايمبراطور على هذه الحالة ذليلا حقيرا ونظر اليه بعين التكبّر والتخيم والعنفوان واحال امره على وزرائه فاشتروا عليه شروطا لم تكن في الصعوبة بقدر ما كان يتوقعه لما رآه من حقد الايمبراطور حين وقف بين يديه موقف الذل والهنوان وذلك أنه الزم بترك دعواه في شأن دولته عجز يلدوه وبتقضى معاهدته مع ملك فرانسا وملك دالميرقة وأن يتعاهد مع الايمبراطور ومع ملك الرومانيين وردت اليه جميع دوله الوراثية على هذه الشروط الامديتين اياهما شر لكان وهنا عنده حتى تنقضي مدة الحرب ثم ردت اليه فيما بعد جميع مزاياه السابقة بوصف كونه من امراء الايمبراطورية الالمانية وبعد ذلك بمدة قليلة تزوجه الايمبراطور احدى بنات اخيه فرديناند ملك الرومانيين لاجل تأكيد الصلح معه

وبعد معاينة دوق كليوس على هذا الوجه الذي ترتب عليه حرمان فرنسيس من احد حلفائه واستيلاء الايمبراطور على اقليم عظيم متصل بمملكة البلاد الوالطية جال شر لكان في اقليم هينوت ووضع الحصار أمام مدينة لنديسي واتاه هناك طائفة من عساكر الانكليز فيما سته آلاف رجل وكان رئيسها الامير حنا والوب وكان ذلك اول غمرة حصلت له من معاهدته مع ملك انكلترة ولا يمكن ان محاطت تلك المدينة كلهم رجالا قد شبوا في العسكرية وشابوا وتهادم عهدهم في ذلك وكان رئيسهم الماهر لالندة والشجاع ديسة وكان كل منهما بمكان من الشهرة والمهارة صاومت تلك المدينة حتى المقاومة حتى اسعها فرنسيس بالاعانة وحضر بها مع جميع عساكره وكان الايمبراطور لم يزل محاصرا لها وكان كل من الايمبراطور والملك فرنسيس مصمما على المخاطرة بنفسه في هذه الواقعة كما كانت بلاد اوروبا تظن أن هذه الواقعة تكون آخر مغامراتهما معا وكانت متشوقة الى معرفة عاقبتها حيث انها بين جيشين كبيرين محكومين بملكين خطيرين الآن ما كان بين المسكرين من المسافة كان يقضى بالوبال على من يمدأ منهما بالهجوم فلم يرد كل منهما أن يلقي بنفسه الى التهلكة وانما في اثناء الحركات التي كان يفضلها

(سنة ١٥٤٣)

كل منهما الموقع عدوه في الشرك اوبسلم منه ملك فرنسيس مسلح الخرم والاصابة حتى امكنه أن يدخل في المدينة عساكر جديدة مع مقدار جسيم من الذخائر وازاد عند ذلك ينس الامبراطور من الصباح وعطل الحركة وازم منازل الضمائم على عساكره من مضطرها هذا الفصل فانه ربما كان يترتب على بقاءه في الحصار دمار جيشه وهلاكه عن آخره

ولما كان السلطان سليمان محاطا على ما انعقدت عليه المعاهدة بينه وبين ملك فرنسا دخل بلاد البحار بجيش جزار وكان امراء الامبراطورية الالمانية يرون أن شرلكان يمل في حفظ تلك البلاد ولا يلتفت الا الى الحرب مع الملك فرنسيس فلم يذلوهاهم في المدافعة عنها فلما لم يجدوها السلطان من يقاومه ويصدده فحاصره بالتعاقب مدينة فتعكرش السعاة بالتركية بشكليس (اي الكائس الخمس) ومدينة ألبه ومدينة غران وكانت هذه المدائن الثلاثة اعظم بلاد البحار وكانت للملك فردنند فاما الاولى فأخذت عنوة واما الاثنتان الاخيرتان فكان اخذهما بالرضى والتسليم وقتت جنود الاسلام سائر بلاد البحار وفي قصور هذا الزمن جهز بربروس دونما تبلغ مائة وعشرين السفن السعاة بالغريان وسار بها محاذيا سواحل كلابرة حتى نزل في مدينة رنجيو قتل اهلها وحرقها ثم تقدم جهة مصب نهر التبر ووقف هناك ليقود من الماء وكان اهل رومة يجهلون التصدم من هذه الدونما فدخلهم القزع والرعب وبادروا بالقرار ولولا بولان رسول فرنسا قوى قلوبهم بما كان معه من المكاييب المتضمنة أن كل دولة او بلدة متعاهدة مع ملك فرنسا لا تخشى اساءة ولا ظلم من طرف الدولة العثمانية لتركوا وطنهم ودخلت المدينة عن السكان ثم ترك بربروس مدينة اوسنيا واطلع الى مدينة مي سيليا ولحقته هناك الدونما الفرنسية وفيها طائفة من العساكر رئيسها القوتس دانغيان وكان شابا شجاعا من العشيرة البوربونيه ثم توجهت سفن الفرنسية وسفن السلطان معاً الى مدينة نيسه وكان دوق ساووة ملتجئاً بها حيث لم يبق له سواها من بلاده ودوله فكان مما يري مجرمة

مطلب

دخول السلطان سليمان في مملكة البحار

مطلب

نزول بربروس على بلاد ايطاليا

١ من شهر اب

الملل النصرانية ما حصل في هذه الواقعة حيث شوهدت بنديرة القرنساوية منقعة الى الاية الاسلامية لحصار مدينة كانت عليها صورة الصليب في بنديرة دوق ساووة ومع ذلك دافعت المدينة عن نفسها هذين الجيشين بهما الشهير موتفورت احد امراء دوقية ساووة حيث ثبت هذا الامير في الهجوم العارم الذي وقع من الاعداء على المدينة من سائر جهاتها وقتل منهم عددا عظيما قبل أن يلتقي الى القلعة ثم تحصن في تلك القلعة وكانت على حفرة ولم يكن العدو قد خدشها بالدافع ولا بالرمي ومكث موتفورت بها زمنا طويلا حتى دنا منه الامير دورية بسفنه الحربية وانه الملتزم ودغواست من دوقية ميلان بطائفة من العساكر فبجبر ما بلغ القرنساوية والأتراك قدوم هذا المدد دفعوا الحصار ولم يستفد ملك فرنسا شيئا الا انزوى والمعزة بمعاذته مع دولة الاسلام

٨ من شهر ايلول

مطلب
تجهيزات حرب جديد

واذا التفت الى قلة نجاح كل من الفريقين في هذه الواقعة رأيت أن الحرب لا بد أن تطول مدته بين الاميراطور والملك فرنسيس لان قواهما كان فيها نوع من التعادل والتكافؤ وكانا يجارهما مقتدرين على اقتراح وسائل ووسائل لا تنفذ ولا تقضى فكان من الجائز أن كلا منهما يحزب دونه وعملاته قبل أن يفتح بلاد خصمه ولولم يلتفت الا الى مصلحتهما الى حسن الإدارة والسياسة لتتبع الصلح وتسايقا اليه الآن قد هما لبعضهما كان شديدا متمكنا من قلوبهما فكان يغلب على غيره وكان كل منهما يبحث عن اضرار الآخر اكثر من بحثه عن نفع نفسه فبجبر أن الجاهما فصل الشتاء وشدة البرد الى تعليق الحرب اخذوا يجهزان امور الحرب الاتى مع الحية وبذل الجهد وكان يزداد ذلك بازدياد الخد والبغضاء ولم يلتفتا الى تضرع البابا وحته لهما على البقاء على عهد الصلح اما الاميراطور شرلكان فسي اتولا في استمالة امراء الاميراطورية الالمانية وفي تقيراهالها من الملك فرنسيس ولم يكن لاجل معرفة ما دبره في هذا الشأن يلزم أن نذكر تاريخ المانيا منذ انعقاد مشورة الديتة بمدينة وانسبون سنة ١٥٤١

مطلب
مصالح المانيا

مقول

انه في نحو زمن الاحتلال مشورة المدينة من تلك المدينة خفف الامير
موريس اباه هنري في حكومة جزء من بلاد سكس مكان ينسب
الى القرع البرطاني من عائلة الامراء منتقبي سكس وكان هذا الامير شابا
لم يبلغ من العمر الا عشرين سنة ومع ذلك كان يظهر من اتساع دائرته في المعارف
انه سيكون له دخل كبير في مصالح المانيا فمجرد اخذه بزمام الحكومة
استنكف ان يسلك الطرق المعتادة وبدأ في سلوك طرق تدل على عظم مقاصده
وكان بموجب تربيته واصول تعليمه يميل كل الميل الى الدين المعتزلة ومع ذلك
ابى ان يدخل في عصبة سمالكالده فكان يقول انما يريد تأييد صفوفه الدين
وخالص الملة ولا تعرض الى المشاجرات السياسية ولا الى الفتن والتعصبات
التي تنشأ عن الدين وذلك انه كان قد ادرك ما يحصل من التفاهم والشقاق بين
الاميراطور والامراء المعتزلة المتعاهدين وادرك ان الغلبة تكون للايميراطور
عليهم فلما يظهر ما يوجب استقوان الاميراطوره وعدم الوثوق به كسائر
المعتزلة بل اظهر الوثوق به والركون اليه فكان يداهنه ولا يغفل عن المداولة معه
فقد ادى المعتزلة في سنة ١٥٤٢ ان يعطوا الملك فردينند ما يلزمه
من المدد والاعانة في المداخلة عن بلاد المجر او انهم امدوه بشئ قليل مع
غاية الصعوبة والوقوف الكلي واما الامير موريس فانضم الى حربه وامتاز
فيه بالهمة والشجاعة وفي اول مرة من حرب الاميراطور اتي اليه هذا الامير
بطاقته من عساكره وكان جميل الصورة حسن المنظر ذات شاطئ عجيب وخفة
غريسة في الحركات العسكرية وكان صاحب جرأة وجسارة يقتحم الاخطار
ولا يكترب بالاهوال وكان يحسن مداخلة الاميراطور فأجبه حبا جواريا وكان
ياخذ بجميع لب الاميراطور بهذا السلوك الذي كان يستغربه المعتزلة
ويتعجبون منه كان يظهر عليه الغيرة من عه للامير منتقبي سكس
وقد اضررت تلك الغيرة فيما بعد بعمه الملك كوروا ووجبت الشقاق بينهما وذلك
انه مجرد داخل الامير موريس بزمام الحكم وقع النزاع بينه وبين عمه لعله

(سنة ١٥٤٣)

مطلب

حكم الامير موريس

دوق سكس بعد

موت ابيه

مطلب

مقاصد هذا الامير

وسلوكه

(سنة ١٥٤٣)

مطلبسبر

عرض البابا والحامه
عقد مشورة قسيسية
عامة في مدينة ترنته

واهيته وهي أن كلا منهما كان يدعى أن له الحق في حكم مدينة صغيرة على شواطئ
نهر ريفدان فيها بالمقاتلة ولم يمنعهما عن ذلك الا توسط حاكم هبسة
وسعى لتوفير بينهما
هنا وكان البابا في خنق شديد من اعانة الايمبراطور للمعتزلة ومما رخصه لهم
في مشورة الديانة التي انعقدت بمدينة راتسبونة ومع ذلك الخ عليه بعقد
مشورة قسيسية اربابها من احزاب دين الكنيسة اومن اناس يستخفونهم
الايمبراطور ولا يتفقهم الملاحظ شديد حتى رأى أنه لا يسوغ له تأخير تلك المشورة
وبقدر ما حصل من التوقف في عقدها كان الناس متشوقين الى معرفة
ما يحكم به اربابها فلما رأى البابا أنه لا بد من انعقادها اخذ يدير امره حتى يكون
رئيسها وتكون كلمته هي السائدة بها فكان اول ما تعلق به أمره هو أن يجعل
محل انعقادها بمدينة من مدائن ايطاليا حسبا كان مصمما عليه أولا
لأن انعقاد المشورة بأحدى مدائن ايطاليا التي هي مملكته يترتب عليه
أن اربابها من القسوس يكونون في قبضته فيمكنه استمالتهم الى رأيه وقبض
عليه المؤونة أكثر مما إذا انعقدت بمدينة اجنبية فبناء على ذلك امر وكيله
الذي كان بمشورة الديانة في مدينة سبيرة سنة ١٥٤٢ أن يعرض
أن يكون انعقاد المشورة القسيسية بمدينة من بلاد ايطاليا فان ابى ذلك اهل
المانيا كما فعلوا سابقا كان انعقادها في مدينة ترنته باقليم تيرول وكانت
هذه المدينة في حكم ملك الرومانيين وهي على اطراف ايطاليا والمانيا
• وبعد أن عرض الامراء القساوة ليقبون على مشورة الديانة أن بمدينة
راتسبونة او مدينة كولونيا او غيرها من المدائن الكبيرة في الايمبراطورية
هي الاولى بعقد المشورة القسيسية فيها واكثر فائدة للفرقتين انمط رأبهم على
أن يكون انعقادها بمدينة ترنته حسبا طلب البابا واما المعتزلة
فلم يرضوا بهذا الرأي وابوه أنهم لا يقررون هذه المشورة اذا هي انعقدت خارج
ارض الايمبراطورية بأمر البابا وكان هو الرئيس عليها
ولكن لم يبال البابا بولس بمخالفة المعتزلة بل صدر منه فرمان بعقد المشورة

٢٢ من شهر ايار
سنة ١٥٤٢

(سنة ١٥٤٣)

مطلب
طلب البابا انعقاد
مشورة قيسية
وصدور فرمان
منه في هذا الشأن

وعين ثلاثة من الكرادلة يحضرون بها على ميل النيابة عنه وأمرهم
أن يذهبوا الى مدينة ترنتة قبل مستهل شهر تشرين الثاني الذي عين
أول يوم منه لاقتراح المشورة المذكورة ولكنه لو كان يريد عقد المشورة
بخلوص نية وطيب سريرة كما كان يزعم لما طلب عقدها في وقت غير صالح لها
فان عقول الناس اذ ذاك كانت مختلقة واراؤهم مضطربة ولم يكن بينهم من
الاتلاف والهدم ما يلزم في قبول ما يحكم به في المذاكرت وزيادة على ذلك كان
بين الامبراطور وملك فرنسا حرب مهول فلم يسع لقسوس معظم بلاد
الاخرى حضور المشورة بمدينة ترنتة فكث وكلاء البابا بهذه المدينة عدة
اشهر ولم يحضر اليهم احد سوى بعض قسوس من دول البابا فند ذلك دعا
وكلاءه الى المقصور لديه وأمر عقد المشورة القيسية لوقت آخر خوفا من
استهزاء اعداء الكنيسة به وضربتهم منه ولسوء حظ ديوان رومة
حصل انه بينما كان المعتزلة يفتخون كل فرصة تعينهم على الفتك بشوكة رأى
الامبراطور وملك الرومانيين أن مهلتهم تقتضى أن لا يظلموا حزب المعتزلة
بل تستدعى البص عن استمالتهم بأمر جديدة ترضى خاطرهم حتى ان فردت
ملك الرومانيين لما خالف المعتزلة بشورة الديينة في مدينة سبيره فيها
طلبه البابا من عقد المشورة القيسية بمدينة ترنتة اعانهم على ذلك وأيد
قولهم لاحتياجه اليهم في اعانته على المدافعة عن بلاد الجمار فاذن أن تكتب
صورة مخالفتهم في دفاتر مشورة الديينة المذكورة وايدهم باضافي المزايالى التي
انقصوا بها في مشورة الديينة التي انعقدت بمدينة راتسبون و اضاف
اليها مزايا اخرى جديدة حتى صار المعتزلة آمنين لا يخشون بأسا ولا يخافون بطشا
فكان مما القههم به أنه علق اجراء فرمان كان مدر من الديوان الامبراطورى
يتضمن الاضرار بمدينة غوسلاره في تطبيق كونها انضمت الى عصابة
المعتزلة المسعاة عصابة سمالكالد وقبضت على ايراد القسوس في اراضيها
والترامانها ولم تصرفه اليهم فصدر الى الامير هنرى دوق برونويك امر بعدم
اجراء هذا فرمان ولكن كان هذا الامير صاحب بدع واهوام وكان من احزاب

مطلب
اضطرار البابا الى
تأخير المشورة

مطلب
اجتهاد الامبراطور
في استعمال الحرب
المعتزلة

(سنة ١٥٤٣)

مطلب

حادثة صعبة حصلت
من عصبة جمال كالد

الكنيسة القانولية وصحكان عنيد ابستكف العدول عما هم عليه وشرع
فيه فلم يعأ بالامر الذي صدر له بعدم العمل بمقتضى فرمان ولم يزل يشن الغارة
على اراضي مدينة غوسلاره فلم يستطع الامير منتخب سكس ولا حاكم
هيسه أن يحصل مثل هذه الاساءة ولاعضاء عصبة المعتزلة لجمع اقوامها
وعساكرها ودعوا الامير هنرى المذكور الى القتال لجزءه في طرف
بعض اسايح عن دوله وارضيه حتى اضطر الى الاتجاء عند حاكم باويرة فترتب
على هذه الحادثة الناشئة عن الجبر والقسوة التي كانت الغرض منها الانتقام
أن ارتعدت فرائص اهل المانيا وظهر أن ارباب عصبة جمال كالد لهم
اقتدار على حمايتهم وتعاضد معهم وانضم الى حزبهم

فلما قويت طلوب ارباب عصبة جمال كالد بمثل هذه المزايا الكبيرة وبتوسع
دائرة دينهم وتجدد شوكتهم الدينية تجدد الايام تطلو امن الديوان الايمراطورى
وابوا أن يقرروا احكامه واوامره متعلين بأن هذا الديوان لم يرتب على صورة
مستحسنة حسب الامر الصادر من مشورة الديانة المعتقدة فى راتسبونة
وبأن له اغراضا فاحشة فى جميع احكامه وعما قيل فعلوا ما هو اعظم من ذلك
حيث تجاسروا على مخالفة امر الديانة التى انعقدت بمدينة نورمبرغ
لاجل المذاكرة فى شأن المدافعة عن بلاد المجر ابوا أن يذخروا ما خصهم
لهذا الغرض فالتين انهم لا يعطون مددا لابعاد ابطال الديوان الايمراطورى

فى ٢٣ من شهر نيسان
(سنة ١٥٤٣)

مطلب

انقضاء الديانة بمدينة
سيرة سنة ١٥٤٤

واعطاءهم الامن الكلى فى جميع ما يتعلق بالدين
فهذا كانت حالة المعتزلة فى الشوكة والاحتراس حين رجع الايمراطور
من ملكة البلاد الواطية واراد عقد الديانة التى كان طلب انعقادها
بمدينة سيرة ولهبة الايمراطور أهمية المصالح التى كان المراد بتبناها وانها
كثر ارباب تلك المشورة كثره بالغة حيث حضر جميع المنتخبين وكثير من
وجوه القسوس وغيرهم وجميع رسل المدن والعمالان ورأى الايمراطور أنه
لا ينبغي له فى مثل ذلك الوقت أن يغضب المعتزلة بتأييد ملادين الكنيسة أو بخدش
شئ من الزايا التى كانوا يتمتعون بها بل أنه يجب عليه مدااهنتهم لينال منهم بعض

(سنة ١٥٤٣)

مطلب
طلب الإمبراطور
الاعانة على ملك
فرانسا

امدادات يستعين بها وأن يرخص في شأن الدين أكثر من الأول فمن ثم سعى في استمالة قلب كل من الأمير منتقب سكس والإمبراطور هيبه وكانا رئيسي حزب المعتزلة فلم لهما في بعض امور ووعدهما بأن يرضى خاطرهما في الامور التي لم يسلم لهما فيها بهذا الوجه سلم من معارضته حاله في الامدادات التي كان يريد طلبها ولما احتسرت تلك الواسطة رأى أنه صار يمكنه أن يفتح في المشورة عما في ضميره ولا يخشى بأسا فبدأ بمدح هيبه وسعيه في غرضين هما اهم اغراض الملل النصرانية احدهما هو أنه كان يريد عقد مشورة قسيسية عامة لازالة المساجرات والمنازعات الدينية التي كان يترتب عليها اذذاك تعكير بلاد المانيا واضطرابها وثانيهما هو الاحتراس من شوكة الدولة العثمانية وشدة بطشها وابدى أن اغراضه وان كانت صحيحة تعود بالنفع على الملة النصرانية الآن طمع فرنسيس افسدها عليه حيث اتى الهدنة التي انعقدت بمدينة نيسه واضرم نيران الحرب في بلاد اوروبا بدون سبب ولا مقتض ومنع القسوس وامناء دين النصرانية عن الحضور بالمشورة القسيسية ومن حضر منهم لم يتمكن المذاكرة مع الامن والاطمئنان في المسائل الخلافية وأنه هو نفسه قد اضطربت تلك الاسباب الى تجهيز قواه وعساكره للذب عن بلاده من ملك فرانسا ولولا طمع هذا الملك لاعتدها قتال المسلمين تشريفا للتصغرية وشفاء لغلظه من المسلمين الذين هم اعداء دين النصراني ولا يودون الادماره ومحقة بالكلية واذن الى ذلك قوله ان الملك فرنسيس لم يكف بافساد مقاصده عليه بل جاء شيئا نكرا حيث جلب الاتراك الى داخل الدول القانوليقية وضم جيوشه الى جيوشهم وهجم على دوق ساووة الذي هو احد اعضاء الإمبراطورية الالمانية وأن دونما بربروس العثمانية موجودة الى الآن في احدى ميقات فرانسا فتتظر فصل الربيع لتهم فيه على بلاد النصراني وان من الجنون الشروع في الهجوم على بلاد الدولة العثمانية وفي طرد جنودها من بلاد الجار حيث لن فرنسيس متعاهدا معها فبلادها عند الضرورة ملجأ لها في الاصوب حيثئذ البد ما ذلال مملكة فرانسا ليعرم

(سنة ١٥٤٤)

السلطان سليمان من القوائد التي يحصلها من معاهدته مع الملك فرنسيس الذي هو مع هذه الضلالات والمتكررات يلقب نفسه بقلب تركيزيان اي عريق في النصرانية وبالجملة فالحرب مع ملك فرنسا هو عين الحرب مع السلطان حيث ان اضعاف شوكة الاول يترتب عليه اضرار الثاني وانحطاط دولته وتعم الايمراطور كلامه يطلبه من ارباب المشورة مددا يستعين به على فرنسيس حيث كان يهيم على الجمعية الجرمانية ورئيسها وكان متعاهدا مع المسلمين فهو للتصاري عديمين

ثم قام اخوه فرديناند الملقب ملك الرومانيين مؤيدا لقول الايمراطور فحكي صورة فتح السلطان سليمان لبلاد المجر فاثلاثان سبب ذلك هو حرب ملك فرنسا مع الايمراطور اذ لولا ذلك لآعان بلاد المجر واخذها من بطش الاسلام ثم قام رسل دوق ساووة والطنبوا في شرح ما فعله ببروس بضطة نيسة وما وقع منه من التكريب والظلم في تلك الجهة وانضم الى هذه الشكاوى كون اهل اوربا كانوا في حقد شديد من الملك فرنسيس لمعاهدته مع المسلمين فآثر ذلك تأثرا قويا في قلوب ارباب الديانة ومال اغلبهم الى اعانة الايمراطور بامدادات جسيمة وكان الملك فرنسيس قد بعث رسلا الى الديانة المذكورة ليحتذروا عنه ويخصوا عن الاسباب التي جعلته الي سلوك هذه المسالك ولكن لم يؤذن لهم بالدخول في ارض الايمراطورية فاشاعوا ما كانوا يريدون به براءة سيدهم وحاولوا أن يبرهنوا على حسن سلوكه ومعاهدته مع السلطان سليمان بذكر امثلة مستنبطة من الانجيل ومناقب ملوك النصرانية ولكن لم ينفعوا في ذلك ولم يفدهم اجتهادهم شيئا حيث كانت عقول الناس اذذاك مشحونة بما يقضيه من افعال هذا الملك فلم تكن مستعدة لقبول شيء من تلك البراهين التي كان الغرض منها براءته والاعتذار عنه

مطلب

اعطاء الايمراطور من ايا عظيمة المعتزلة ليستعملهم اليه

فما رأى الايمراطور ذلك من اهل المانيا علم أنه صار لا يجنيه عن تمييز مقاصديه سوى استخوان المعتزلة وخوفهم منه فغرم على ازالة ذلك من قلوبهم فاعطاهم

(صنة ١٥٤٤)

جميع ما كانوا يتنونه للامن على انفسهم فصور منه امر بتعليق الإوامر
التي كانت صدرت في شأنهم وعدم اجرائها ووقع الاتفاق على عقد مشورة
قسيمة عامة او مشورة ملية بقصد اصلاح حال الكنيسة وازالة المجدلات
الدينية وعلى أن الايمبراطور يسي في عقد تلك المشورة في اقرب مدة توافقه
انعقادها لا ينبغي التضييق على المعتزلة بوجه من الوجوه في حياتهم وعبادتهم
وان الديوان الايمبراطوري لا يجوز له اضرارهم في اى شئ كان وأن ارباب هذا
الديوان بعد انتضاء مدتهم يعرضون باناس صالحين للقيام في هذا المقام
ولا يلتفت الى كونهم معتزلة او قاتوليكية فهذه الاسباب مال المعتزلة الى
الايمبراطور والتمزوا له بالانضمام الى بقية ارباب الديانة لاجل محاربة الملك
فرنسيس باسم الايمبراطورية وامتدوه باربعة وعشرين الفامن المشاة واربعة
آلاف من القربان وانقطع الراى على أن مصاريق هؤلاء العساكر تكون على
طرف عصبية مجال الكالد مدة ستة اشهر وضرب ارباب الديانة ايضا مغراما على
الرؤس بدون تمييز بين الناس قصدا اعانة الايمبراطور في حربه مع الدولة
العثمانية

وبينا كان شرلكان يدير امر مصالحه المشككة في مشورة الديانة ويحاول
استمالة اربابها اليه ليعينوه على مشروعاته ومقاصده كان من جهة اخرى
يسعى في الصلح مع ملك دانيقرة فانه وان كان مع معاهدته لفرنسيس
لم يعنه بشئ كان الايمبراطور يغشى اعانه ملك فرانس وكان ايضا يلج على ملك
انكلترة بالتضييق على فرنسيس حيث كان عدوا مينا لها وكانت
مقتضيات الاحوال حينئذ تدعين الايمبراطور على نيل مرامه وذلك أن ما حصل
بين ملك انكلترة وملك ايقوسيا كان يقوى بغضه فرنسيس في قلب
الملك هنري فان هذه الملك لما عقد مشاركة مع مجلس البرلمان بملكية
ايقوسيا في شأن تزويج ابنه للملكة ماريا ظن أن مرامه قد تم بانضمام
ايقوسيا الى انكلترة وهو غرض كان يتناه اسلافه وبحثوا في طلبه
ولم ينجحوا • ولكن حصل أن الملكة ماريا يد وغيره ام الملكة ماريا

مطلب

الامداد التي امتدت
الايمبراطورية مشورة
الديانة

مطلب

مداولة شرلكان مع
كل من ملك دانيقرة
وملك انكلترة

والتي كرهت بالقرابة وغيرهما من احزاب فرانسا بذلوا غاية جهدهم حتى فسحوا عقد هذا التكاح بل اوقعوا العداوة والبغضاء بين اهل ايقوسيا والملة الانكليزية وجهتوا عهود المحبة القديمة بين ايقوسيا وملك فرانسا ومع ذلك لم يزل هنري يسعى في هذا الغرض المهم وازدادت بغضته لفرنسيس ورأى أن اذلاله هو احسن واسطة في اعادة اهل ايقوسيا الى اقرار هذا التكاح وعدم فسخه وكان مهمما بهذا الغرض كل الاهتمام حتى ان الاميراطور يجبر أن عرض عليه ما ربه رآه مستعدا لاعاقته في جميع مشروعاته مع ملك فرانسا وكان يترتب على ما دبراه مع بعضهما في هذا الشأن ضياع مملكة فرانسا بلارب واتساع دول الامبراطور وازدياد شوكة وغمها بحيث يمتد على جميع بلاد اوربا حيث اتفقا معا على أن يدخل كل منهما في فرانسا مع جيش يبلغ عدده خمسة وعشرين الفا ويادى بمصر مدائن الراسين والضاوي ثم يهولان في المملكة ويضمان جنودهما الى بعضها قرب مدينة باريس

وكان الملك فرنسيس باقيا بدون نصير ولا ظهير يعينه على هؤلاء الاعداء الكثيرين الذين كان شرلكان يحرضهم عليه ولكن كان السلطان سليمان لم يزل متعاهدا معه الا أن هذه المعاهدة كانت قد اوقعت بغضه لفرنسيس عند باثر الملل النصرانية حتى كان يود أن يفسخها ويترك قوائدها حتى لا يكون مبغوضا عند جميع النصارى فبنا على ذلك صرف بربروس بسفنه بجبردد يدخل فصل الشتاء فخرّب وهو راجع الى القسطنطينية سواحل طوسكانه ونابلي وحيث كانت قوى فرنسيس لاتعادل قوى الامبراطور اراد أن تكون سرعته ومبادرته سادة مستضعف قواه فبادر بالافتتاح في الحرب فحاصر بجبردد محي فصل الربيع جنرا له القوتة دانغيان مدينة كارينان وهي احدى ممدائن اقليم يهون وكان الملتزم دوغانست بعد أن تغلب عليها في السنة الاولى من الحرب رآها مهمة جدا فخصها بكل التصمين فبذل القوتة دانغيان جهده في حصارها حتى خشي عليها الملتزم

مطلب

افتتاح فرنساوية
في الحرب باقليم يهون

(سنة ١٥٤٤)

مطلب
توجه عاصك
الامبراطور الى هذه
المدينة لاعانتها

دوغواست وكان قد لحقه في قفصها مالا حديد عليه من المشاق فخرج
من ميلان قاصدا التوجه اليها وكان هذا لا يفتي على أحد فعاقليل وصل
الخبر الى معسكر الفرنسيين وكان القوت دافقيان شابا ذاهقان وجبة
فكان يود وقوع شرب معه ليختبر طالع خطه ويعدده وكان عساكره ايضا يودون
القتال مثله الا ان الملك فرنسيس كان مصالحه اذ كان لا تسرع له الحرب
بل كان في وجل يذكار المصائب التي حصلت له سابقا في حروبه مع الامبراطور
فهو القوت دافقيان عن أن يحارب عساكر الامبراطور ولكن ابنته
أن يترك مدينة كارينان التي كانت مشرفة على التسليم وهو كان يود أن يمتاز
في واقعة مهمة يحوز بها الافتخار والشهرة فارسل من طرفه الضابط مولوق
الى ديوان فرانسوا ليفهم الملك ما يقرب على الحرب من الفوائد الجليلة
ويوضحه على الطرق التي يرجوها النصر على الاعداء فأحال الملك فرنسيس
هذا الامر على المشورة فانحط رأي الوزراء جميعا على عدم الحرب وعضدوا
آراءهم ببراين قوية وادلة مسلمة وكان مولوق حاضرا في المذاكرة
قطهر عليه آمار الفهم مما كان يسعه من افواه الوزراء وظهر منه أنه يريد التكلم
فتعجب الملك فرنسيس من حركته واطواره فدعاه وسأله عما عنده من الادلة
ليرد به كلام الوزراء المعضد بالادلة الصحيحة المبنية على الحزم والاصابة وكان
مولوق مع شجاعته صافي التنية خالص الطوية لا يفتي ما يضميره فين له حسن
حالة العساكر الفرنسيين ورغبتهما في قتال العدو ووقوفها بضابطها وما يلقها
من انحرى والمعزة اذ ابيت القتال وبرهن له على ذلك بعبارة جانب فيها
التكلف وسلك فيها مسلك الفصاحة العسكرية الموزنة بالحكمة والحجة
فأخذ يعقل الملك بل واستمال عدة من ارباب مشورته وادرك فرنسيس من
الحجة ما كان مستوليا على عساكره وارتفعت فرائضه ثم رفع يديه الى السماء
قائلا للقييب مولوق بادربالرجوع الى بيوتهم قاتلوا باسم الله فجمرد
سباع هلمنا الجواب من الملك ازدادت حجة الاشراف والامراء وتسابقوا
الى حيازة نغار الحرب وسودده حتى خلا الديوان الملوكي عن اربابه فكل

مطلب
واقعة مدينة سيريزو

من كان له اقتدار على الحرب وكان يريد الامتياز سعى بطوعه واختياره الى اقليم
يعون ليقتسم ثغارا النصر فلم يوصلوا الى القوتة دافقيان وكانوا عددا
كثيرا فمروا قلبه ودعا المقيم - دوغواست الى الحرب فأجابه بدون تردد
وكان عدد الفرسان مستويا في الفريقين واما المشاة فكانوا في فريق الايمبراطور
يزيدون على مشاة فرنسيس بعشرة آلاف او اكثر ووضع الاصطدام بقرب مدينة
سيريزولة في سهل متسع خال من الموانع والعوائق بحيث لم يكن وضع احد
الفريقين احسن من وضع الاخر فاصطف الجيشان بهام غاية السهولة وكانت
الصدمة الاولى مع العزم والقوة الذين يؤمل مثلهما من رجال شجوا وشابوا
في العسكرة وكانت قلوبهم مشحونة بالقد والتضاعف فحملت خيالة
الفرنساوية على العدو ومع عزمها المعتاد ودمرت كل من اتى في طريقها وتعرض
لها الا ان المشاة الاسبانيولية اخوت الطاقة التي تصدرت امامها ووردتها بشهامتها
وحسن ضبطها وديبطها فبقى امر النصر مجهولا بين الفريقين حتى تكون
لمن يحسن الادارة ويسلك مسلك الحزم من الفريقين وكان الجنرال دوغواست
بين العساكر التي تحمل نظامها فحسب أن يقع في ايدي الفرنسيين فينتقموا
منه في تطير قتل وان يكون وفريغوزة فغاب عقله ونسى أن يقدم طائفة
الاحتياطية واما الجنرال دافقيان فابدى من الحزم العجب العجيب وتقدم
مع طائفة من الخيالة وشد عضد العساكر الذين كانوا قد اختفوا في الرجوع
القهرى وكان معه طائفة من عساكر السويسة الذين كانوا لا ينزلون
ميدان الحرب الا وينظرون بالعدو فامرهم بالاغارة على المشاة الاسبانيولية
فقتل على هذا الامر انهاء الحرب وظهر الغالب من المغلوب وكانت مقتله
عظيمة جرح فيها دوغواست في فخذه ولم ينج الا بسرعة جواده وثبت الظفر
للفرنساوية وقتل من عساكر الايمبراطور عشرة آلاف وأسر منهم مقدار جسيم
واخذت خيامهم وامتعهم واسلحتهم وفرح الخالفلون بهذه النصر فراحا عظيما
لم تشبه سابقة غم ولا شك ولا هلك منهم الا ناس قلائل لم يكن فيهم احد
من الضباط الممتازين

(سنة ١٥٤٤)

مطلب
نتيجة هذه النصر

وهذه الواقعة السعيدة اكسبت الفرنساوية انتصارا والسود ولقظتهم
من خطر عظيم وذلك أن دوغواست كان يريد الاغارة مع جيشه على جميع
البلدان التي بين نهري الون والسون ولم يكن فيها مدائن حصينة
ولا قلاع ولا جيوش منتظمة تقاوم وتصد ولكن لم يكن للفرنساوية اقتدار
على اجتناء جميع غارات هذه النصر نعم ان دوقية ميلان كان لا يوجد بها
من يدافع عنها وكان اهلها منذ زمن طويل يتشكون من حكام الامبراطور
الذين كانوا يها ويتظلمون من جبرهم وصعوبتهم ويودون فرصة تعينهم على
اقتاد انفسهم من حكم الامبراطور وكان القوت دافعيان قد قوى قلبه
بهذه النصر فالح على فرنسيس أن يشهز تلك الفرصة العظيمة ويتغلب
على هذه الدوقية التي هي مطمح نظره وكانت السبب الاقوى في حروبه مع
الامبراطور ولكن كان البص من أمن المملكة مقدما على الفتوحات فلذا اضطر
فرنسيس إلى طلب اثني عشر الفا من اعظم الجنود التي كانت مع دافعيان
لحماية مملكة فرانس حيث ان الامبراطور ومملك انتكارة كان قد شرع
كل منهما في الصوم عليهما من جهة جيش كبير ففترت همه الملك فرنسيس
ولم يكتسب من نصرته الكبيرة التي فقت له في واقعة سيريزوله الامدينة
كارتيان وبعض مدن اخرى من اقليم بيجون

مطلب
اقتتاح الحرب
في مملكة البلاد
الواطية

(شهر حزيران)

وكان الامبراطور على حسب عادته هو الاخير في البروز الى ميدان الحرب فظهر
في اوائل شهر حزيران مع جيش جزار لم يسبق له مثله في الحرب مع مملكة
فرانس حيث كان يبلغ خمسين الفا وكان بعضه قد تغلب على اقليم لوكسمبرغ
وبعض مدائن من مملكة البلاد الواطية قبل أن يصل اليه الامبراطور
ثم جمع جيشه الى بعضه وتوجه به الى ضواحي اقليم شباينا بفرانس وكان
يجب عليه بمقتضى الاتعاق مع ملك انتكارة أن يتوجه من اول وهله الى
مدينة باريس تحت المملكة الفرنسية وكان الدوفين قائدا للعساكر الذين
كان يعتمد عليهم الملك فرنسيس في نجا مملكته ولكن لم يكن للدوفين اقتدار
على مقاومة الامبراطور غير أن فجاج الفرنسية في المدافعة عن اقليم برونسة

سنة ١٥٣٦ من الميلاد عليهم كيفية مشاغلة العدو الذي يشن الغارة عليهم قتلوا في هذه الواقعة كإفعلوا في واقعة برونسة حين اغار عليه الإمبراطور في السنة المذكورة ولا يخفى أن محصول إقليم شهبانيا في التينيد أكثر من محصوله في القمح وغيره من المحبوب فكان لا يكتفي في مؤنة هذا الجيش الكبير الذي كان مع الإمبراطور وزيادة على ذلك أمر الملك فرانسيس قبل حضور الإمبراطور بجيشه أن يخرجوا من هذا الإقليم ما كان يوجد به من مواد القوت والمؤنة ورأى الإمبراطور أن أول وسيلة يجب عليه اقتضاها في ذلك هي أن يغلب على بعض قلاع ومدائن حصينة ليأمن على قوت عساكره ومؤنتهم حتى لا يقع في الشدة والضنك كواقعة برونسة وكانت مدائن الضواحي غير حصنة قرح بالغلب عليها سرعا بدون كثير مشقة فهجم أولا على مدينة لينق ثم على مدينة كومرسى ولم يقاوما الا قليلا ثم حاصر مدينة سدنيزير ولم يكن فيها شيء مما يلزم لتصل مشاق المحاصرة وان كانت من الثغور المهمة على نهر مارن إلا أن القوتة دونسيير والامير دولالندة اتيا باقتسهما في هذه المدينة مصعبين على حفظها السيد هما الملك فرانسيس والمدافعة عنها جلد ما في وسعهما وكان الإمبراطور يعلم اقتدارهما فيتم من اخذ هذه المدينة من أول وهلة فصمم على حصارها بمحاصرة متينة وحيث كان من طبعه أنه لا يعدل عما يشرع فيه سلك في هذا المشروع سلك العناد والعنفوان لا الحزم والتدبير

وكانت تجهيزات ملك انكلترة للحرب قد تمت قبل تجهيزات الإمبراطور لكنه لما كان لا يمكنه أن يهجم وحده على جميع قوى مملكة فرانسوا وكان يشق عليه أن تبقى عساكره بدون شغل صمم على الانتقام من مملكة ايقوسيا فأرسل اليها الدونغا الانكليزية مع طلائفة كبيرة من المصاكر المشاة كان قائدها القوتة هرتفورد فأجرى هذا القوتة أوامر سيده مع المهارة والتشاط ونهب وحرق كلال من مدينته ايدنبورغ ومدينة لينث وافسد حال البلاد وزبح سرعا حتى لحق الملك بالدونغا عقب دخوله مملكة فرانسوا وكان

مطلب
محاصرة الإمبراطور
لمدينة سندنيزير
في ٨ من شهر تاموز

مطلب
حصار هنري الثامن
لمدينة بولونيا

١٤ من شهر تاموز

(سنة ١٥٤٤)

الامير الطور لم يزل مشغولاً بمحاصرة مدينة سنديزير فبعث رسولا الى هنري
يخبره على وصوله بالسلامة ويخبره على أن يتوجه من اقل وهلة للاغاثة
الى مدينة باريس حسبا هو منطوق المشاورة المتقدمة بينهما ولكن لما رأى
هنري أن الامير الطور مشغول بفتح مدن لتضع بحيث لا يترب على ذلك فبعثها
معاناسي به في ذلك واخذ يقلب على مدن لمصلحة نفسه غير ملتفت الى الحاح
الامير الطور فوضع الحصار على مدينة بولونيا واهم دوق فورغوك
أن يذل جهده في تهيم محاصرة مدينة مونتروي وكان قد حاصرها
قبل حضور هنري طائفة من القلبيين واخرى من عساكر الانكليز ولما كان
كل من الامير الطور وملك انكلترا مشغولا بمصلحة نفسه الخاصة عاد ذلك
بالضرر على مصلحتهما العامة فعوضا عن أن يتصدا مع بعضهما ويقول كل
منهما على صاحبه لتخفيف مقاصدهما الجسدية داخليا فغاية شديدة من بعضهما
وترتب على ذلك وقوع الريبة والوسواس في قلب كل منهما من الاخر حتى ال
الامر الى وقوع التفاهم والتناقض بينهما

واما الملك فرنسيس فقد بذل وسعه حتى جمع جيشا جرارا من صناديد
الابطال وغول الرجال يمكنه به مقاومة العدو وكان الدوقين لحزمه ومهارته
يعاول عدم الحرب خشية الهزيمة حيث كان يرى انه بالقتال تكون ملكة
فرانسا عرضة للاخطار وانما كان يهمهم على جيش الامير الطور بطائفة
من العساكر قصد الاتعابه وعدم اراحته ويقطع الطرق حتى لا تصل اليه الاغاثات
واذا دوي يحترق ما حوله من البلاد ومع ورطة الامير الطور بهذه الاغاثات لم يزل
مستجرا على محاصرة سنديزير ولم يزل يستشير يدافع عنها مع العزم التام
وسيدى العجب العجيب في حمايتها والذب عنها فقد ثبت في عدة اغاثات ودفع
جيش الامير الطور عدة مرات وهو يهمهم على المدينة مع العزم والشدة وقتل
من جاءته الامير لالندة حيث اصابته كلة بمذفع فاهلكته ومع ذلك
لم يفرقه ولم تكل قواه فمكث خمسة اسابيع وهو على هذه الحالة وكان في وسعه
أن يستعز على المدافعة متملا لأن الكردي نالي دوغرافيل قبحل عليه حتى

مطلب
ما وقع من مدينة
سنديزير من المدافعة
العظيمة

حمله على التسليم وذلك أن الكرد يئال المذكور كان يمكن من السياسة والتدبير
 فغتر على العلامات والاشارات المصطلح عليها في المخاطبة بين
 وسنسير فكتب مكتوبا على لسان دوق عيرة يا امر فيه سنسير أن يسلم
 المهينة لان الملك فرنسيس وان كان مسرورا منه ومن حسن سلوكه
 لا يتصوب أن يحاطر بنفسه لاجل اعاقته فوصل هذا المكتوب الى المدينة
 على وجه بحيث لا تظهر منه صورة غدرو ولا خيانة فاعتد سنسير بهذه الحيلة
 ووضع في اشرار المكيدة الا أنه سلم بشروط تلامي شجاعته وشرف نفسه فكان
 من جعلها أنه عقد هدنة باطل الحرب مدة ثمانية ايام والزم أنه يفتح ابواب
 المدينة للعدوان مضت تلك المدة ولم يهجم الملك فرنسيس على جيش
 الايبراطور ولم يدخل في المدينة جنودا من عساكره فثبت سنسير وحسن
 مقاومته اوقف الايبراطور مدة مستطيلة أمام المدينة مع انها لم تكن جيدة
 التصين وفي طرف هذه المدة امكن للملك فرنسيس أن يستعد ويجمع قواه
 وثبت للامير سنسير التحضر يكون فجأة وطنه كانت على يديه وقل أن يهوز

مثل هذا التفارح حكم دار صغير الرتبة غير مطلق التصرف

١٧ من شهر اب

مطلب

دخول الايبراطور

في وسط فرنسا

وبجهد تسليم مدينة سنديزير جال الايبراطور في وسط اقليم شبنانيا
 ولكن لما لحقه من المشقة في محاصرة هذه المدينة داخله اليأس من الوصول
 الى باريس حيث كان أمامه مدائن اقوى من تلك المدينة واكثر منها
 في الزاد والذخائر والمهمات الحربية وزيادة على ذلك كان مامعه من الزاد يتناقص
 ويقل كلما بعد عن ضواحي دوله وكان قد هلك من عساكره عدد عظيم في حصار
 مدينة سنديزير وكان جيشه يتناقص كل يوم باغارات العدو عليه من غير
 أن يشعر او يتأمر او كان الفصل قد ذهب معظمه ولم يستول على اراض
 او قلاع كبيرة من بلاد العدو وقيم بها عساكره مدة فصل الشتاء وكان عليه
 لعساكره ماهيات عدة اشترها فاحذوا في الشكى والتظلم ولم يكن عنده اموال
 حتى يصرف لهم استحقاقهم فجميع هذه الاسباب الزمته بأن يهجم الى الصلح
 الذي كانت تدعوه اليه اخته ملكة فرنسا وارسلته اليه بصدده سر اجمع اثنين

(سنة ١٥٤٤)

من قسوس طائفة الدومينيكان كانا واعظينه ولاخته المذكورة فيناه
على ذلك تعين لهذا الغرض أناس من الطرفين ووقعت المناقضة فيه بقرية
شوسة التي هي قرب مدينة شالون ولم يكن ارسل شرلكان الجيا
من طرفه الى الملك هنري يطلب منه التوجه الى باريس حسب الاتفاق
ولا يدري هل كان قصد الإمبراطور بذلك أن يذل جهده في التغلب على ملكة
فرانسا او يجعل ذلك وسيلة لتعلل بها في التغلب عن حليفه هنري ثم يعقد
الصلح مع الفرنسيين فبينما كان ينتظر جواب ملك انكتره وكانت المذاكرة
لم تزل في قرية شوسة كان لم يزل يتوغل ويحول في المملكة مع قلة زاده
وذخايره فلو فور خطه او نشاطه او خيالة بعض الفرنسيين بهم بقتة على
مدينة ايرفي ثم على مدينة شافوييري وكان بهما مخازن عظيمة مشحونة
بالمهمات والذخائر فلما شاع الخبر باخذ هاتين المدينتين وكانت الثانية قريبة
من باريس بحيث لم يكن بينهما الا امر حلتان فقط عم الحزن والفرح سكان
هذا النقت حيث لم يكونوا مستعدين للمقاومة والمدافعة وداخلهم اليأس
والقنوط وصاروا يفرون من سائر الجهات حتى كأن الإمبراطور على ابواب
مدينتهم وبعث كثير منهم نساءه واولاده على نهر السين الى مدينة روان
وبعضهم ارسل عائلته الى اورليان وبعضهم الى المداين التي على نهر لوار
وحصل للملك مفرئيس نفسه من هذه الحادثة فزع لم يطعمه مثله مدة حكمه
وداخله رعب شديد من نصرة عدوه عليه ووصوله الى نقت مملكته ومن
الاضطراب التي صارت مملكته حيث نذر عرضة لها فلم يمكنه أن يضبط نفسه حين طرقي
هذا الخبر آذانه بل صاح قائلا يا رباه ما اعظم ما عددته لي من المشاق والمصائب
في تطير هذا التاج وقد كنت اظن انك انصبت به على نعمة لا رجوع فيها لكنه ندم
بعد ذلك علي هذه المقالة الناشئة عن الالم والنهم وتاب واقطع قائلا ما معناه
لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ثم اطعمنات نفسه وسكن روعه وامر بما يلزم لصد
الهدو ورده ووجهه الدوفين الى باريس خاتية آلاف من العساكر فاطمأنت
بهم قلوب اهلها وادخل كثيرا من المحافظين في مدينة موكس وامرع

(سنة ١٥٤٤)

في الميرحي وصل إلى مدينة لافرنه وكانت بين جيش الإمبراطور
والثقت

مطلب
اضطراب الإمبراطور
إلى الرجوع

وكان القسط والجماعة قد أخذوا في الظهور بين عساكر الإمبراطور فلما رأى
أن الدوفين يتجنب الحرب معه وكان لا يمكنه الهجوم عليه في معسكره مع
عساكره حيث كانوا في تعب ونصب وكانت مقاديرهم قد تنقصت جدا عدل
سريعا وانخدع السيرمينة فاصدا مدينة سواسون ووصل اليه في ذلك
الوقت جنواب من طرف ملك انكلترا يذكره أنه لا يترك حصار بولونيا
ولا حصار مونتروي لأنه قد أشرف على التغلب عليهما فعند ذلك رأى
الإمبراطور أنه لا يجب عليه العمل بمقتضى المشاركة المتقدمة بينهما وأنه يجوز له
أن يفعل ما يكون فيه مصلحة لنفسه فبناء على ذلك أخذ يحدد المذاكرة في شأن
الصلح وكانت قد بطلت بتغلبه بقتة على مدينة ايبيرى ولم يكن يصعب انعقاد
الصلح بينه وبين فرنسيس حيث كان أحدهما يرغب فيه رغبة تامة والآخر
محتاج اليه كل الاحتياج فتمت مشاركة الصلح بمدينة كريسي وهي مدينة
قرية من مدينة موكس وكان اتفاماها في الثامن عشر من شهر ايلول
وكانت بنودها الأصلية هي أن كلامن فرنسيس والإمبراطور يرد إلى خصمه
ما انتزعه منه من تاريخ مهادنة نيسه وأن الإمبراطور يرتجعه البكرية
للأمير الدوق دورليان بن فرنسيس أو يرتجعه بنت أخيه فردينند
الثانية فان زوجته بنته اعطاء في الجهاز مملكة البلاد الواطية يتصرف
فيها كيف يشاء وتنقل من بعده إلى اولاده الذكور من هذه الاميرة
وان زوجته بنت أخيه فردينند اعطاء دوقية ميلان وما يتبعها
وأن الإمبراطور يخير مدة أربعة أشهر فين يرتجعه بها من هاتين الاميرتين
وأن الوفاء بشرط الزواج باحدهما يكون اجله سنة من تاريخ المشاركة وأنه
يجوز استيلاء الدوق دورليان على مملكة البلاد الواطية او دوقية ميلان
يرد الملك فرنسيس إلى دوق ساوية جميع ما كان عليه منه ما عهدا مدينة
ينرول ومدينة مونفيليان ولأن الملك فرنسيس يترك دعواه في شأن

مطلب
الصلح المتقدم بمدينة
كريسي

(سنة ١٥٤٤)

ملكته نالجي اواقليم الملك واقليم ارقوانة وأن الإمبراطور يترك
ايضا دعواه في شأن دوقية برغونيا ودوقية كلرويلس وأن فرنسيس
لا تحصل منه اعانة الملك نوار وأن الإمبراطور يملك فرنسا بمعنا قواهما
الى بعضها لقتال الدولة العثمانية ولهذا الغرض يجب على الملك فرنسيس
أن يرسل من عنده بموجب طلب الإمبراطور اوديوان الإمبراطورية ستة
آلاف من الفرسان وعشرة آلاف من المشاة

وكان من جملة الاسباب التي جعلت الإمبراطور على عقد الصلح ما لحق جيشه
من الضنك والضيقة بفقد الزاد والذخائر وما أدركه من المشقة في ابابه وفراقه
من بلاد عدوه وعدم امكان اقامته بمساكنه مدة الشتاء في ملكته فرنسا
ومنها ايضا اسباب اخرى قوية وان لم تكن ظاهرة وهي أن البابا كان مقتظا
منه على ما اعطاه للمعتزلة في مشورة الديانة المنقضة اخيرا وانه كان
قد وعدهم بأن يجتهد في عقد مشورة قيسية عامة وكان قد رخص ببلاد المانيا
في الجهادلات والمناقشات فيما كان واقعا بين القساوولية والمعتزلة من المسائل
الخلافية فهذا ان الامران الاخيران اعنى وعده بابا هم بعقد المشورة القيسية
وترخيصه في الجهادلات والمناقشات رآهما البابا من باب الاقيان والتعتدي
على حقوق الكنيسة فبعث الى الإمبراطور كتابا يتضمن التوبيخ والتعنيف
ويؤذن بالتصغير والتعاظم وعباراته موزيه مزة ثقيلة والفاظه جارحة مؤلمة
حتى انه ربما كان يؤخذ منه أن قصد البابا به اتمامها المشاجرة مع الإمبراطور
لاستعطافه واستمالته وقد ازداد غضب البابا من الإمبراطور حين رآه قد تعاهد
مع الملك هنري لان هذا الملك كان من المعتزلة الذين طردتهم الكنيسة عن
باباها وحكمت عليهم بالحerman قطهرة أن معاهدة الإمبراطور معه ليست
الامن قبيل الكفر والاحاد فهي كعاهدة الملك فرنسيس مع السلطان سليمان
ومن جهة اخرى كان كل من ابن البابا وخديمه تشكي ويتكلم من الإمبراطور
حيث كان يتأخر في اعطائهما اقليم برمة واقليم بلزنسة فكان
بعضهما للإمبراطور يزيد في عقد البابا عليه ويضاف الى ذلك ما كان يصدر

مطلب
الاسباب التي دعت
الإمبراطور الى عقد
الصلح

من فرنسيس من المواعيد المزخرفة والمدهانة لاجل استمالة البابا اليه نعم
انه كان الى ذلك الوقت لم يزل مصعما على عدم التعرض لكل من القرينين حيث
كلم غيظه وساول عائلته التي كلفت تحصيل في هذا المعنى وساول ايضا ملك
فرانسا حيث كان يبلغ عليه بالانضمام الى حزبه الا انه كان لا يرجي منه أن يستمر
على بقائه خلبا عن الاغراض مع بغضه للايمبراطور وحسه احبابه واحصاه على
ما يخالف ذلك وظهور مصلحته في الانضمام الى حزب فرنسيس وكان
الايمبراطور يعلم أن اتحاد البابا مع ملك فرانسا يحشى منه على دولة التي
يلاد ايطاليا حيث ان البابا كان قدوة لاهل ايطاليا في السياسة والتدبير
فان انضم الى حزب فرنسيس فلا بد أن تبعه اهل البنادقة وكان
الايمبراطور قد تعب من معاناة الحرب والقتال فرأى أنه ان تعصت عليه
عصبة اغضت بقواه الى الدمار وكان عساكر الدولة العثمانية في ذلك الوقت
لم يجدوا من يقاومهم ييلاد الجمار فاخذوا جميع مداتها وقولوا بالسرعة حتى
وصلوا الى بلاد الاوسترسيا لاسيما وكان ثم امر آخر يدعوا الايمبراطور الى
التبسط وبذل الهممة وهو تهم مذهب المعتزلة واتساع دائرة دينهم وازدياد
شوكه عصبتهم فكان نحو نصف ألمانيا قد اعتزل عن دين الكنيسة واتبع
الدين الجديد وبقي اهلها كان يتردد بين دين الكنيسة ودين المعتزلة وكان اعيان
الاوسترسيا قد طلبوا من الملك فردينند أن يرخص ميلادهم في اتباع
دين المعتزلة وكان اهل بوهيمية (مملكة چه) لم يزل عندهم آثار دين
جنا هوس فكانوا يسيرون وسعهم في مساعدة مذهب لوتير وكان
مطران كولونيا ذاتية شديدة يندمر مثلها في القسوس فاخذ ينشر الدين
الجديد في ابرشته فلم تكن تعلم عاقبة هنما لحوادث أن لم يحصل الاهتمام بمنعها
وكان الايمبراطور قد عاين بنفسه في مشورة الديانة المنعقدة اخيرا اعتزلا المعتزلة
وتكبرهم ورأى انهم لا يعتمدون على كثرة اسراجمهم والتسامح مع بعضهم لا يراعون
في مخاطبتهم طرق الادب كما كانوا اتوا لاحق اذتهم جازتهم الى احتقار البابا
وعدم الاعتراف به بل كانوا لا يحشون بأس الايمبراطور فرأى أنه لاجل تأييد

(سنة ١٥٤٤)

الذين القديس وتعضيد شوكة نفسه حتى يقوى بطشه ولا يكون آسجته بريس
الايمراطور به تجرد اسم بدون مسي لا يذله من بذل الجهد والهمة في هذا
المعنى وذلك متعذر عليه مادام مشغولا بالحرب في البلاد الاجنبية مع عدو قوى
الشوكة والصولة

فهذه هي الاسباب التي حلت الايمراطور على عقد الصلح الا انه لحظه وبهاهته
دبر امر مشاركة كريسي على حسب اغراضه ومقاصده فان الشروط التي
عقدها مع الملك فرنسيس ترتب عليها حرمان البابا من القوائد التي حلتها على
ترجيح المعاهدة مع ملك فرنسا واينارها على معاهدة الايمراطور وفي البند
الذي يتضمن الحرب مع الدولة العثمانية لم يكتب الايمراطور برفع الملك
فرنسيس من حزب السلطان سليمان بل ازمه بالحرب معه وهناك شرطا
آخر خصوصي لم يكتب في المشاركة خشية ايقاع الفزع والزعزعة في اوروبا
وانما وقع الاتفاق عليه بين الملك فرنسيس والايمراطور وهو ان كلا منهما
يسذل جهده في عقد مشورة قيسية عاجلة لقصد تأييد شوكتهم ما وعق دين
المعتزة من محال كما في هذا الشرط خاب امل عصبة سمالكه في الملك
فرنسيس ولكن خشي الايمراطور ان يلج ارباب تلك العصبة على فرنسيس
او تشتت به الغيرة فينسى ما التزم به فلذا تركه مشغولا بالحرب مع الانكيز
حتى لا يمكنه التدخل في مصالح بلاد ألمانيا

وكان الملك هنري على غاية من الكبر حتى كان يقوم بنفسه ان شوكته لاشوكة
فوقها فاعتناط من الايمراطور كل القبط حيث لم يعتبره اذ عقد الصلح من غير
ان يستشير له لكنه بسبب ظفرو لم يتأثر من ذلك كل التأثر ثم ان العساكر
التي تكتبة قد انفصلت عنه بموجب امر الايمراطور فاضطر الى احضار دوق
فورفولك من حصار مدينة موتروى الا ان مدينة بولونيا كانت
قد سلمت له قبل انتهاء مشاركة الصلح المتعقدة في كريسي وبينما كان هنري
مغتبرا باقتضاه من البلدان وكان في حق شديد من الايمراطور اذا تهرسل ملكه
فرنسا تعرض عليه الصلح ولم يكن اذ ذاك يستعده لقبوله مع شروط مصححة

مطلب
استمرار الحرب بين
انكيز وملكة فرنسا

١٤ من شهر ايلول

مقبولة فطلب طلب الفلئين الفاضلين شروطا ثقيلة صعبة حاصلاها أن ملك
فرانسا يتخلى معاهنته مع مملكة ايقونيا ويدفع اليه ما كان باقيا في ذمته
من الديون القديمة وجميع ماصوف في الحرب وكان الملك فرنسيس يريد
الصلح عن طيب نفس وخلوصه طويته ويهون عليه أن يتدل فيه مالا جسيما
الأنه لما رأى حصول الصلح بينه وبين الایمبراطور رفض تلك الشروط
الموجبة للمنفعة وسافر هنرى الى انكلترا وترك نيران الحرب مضطربة
بين الملتين الانكليزية والفرنساوية

مطلب

عزم الدوفين من
المشاركة المتحدة
في كريسي

ثم ان المشاركة التي انعقدت في كريسي وان كانت قائمتها جليلة بالنسبة
للفرنساوية لكونها هي التي اتخذتهم من عدو شديدا البطش كان قد جال في داخل
ملكهم الآن الدوفين تشكى منها واستدل بها على حجة ابيه الملك فرنسيس
لابنه الثاني الدوق دورليان قتل من كون ابيه قد ترك في هذه المشاركة
حقوق تاج المملكة الفرنسية لمجرد مراعاة ابنه الدوق دورليان حيث
كان يخصه بالحبة ويؤثره بالموتة الأنه لم ير ذا غضب ابيه بامتناعه عن
اقرار المشاركة المذكورة مع تصميحه على أن يتأخر ذات يوم فيما يضربه من
تلك المشاركة فجمع بعض احرابه واخبرهم سرا بأنه لا يقبل هذه المشاركة
وأن ما جبر على اقرارها منها لاغ لا يعمل به واقصدى به في ذلك مجلس برلمان
مدينة تولوز والطاهر أن ذلك كان ناشئا عن الحاح احراب الدوفين على
ارباب هذا المجلس واما الملك فرنسيس فانه وضع القرار على تلك المشاركة
مع غاية الفرح والسرور وذلك انه لما فرح باخذ رعاياه من الاغارة الشنيعة
وغزو دجاجيل مملكة لابنه الثاني اي الدوق دورليان ظن أنه غير مغبون
في اشتراء تلك القوائد الجليلة بتركه امورا غير مأذون فيها شرعا والقابا لم يترتب
عليها الى ذلك الوقت الا خسار ملته ودمارها وهتوقا لم تصيكن في يده
فكانها معدومة ثم ان الایمبراطور في الاجل الذي ضرب لتضييره في شأن
الزواج انظر أنه يريد تزويج بنت اخيه فرديفند لالامير دوق دورليان
ويصلها بدوقية ميلاني وكان يظهر من مقتضيات الاحوال ان ذلك أن الصلح

(سنة ١٥٤٤)

بينهما يستمر ولا يتقطع فان الإمبراطور كان دائماً يتألم من داء البقرس المعروف بداء الملوك فكان لا يظهر أنه ذو اقتدار على الحرب لان ذلك يستلزم قوة البدن والعقل وكان يجد ذلك من نفسه ويحتمل أن يقف عليه الناس وحين كان في تعب شديد من هذا الداء حضر رسول من مملكة فرنسا الى مدينة بروكسلف (بروسيل) ليحضر اقرار مشاركة الصلح فوضع الإمبراطور امضاءه عليها مع غاية المشقة ويده ترتعش قائلاً أنه لا يفسق الخوف من تقص هذه المشاركة لان اليد التي لا اقتدار لها على امساك القلم لا يمكنها التقبض على ربح اوسنان

وقدم عليه المرض والجأء الى المكث بمدينة بروكسلف عدة اشهر وكان ذلك سبباً ظاهرياً في تأخره عن تنفيذ اغراضه في شأن اذلال حزب المعتزلة ببلاد ألمانيا وفي الحقيقة كان لذلك اسباب أخرى وذلك أنه وان كانت البواعث التي دعت به الى هذا المشروع قوية إلا أن مصالحه انذاك وقوة شوكة عصبة المعتزلة كانت تارزمه أن تبصر ويحتمل النظر فيما هو شارح فيه وأن لا يبطد دفعة واحدة الحجاب الذي كان يستتر به مقاصده واغراضه وكان يرى من المعتزلة مع اعتقادهم على قواهم وتعرضهم على شوكتهم أنهم دائماً متحيزون في امرهم خائفون من مولته ويطشه لكنهم استعدوا للدافعة عن انفسهم وتجاسروا على ذلك وان كانوا يعلمون أنهم يجاسرهم قد عرضوا انفسهم الى الخطر وكان الإمبراطور ايضا متحيزا في امره بسبب حربه مع الدولة العثمانية فاراد أن يتخلص من هذا الحرب فعزم على أن يبعث اليها سفيرا من طرفه ليتضرع اليها في طلب الصلح ولصكن كانت تلك الدولة لا تبقى على احد ولا يعرف كنه اغراضها ولا حقيقة ما ربهما فكان ما هدر من الإمبراطور من اضرار نيران الحروب المدنية في داخل دوله وممالكه قبل أن يقف على حقيقة مقاصد تلك الدولة بعزل عن الخزم والتدبير

وفي اثناء تلك الاحوال صدر من البابا بعد صلح كريسي بقليل فرمان يشخص الامر بعقد مشورة قسيسية عامة بمدينة ترنته في اوائل فصل الربيع

مطلب

مقاصد الإمبراطور في شأن بلاد ألمانيا

مطلب

طلب البابا انعقاد مشورة قسيسية عامة بمدينة ترنته

١٩ من شهر تشرين الثاني

(سنة ١٥٤٤)

وحرش فيه جميع ملوك النصراري وسائر الامراء على اتهاز فرصة الاطشيان
والامن الذي كان وقتئذ يلاذ اوروبا وحتم على أنهم يستعينون
بهذه الفرصة على محق دين الموشرة الذي كان يخشى منه على اسرار دين
النصرانية فاطهره لايبراطور لولا الفهم اسراع البابا وجملته بهذا الامر
وأنه يلوهم على ذلك خداعا منه ومكرا فانه عما قليل اقترعوا تلك المشورة
القسيسية لانها بما كانت تعينه على تمييز مقاصده وتقيده اغراضه فعين من
طرفه رسلا يحضرونها وجميع قسوس دونه ومالكه بالذهاب اليها في الوقت
المعين في القرمات

(سنة ١٥٤٥)

مطلب

انقضاء مشورة

الدينية بمدينة

ودس في ٢٤

من شهر اذار

هكذا كانت مقاصد الايمبراطور حين انقضت ديتة الايمبراطورية بمدينة
ودس بعد تأخيرها عدة مرات وكان المعترضة من خصا لهم في دينهم وعقائدهم
ولكن كان هذا الترخيص معلقا مؤجلا وسندهم فيه واهيا وهو الامر الصادر
من مشورة الديتة الاخيرة وكان للعل بهذا الامر متية معاومة
مغبية بانقضاء المشورة القسيسية فلذا كان المعترضة يودون أن يرخس لهم
ترخيصا مطلقا غير مؤجل باجل حتى يأمنوا على بقاء انفسهم ودينهم ولكن
لم يعرض احد في المشورة لما يكون به امنهم وطما فينتهم بل عرض الملك
فردفند على اربابها امرين احدهما استمرار الحرب مع الدولة العثمانية
والثاني يخص امر الدين فاثلا ان الامر الاول مقصم لابتدئه لان السلطان
سليمان بعد أن فتح معظم بلاد البحار اخذ يستعد لشن الغارة على بلاد
الاورستروسيا وان الايمبراطور الذي هو من مبدء حكمه يحاظر بنفسه
في مدافعة هذا السلطان الشديد البأس القوي الصولة لم يزل مصمما على دفعه
عن ابناء النصرانية وحمايتهم منه حتى انه عدل بمحض اختياره عن الحرب
مع فرانس مع انه الغالب الظاهر فاصدا معاهدة الملك فرنسيس ليتحزبا
جميعا على هذا السلطان الذي هو اشتد اعداء النصراري فبناء على ذلك يجب على
جميع اهل الايمبراطورية الالمانية أن يعينوا رئيسهم ويساعدوه على سعيه
في تأييد دين النصرانية وحمايته من عصبة الاسلام بأن يمدوه بما هو محتاج اليه

(سنة ١٥٤٥)

مطلب
الحاج فرديتد على
اهل المانيا باقرار
المشورة القيسية
والرضا باحكامها

في تلك السنة واما المحادثات الدينية فقد اتسعت دائرتها حتى صار لا يبرح
انهاؤها عاجلا وحيث ان الإمبراطور قد بذل وسعه وألح على البابا حتى الزمه
بالرضا بعقد مشورة قيسية عامة وكذلك المعتزلة وغيرهم يحدون في طلب
عقد هامندز من مغريل وقد حان الوقت المعين لا تعقدها وموجب على الفريقين
قاووليكية ومعتزلة أن يرضوا باحكامها ويذعنوا لما يستتر عليه رأيها
فاستحسن من كان في المشورة من القائلين بكية كلام فرديتد واجابوا بأنهم
يرضون بكل ما طلبه واما المعتزلة فلحقهم من ذلك غم شديد لما أنه مخالف
لما حكم به في شأنهم بمشورة الديينة السابقة فذقوا في أن المحادثات الدينية
ينبغي أن يبدء بها في المذاكرة لكونها من اهم الاغراض واجلها وأن بلاد المانيا
وان كانت في فزع ورعب من تقدم العساكر الاسلامية وظفرهم الآن امر الدين
يخص طاقتهم فلا يرضون أن يحاربوا مله اجنبية ويدعوا نيران الفتنة تضطرم
في داخل بلادهم وانهم ان حصل لهم ترخيص في العمل بمذاهبهم كيف شاؤوا
وامنوا على انفسهم من جهة دياتهم بذلوا غاية جهدهم كسائر اهل المانيا
في قتال اعداء دينهم ودفعهم عن بلاد النصارى واما اذا كان الخوف على
النصارى من الدولة العثمانية شديدا بحيث لا يسوغ الالتفات الى غرض آخر
في هذا الوقت فيلزم التجهيل بعقد مشورة الديينة لتبت امر المناقشات
الدينية وتنهي على سبيل الابرار ويازم ايضا توضيح الامر الصادر في هذا الشأن
من مشورة الديينة الاولى وذلك أنه لما حصل الاتفاق في مشورة الديينة
المنعقدة بمدينة سبيعة على أن المعتزلة يتعبدون بدينهم كيف شاؤوا حتى
تتقدم مشورة قيسية عامة على حسب الاصول العيصية الشرعية وامر البابا
بعقد مشورة قيسية اخرى وايداه الملك فرديتد بالزامه لهم بالاذعان
والطاعة داخلهم الوسولس والريسة وفيهوا أن إخصامهم كانوا يحاولونهم
في بعض القضاة مبهمه متشابهة من امر الديينة حيث قالوا ان الترخيص لهم
في دياتهم مؤجل باجل معلوم وهو اقتراح المشورة القيسية فلاجل اجتناب
هذا التأويل ناخضوا في صحة كل مشورة قيسية تتعقد خارج بلاد الإمبراطورية

الاثمانية بمحض اوامر السلطان ويجعل لنفسه الحق في الرياسة عليها واعلموا انهم لا يقرون تلك المشورة وانهم الى الآن يعتبرون الامر الصادر من مشورة الديانة السليمة مطلقا محتملا لا يجري العمل الا بمقتضاه وانهم لا يعدلون عنه ابدا ويمكن الايمبراطور الى ذلك الوقت يرى ان مصلحته تقتضي مراعاة المعتزلة وانه يفعل معهم ما يستعمل به قلوبهم فكان يجيبهم الى ما يطلبونه وان كان في الظاهر غير معقول ولا مقبول ولكن لما تغيرت مقاصده الزم اخاه الملك فرد يتد بأن لا يقول مما عرضه اولاً وان لا يتساهل في شيء يضرب بشروط المشورة القيسية او يمنع انقضاها وكان المعتزلة ايضا يشددون في دعواهم كل التشديد فحصل التوقف الكلي من الفريقين ومكثنا زمنا طويلا على العناد والشقاق حتى شوه هذا الصلح بينهما صار من قبيل المستحيل ولما برئ الايمبراطور من مرضه ذهب بنفسه الى مدينة ورس ومع ذلك لم يكن لحضوره تأثير في نفوس المعتزلة ولم تساهلوا في شيء مما طلبوه لانهم كانوا جازمين بأنهم على الدين الحق فالتزموا ولا هم وانصرهم فكان الايمبراطور كلما اراد ان يستعمل حزمهم بالتصلي والمداينة او يزجرهم بالتصنيف والتهديد لا يزيدهم ذلك الا غضبا وجسارة مظهرين على رؤس الاشهاد أنهم لا يعنون بتزكية انفسهم وتأيد دعواهم في مشورة متعصبة متحاملة حتى كانوا لا يصدقون البص من المذاهب الدينية لتعرف محبتها من فلاسدها بل انما عقدت لمحزذ جرحهم ومعاقتهم وانهم لا يقولون الا سلطان تلك المشورة القيسية لكونها منعقدة بامر اليا باوهو لا يجوز ان يكون حكما فيها لما انه حكم عليهم من مبدء الامر بأنهم رافضة خارجون عن دين النصرانية وادعى لنفسه الحق في الرياسة على تلك المشورة لئلا يتمكن من اضراهم ويعاقبهم بما شاء وبينما كان المعتزلة يمتنعون من اقرار المشورة القيسية المذكورة ولا يرضون باعانة الايمبراطور في حربه مع الدولة العثمانية اذ ظهر من بينهم موريس امير سكس وجنح الى الايمبراطور وعضد قوله وذلك انه وان كان في الباطن لا يميل الى الدين المعتزلة وكان قائما بتضييده وتأيد الا انه رأى ان مصالحه

مطلب
حضور الايمبراطور
في مدينة ورس

مطلب
سلطان موريس امير
سكس في مشورة
الديانة

(سنة ١٥٤٥)

تقتضي أن يظهر خلاف ما يظن فأخذ يوافق الإمبراطور في أغراضه حتى
استماله اليه بالكلية واستعان بحجة الإمبراطور على تنفيذ أغراضه ومطامعه
التي كان مضمما عليها ولكن لم يأس به أحد من المعتزلة ولم يكن لقوله تأثير
في قلب أحد منهم حتى فهم الإمبراطور أنه لا يمكنه أن يحصل منهم مددا يستعين به
على الحرب مع الدولة العثمانية ولأنه لم يزل ما قام قلوبهم من الخوف والريبة
منه في شأن دينهم ولكن لما لم يكن دبر مقاصده وأغراضه حتى التدبير ولم تكن
تجهيزاته كافية بحيث يمكنه فتحهم وادخالهم تحت الطاعة أو يعاقبهم على ما بدوه
من الخصالقة والعناد أخذ يصادعهم لما يباحق لا يقتضوا على حقيقة قصد فامر
أن تتخذ مشورة الديوتة في أول العام القابل بمدينة رانسبونة لأجل
المفاوضة في المسائل الخلافية وأن يكون ذلك بين بعض أفراد من المعتزلة
وآخرين من حزب الكنيسة القاثوليكية

مطلب
ارتباب المعتزلة من
الإمبراطور

ولكن مع كون الإمبراطور بذل جهده في محادثة المعتزلة لم تحقق عليهم مقاصده
بل ادرکوا أن ذلك منه مداهنة ومخادعة حيث لم يمكنه أن يوارى ما يستعبر
مواراة تامة وذلك أن القوة هومان مطران كولونيا ومنتخبها كان
لفضائله وحسن أخلاقه وكبر سنه ذا اعتبار ووقار وإن كانت درجته في العلم
هينة كغيره من الأشراف الذين كانوا حينئذ مقلدين بالمناصب القسيسية
والوظائف الدينية العالية في بلاد ألمانيا فاتفق أنه آثر دين المعتزلة على دين
الكنيسة الرومانية وأعانه على ذلك في أوائل سنة ١٥٤٣ كل من ميلنختون
وبويسر المتقدم ذكرهما فأخذ ينسخ دين الكنيسة من أبرشيته ويدخل بهادينه
المعتزلة الآن الرهبان الذين كانوا في دياره وأما أن الدين الجديد لا يساعدهم
لأنه يحكم بالنسابة بين الناس فأطبع فهو مضرب تمامهم وثروتهم فقتلوا
مطرانهم كل المناقضة لغرضين جسيمن أحدهما خوف الأضرار بمصالحهم
وثانيهما غرض يد رغبتهم في المحافظة على الدين القديم وتعماد أصوله لتكونها تلاميذ
أعلماءهم ولكن لم تزد مناقضتهم المطران هومان إلا تعصبا وعنادا حيث
رأى في مناقضتهم له ما يدل على فساد الدين القديم ويعود عليهم بالمصلحة

والمختص ولما رأى هؤلاء الرهبان أن مناقضتهم لا تجدى فعارضوا شكواهم إلى الإمبراطور والبابا لأن الأول كان حاكمهم السياسي والثاني كان حاكمهم الديني فوصلت شكواهم إلى الإمبراطور وهو بمدينة ورمس فادخلهم تحت حمايته وأمرهم بأن يعالجوا أشد العقاب كل من مال إلى دين المعتزلة وعدل عن دين الكنيسة الرومانية ونهى المطران هرمان أن يحدث شيئا في أبرشيته وأمره أن يحضر إلى مدينة بروكسيلة في ظرف ثلاثين يوما ليصحب فيها أعمالهم به

ولم يكف شر لكان بهذا الأمر الذي استدله المعتزلة على بغضه لهم بل أساء كل من كان يظن فيه أنه على دين لوتير من أهالي دولة الوراثية من مملكة البلاد الواطية وبجبر حضوره إلى مدينة ورمس نهى خطباء المعتزلة عن الخطابة بهابل وأدخل في كنيسة الخاصة به راهبان من رهبان إيطاليا صعد على منبرها وقدر في الدين الجديد وقال في حق الإمبراطور أن الله سبحانه وتعالى قد اجتباها واختاره لازالة الكفر ومحو دين المعتزلة الضالين وفي أثناء ذلك بعث الإمبراطور إلى القسطنطينية سفراء بصدد الصلح كما تقدم ليسد باب الحرب مع الدولة العثمانية ويتفرغ بكنيته إلى تأييد الدين ورفع أعلامه المتكسفة ولكنه لم يصف على المعتزلة سلوكه ولا ما يترتب عليه من العواقب فكان كلما ازداد فرغهم وخوفهم من الإمبراطور ازداد يتقطعتهم واحتراسهم منه

وهذا وكان للإمبراطور دائما الحظ الأوفر على خصمه الملك فرنسيس فقد حصلت حادثة أخرجه من ورطة كبيرة كان لا يمكنه أن يتخلص منها بمحض مهارته ونباهته وذلك أن الدوق دورليان عرض له في الزمن المعين زواجه بنت الملك فردينند وأخذ دوقية ميلان هي خبيثة أفضت به إلى الهلاك فكانت هذه الحادثة سببا في تخلف الإمبراطور من وجوب إعطاء دوقية ميلان لخصمه أو من المعزة والخزي إذا هو امتنع من إعطائها حيث التزم بذلك وصار معلوما للخاص والعام فكان امتناعه عن الوفاء بما التزم به

مطلبة
موت الدوق دورليان
ابن ملك فرنسا

من شهر ايلول

يؤدي الى وقوع الحرب بينه وبين مملكة فرنسا. ومع ذلك اظهر النعم والحزن لموت هذا الاميرالذي لوبني لكان بينهما نسب وصهر لكنه حاول أن لا يتقوه بشئ في شأن دوقية ميلان ولم يرد تغيير شئ من مشاركة كريسبي مع أن الملك فرنسيس كان يلح عليه أن يعطيه شياً في شطير ما ضاع من نعم القواعد يموت ولده ولو كانت مملكة فرنسا زاهية زاهرة كالتالي الأولى لاشهر فرنسيس الحرب مع الإمبراطور بمجرد امتناعه عن اجابته فيما طلبه منه لكن كانت صغته قد ضعفت كشوكة وثروة مملكته وكان مشغولاً بمداخلة الانكليز عن بلاده فاضطر الى اخفاء مقده وصمم على الانتقام من الإمبراطور في وقت آخر يساعده على ذلك وكان من جهة ما تفتنته مشاركة كريسبي أن دوق سابوة تراد اليه دونه بعد وفاء شروط الزواج المقررة في تلك المشاركة فلما فات الزواج يموت الدوق دورليان خابت آمال هذا الدوق السيء الحظ ولم يترتب على مناقضة مملكة فرنسا في هذا المعنى إلا تجديد الحرب بين فرنسيس والإمبراطور

مطلب
اعطاء البايادوقية
برمة ودوقية بلينزنة
لأنه

وقد سبق الى اذهان اهل عتبة سالكه أنه سيعقب يموت الدوق دورليان منازعات بين الملك فرنسيس والإمبراطور وأنه يترتب على تلك المنازعات الحرب بينهما فيجربهم مدة اشتغال الإمبراطور عنهم بغيرهم أن يتقوا ويوسعوا دائرة ذنبهم فتمكن لم يصادف ظنهم بحلا كما لم يصيروا ايضا في ظنهم مثل ذلك حين حصلت حادثة أخرى فلتوا منها أنه سيعترب عليها الحرب بين الإمبراطور والبايا وهي أن البايا بولس لما كان دائماً يسي فيما تكون به ثروة عائلته ورفع شأنها قبل أن تضعف شوكة البايان ويقطع مقامهم حسماً كان يظهر له خاطري نفسه واعطى ابنه بطرس لوز دوقية برمة ودوقية بلينزنة مع جزمه لأن الإمبراطور يقتناط من ذلك ولا يحتره ابداً ولم يكن بطرس لوز المذكور ولداً للبايا من نكاح شرقي وزيادة على ذلك كان قبيح السلوك منهمكاً على المعاصي والمفاصد حتى كان يحسب عليه جميع من كان صالحاً مستقيم الخال فتعجب الناس من اوتقائه الى هذا المذهب الجليل وجانب ذلك البايامضا

العالم لا سيما وكان معظم أوروبا حينئذ يقدح في قبح اخلاق القسوس ويشنع عليهم ويصفهم بالمفسد والملائم وتظلم المعتزلة من ذلك وعدوه ما يجب نسخه وازالته وكان بعض الكرد مملكات يميل الى الاميراطور فناقضوا البابا في هذا التصرف المنكر الذي يترتب عليه تشتت اراضي الكنيسة واختلال نظامها ولم يرض الجي اسبانيا أن يحضر الجمع الحافل الذي عقد لتولية ابن البابا واما الاميراطور شارل كان غاميا اقرا رجعية للتولية متعللا بأن برمة وبلنسية داخلتان في ضمن دوقية ميلان ولكن لما كان هو والبابا ملتقين كل الالتفات الى مصالح ألمانيا غالبا المصلحة العامة على مصلحة الخاصة واخفيا الحقد والبغضاء لبعضهما ليلتقيا الى ما هو اهم والزم

وفي ذلك الوقت اغار الامير هنري دوق برونسويك على بلاد ألمانيا ففكر هدمها وراحتها وذلك أن هذا الامير كان قد حرم من بلاده حيث ضبط عليها الاميراطور حتى يقع الصلح بينه وبين اهل عصبة سمالكالده ومع ذلك كان لم يزل معتبرا بها في ألمانيا فوجد الملك فرنسيس أن يجمع لهم من بلاد ألمانيا طائفة كبيرة من العساكر ليستعين بها على الحرب مع الانكليز واعطاه فرنسيس من الاموال المبالغ المتفق عليها بينهما فجمع الامير هنري العساكر ولكن لم يذهب بها الى فرنسا بل اقتضى بها على بلاده مؤملا استرجاعها قبل أن يصل اليه جيش يعوقه ويمنعه عنها فتصير اهل عصبة سمالكالده وكان الملك فرنسيس أكثرهم تقيبا من هذه المصلحة التي تزري بالامراء ولا تليق بمقامهم وجمع امير هيسة مع السرعة العجيبة ما أمكنه جمعه من العساكر لصعد عساكر هنري واعانه عليه صهره الامير موريس واتاه مدد آخر من طرف الامير منتخب سكس فالتصعدت مرات على هنري • وكان هنري المذكور مع ما هو عليه من الجسارة والسرعة لدى المشروعات يهجز ويتردد عند تعييزها فاضطر الى التسليم مع ابنه البكرى ووضع في سجن ضيق حتى تغيب الاحوال وخلى سبيله

مطلب
اضرام هنري امير
برونسويك نيران
الحرب في بلاد ألمانيا

(سنة ١٥٤٥)
مطلب

نشر دين المعتزلة
في إقليم بلاطينة
لمسحي عند اهل
النسائية

١٠ من شهر كانون
الثاني

مطلب

انتقاد المشورة
القسيسية بمدينة
رتنة

وينبجح امير هيسة في هذه الواقعة ازدادت شهرة المعتزلة ودخل عديدهم
في اقليم بلاطينة صويت بذلك شوكتهم وعظمت صولتهم وذلك
أن الامير فريدريك الذي حكم على هذا الاقليم بعد اخيه لويز كان الناس
يظنون فيه أنه يميل الى دين المعتزلة فلما مات اخوه لويز وتولى حكمه
الاقليم المذكور ظهر على رؤس الاشهاد أنه من حزب المعتزلة وأنه لا دين له
سوى دينهم ولكن لما كان يؤمل أن مشاور الديانة والمذاكرات الطويلة
التي كانت تحصل في شأن الدين ستجزي ادخال دين المعتزلة في اقاليمه لم يرض
أن يخاطر بنفسه ويسعى في نشر الدين الجديد في بلاده الا أنه ستمت قسه
من طول مدة الانتظار ولم يرف في ذلك فائدة فاخذ بعض دين المعتزلة وينذل الجهد
في تأييده لاشياء وكان رعاياه يلحون عليه بنشره في بلادهم لانهم باختلاطهم
مع المعتزلة تمسكت من قلوبهم اصول الدين الجديد وعقائده وكانت حجة
المعتزلة المتجاوزة الحد قد خدعت نيرانها وتناقصت عن حالها الاول ومع ذلك
فاتشر الدين الجديد باقليم بلاطينة مع النظام التام حتى لم يحصل منه خلل
اصلا ونسخت العبادة القديمة وخلفتها الجديدة بدون ظهور محنة ولا تعكير
ومع ذلك كله فقد تأسى الامير فريدريك بالامير موريس حيث تباعد
عن عصبه سمال كالد ولم يرض بالدخول في زمريتها
وقبل انتشار الدرع الجديد في بلاطينة ببعض اسايح اختصت المشورة
القسيسية بمدينة رتنة مع الاحتفال والوقوف المتعاد وكانت الدول القاتوليكية
قد عولت على هذه المشورة وقصرت رعاياه اعليها حتى انها من مبدء ظهور
دين المعتزلة كانت تظن أن هذه المشورة هي اعظم واسطة في تعصيد دين الكنيسة
وتأييده ولكن كان هنالك افساس كثير ونحشون أن لا يترتب على تلك المشورة
فائدة للكنيسة لان الدوام فاما عن الداء صار الداء عضالا وقلماعدت عليه
المعالجة بالنعم وكان قد مضى على دين المعتزلة ثمان وعشرون سنة وهو آخذ
في الانتشار والازدياد حتى تمسكن من قلوب العباد ومع أن البابا ذكر في القرائن
الاخير بالذي صدر منه بقمع المشورة القسيسية أن اول مجلس لتلك المشورة

يكون في شهر اذار كانت مقاصده مباحة لمقاصد الايمبراطور فمضت السنة
بتمامها تقريرا والمذكورة على حالها تم تقضى وذلك ان الايمبراطور كان يفتنى
أن تشديد اواخر المشورة القيسية يتفرق قوس المعتزلة ويحملهم على التأهب
للمدافعة عن انفسهم وربما جعلهم شذوذا للحق والغيب على اتباع قننة كبيرة
فبذل غاية جهده في تأخير افتتاح تلك المشورة حتى يجهز ما يلزم من المواد
والمهمات ليأمن من عصبة المعتزلة ان حصل منهم قيام وعصيان ويجبرهم على
قبول الاوامر التي تصدر من تلك المشورة القيسية واما البابا فانه يادري حيث
رسله الى مدينة ترنت لتكون لهم الرئاسة على المشورة نيابة عنه وخوفا
من أن يكون عرضة للازدراء والاحتقار اوسى الناس فيه الظن اذاهول لم يسع
في عقد المشورة القيسية حيث كانت الكنيسة اذذاك عرضة للخطر وذلك
يستدعي منه فرط الهمة ومزيد السعي فبناء على ذلك دقق في أن تنقل المشورة
القيسية الى مدينة من مدائن ايطاليا او توخر الى وقت آخر او تبدأ حالا
في المذكورة بدون مهلة ولا تراخ فلم يرض الايمبراطور بالامر من الاولين لانه
يترتب عليهما اغضاب اهل ألمانيا من فلوليكية ومعتزلة ولم ارأى أنه لا يمكنه
المحاولة في الامر الثالث امر بعقدها بشرط أن يبدأ فيها بالمذكورة فيما يخص
العقائد الدينية وكان ذلك اعظم ما يحضاه ديوان رومة حتى كان قصده
من محال لانه في ذلك انما هو منع البحث في هذه المواد حيث كلفه تقضى عواقبه
• ومع أن البابا پولس كان دون اسلافه من البابا في التدقيق والشديد
في عقد المشورة القيسية لم يكن اقل منهم غيرة على شوكة وصولته فرأى
أنه ان بدت المشورة بالمذكورة في هذه المواد تشفى فيه المعتزلة ورأى ايضا أنه
اذا كانت المشورة القيسية تجعل تلك المواد مطمح نظرها ولا تلتفت الى غيرها
وأن قسوس الدرجة الثانية يتصرفون كيف شاؤهم ويرتبون اصولا وقوانين
يعمل بمقتضاها القسوس الذين هم اعلى منهم منصبا واعظم شوكة واقرى صولة
اضر ذلك بالكنيسة كل الاضرار واقوعها هذا الامر في المذلة والصغار فبناء
على ذلك لم يصغ لقول الايمبراطور وافادوا به أنهم يتقنون المشورة قورا

(سنة ١٥٤٥)

١٨ من شهر كانون

الثاني

مطلب

اعمال المشورة

القيسية

فمضى اقل مجلس منها في بيان طرق المذاكرة وكيفية انعقاد المشورة وفي المجلس الثاني حصل الاتفاق على أن الهم والارزاق هو تحرير دفتر يشتمل على سائر العقائد التي تأمر الكنيسة باعتقادها والتصديق بها وأن يبحث عن الوسائل التي يترتب عليها تحسين اخلاق القسوس وجعلهم على الاستقامة وحسن السلوك فبمجرد أن سمع المعتزلة ذلك من نواب البابا ورأوا أنهم نطقوا به على وجه يشعر بالتكبر والامر لا على وجه ابداء الرأي وأن اغلب ابواب المشورة قد اطمروا الاقياد والامتنال لقول هؤلاء التواب علوا ما يصدر في حقهم وما يصحكم به عليهم في هذه المشورة وتجبوا لكل العجب حيث رأوا اربعين قسيسا من الاعيان (لانه لم يعهد مثل هذا القدر في مشورة اخرى) يجعلون انفسهم نوابا عن الكنيسة ويحكمون بطريق النياية عنها في المشكلات من العقائد الدينية بل لحق المشورة نفسها من الخزي واغفل من تلك الوطاحة وعدم الحسنة ما افضى بها الى البطي والترسخ في المذاكرة حتى مكنت مدة وهي بهذه المشاية ويميز ما بلغ عصبه جمالكاد اقتتاح تلك المشورة ثشروا تقريرا جديدا يشتمل على قتلهم وتشكيهم من انعقادها وعلى الاسباب الحاملة لهم على عدم اقرارها والرضا باحكامها ومع ذلك كان كل من الاميرة اوطور والبابا لا يأمر بالاسراع في المذاكرات حتى ظهر أنهم مشغولان بمصلحة اهم من ذلك ولعظم

مطلب

خوف المعتزلة

ولكن كان المعتزلة لا يمكنهم ان يغفلوا عن حركات الاميرة اوطور والبابا واطوارهما بل كانوا يرتابون من ذلك وتزايدت بهم الوسوس والاوهام بما كان يلقفهم من سائر الجهات من اخبار العصب التي كانت تدبر في شأنهم قد اخبرهم ملك انكثرة بأن الاميرة اوطور متهم منذ مدة طويلة على محي دينهم وابطال عقائدهم ولا شك أنه في هذا الوقت ينجز ذلك الغرض لان بلاد ألمانيا في صلح وامن خالية عن الفتنة والتكبر ان تغلب لفرصة في هذا المعنى اعظم من ذلك • وكذا تجلب مدينة او كسمورغ التي كانت حيث من أعظم المداخن التجارية اخبرهم مراسلوهم الذين كانوا يبلاد ايطاليا كانوا يملون باطنا

مطلب
مذاكرة المعتزلة

الى دينة المعتزلة بان الامير الطور والبايا قد تعصب اجمع بعضهم على المعتزلة عصبة
خطرة ويلقبهم ايضا بملك البلاد الواطية أن الامير الطور قد أمر بجمع
عساكر منها ومن غيرها من دولة لكن مع الاحتراع التام في اخفاء هذا الامر
فكل ذلك قوى الرمة والوسواس في نفوس المعتزلة حتى جرموا بان الامير الطور
قد قوى لهم نية سيئة وداخلهم الرعب والفرع فاجتمع وصكلاء عصبة
مع الكالاد بمدينة فرنكفورت واخبر بعضهم بعضا بما عنده حتى تقنوا
أنهم صاروا عرضة للاهوال والخطار ولكنهم لم يتكفروا في الالتئام والاتحاد
مع بعضهم بقدر ما كانت تقتضيه الاحوال اذ ذلك ولا مانع من استنزاه التجهيزات
الجسمية التي كان اعداؤهم يتأهبون بها فان تلك العصبة وان كانت موجودة
منذ عشر سنوات الا أن اراضي اغلب الامراء الذين كانوا من اربابها كانت
متداخلة في بعضها وكانت العائلات متروجة من بعضها وكان بين تلك البلاد
معاملات ومخاطبات كثيرة فاجب ذلك أن صارت كل بلدة تدعى على
الآخرى وكل امير يدعى على الآخر وكل عائلة تريد اثبات حقها على الاخرى
وحصل الشقاق والتنافس بينهم فكان بعضهم يميل مثلا الى دوق برونسويك
ويؤم حاكم هيسه على اسائه لهذا الدوق القليل الخرم والحط ومعاملته له
بالقسوة والصعوبة وكان بعضهم يتهم كلاما من الامير منتخب سكس والامير
حاكم هيسه رئيسي العصبة بأنهما لا سراقةما وعدم تدبيرهما قبلوقعا
المتعصبين فيما اقتضيه اموال كثيرة ومبالغ جسيمة بلا فائدة وكان هذان
الاميران العظيخان لقوة شوكتهما وصلتهما يحكمان على العصبة ويتصرفان
فيها بما ارادا ولكن كانت مقاصدهما متباينة واغراضهما مختلفة حتى قوت
هتما حين كانت الاحوال تقتضي مزيد الالتفات واليقظة اما حاكم هيسه
فكان مع جسامته وعدم اكترائه بالاهوال واقصام الخطار لان نفسه غيرته
الذنية مصالحه المخصوصية واغراضه السياسية فقال ان اعظم واسطة
تقي المعتزلة عما هم عرضة له من الاخطار هو سعيهم في الدخول تحت حماية ملك
فرانسا وملك انكلترا او معاهدتهم مع اهلالم المعتزلة من بلاد السويصة

فانما تعينهم كل الاعانة وامانتخب سكس ، الذي كان اعظم اهل ذلك
العصر على الاقامة فكان لا يعجز عن الحكم مع الخزم والحدق في اوقات
خالية عن الفتن والتعكيرات الا انه كان شديد التولع بدين لوتير حتى حله
ذلك على بغض من كان يشك ولو في عقيدة واحدة من عقائد هذا الدين
فأقضت به غير موحيته على الدين الجديد أن صار لا تسعه المداخلة عنه
في اوقات الفتن والتعكيرات وكان يعتقد أن امور الدين تقتضى اصولا وقواعد
مغايرة لاصول السياسة فضل بتعويله على آراء لوتير الذي كان لامعرفة له
بالاصول السياسية بل كان يحتقرها ولا يعبأ بها فلذا كان هذا الامير شديد العناد
وطالماجر عناده الى الاضرار بحزب المعتزلة ولما كان بهذه الصفة ابى أن يدخل
في المعاهدة مع الملك فرنسيس متعللا بأنه كان يحجف بحزب المعتزلة الذي
هو على الحق واني ايضا أن تعاقد مع ملك انكلترا حيث كان يرى أنه اشد
كفرا وضلالا من البابا وامتنع من معاهدة اهل السويصة لانهم كانوا
يحالفونه في بعض عقائد من دين المعتزلة كان يراها عجيبة لا بد للدين منها ولا تخفى
عاقبة اختلاف هذين الاميرين وتباين آرائهما في مثل هذا الغرض المهم
فان كلامهما كان يلوم الاخر ويشنع عليه سرا . أما حاكم هيسة فكان يرى
أن عقل منتخب سكس ضيق قاصر قد استولت عليه الاوهام الفاسدة
والعقائد الكاسدة وهذا لا يليق بامير كان صدر حزب المعتزلة ورئيس عصبتهم
واما منتخب سكس فكان يثمه بالتساهل وان له اغراضا مبنية على
الطمع لا تليق بهذا الغرض المحترم المتعلق بامر الدين الذي تصديا لتعضيده
وتأييده ومع أن تدقيق منتخب سكس منع من اتهاز الفرصة في الاستعانة
بالاجانب وكذلك ما كان بين الامراء من الغيرة والمنافسة منع من ضرب اجل
آخر للعصبة لان اجلها المحين كان قد فارقت التمام اجمع اهل تلك العصبة ملأ قام
بهم من الفرع على امور اخرى يحترسون بها فاتفقت كلمتهم على أن لا يقرروا
انهم قد المشورة بمدينة ترسة ولا يرضوا باضرار امطران كولونيا في نظير
كونه اراد ادخال الدين الجديد في ابرشيته

(سنة ١٥٤٦)

مطلب
مدأولات المعتزلة
مع الايمراطور

ولما أراد احكام هبة أن يقف على حقيقة مقاصد الايمراطور يروكيان
يعلم أن الامير غرانويل لا يقتضى عليه تلك المقاصد كتب اليه فيجده عن بعض
حوادث اوقعت الشك والريبة في قلوب المعتزلة من الايمراطور وطلب منه
أن يخبره بحقيقة الحال حتى يعلم المعتزلة ما لهم وما عليهم فأجاب به غرانويل
بأن ما بلغ المعتزلة في شأن تجهيزات الايمراطور لا يخلو عن مبالغة وأن فرغهم
لم يصادف محلا وانما الواقع أن الايمراطور لم يزد تصد حفظ ضواحي ممالكه
وامنها من تعدى مملكة فرانس ومملكة انكلترة صدرت منه اوامر
بجميع عساكر قليلة من مملكة البلاد الواطية وهو لا يود الاجاء الصلح والامق
في بلاد ألمانيا

ولكن لم تكن حالة الايمراطور موافقة لهذا الخبر لانه عوضا عن أن ينتخب
اناسا مشهورين بحسن الاخلاق وطيب النفس للمدافعة عن الدين القاتوليقي
في المذاكرة التي اغضب الراى عليها انتخب اناسا تولعهم بدين القاتوليقيه أكبر من
تولع منتخب سكس بدين المعتزلة فحصل اليأس والقنوط من امكان الاصلاح
بين الفريقين وذلك أنه ~~ككل~~ بتأييد الدين القاتوليقي قسيس من قسوس
اسبانيا يقال له مالواتده فدافع عنه سالكا في ذلك مسلك العلماء المتفلسفين
الذين من دأبهم التدقيق في المحاورات والمناظرات لاجل الختام الخصم لا لانظهار
الحق فغضب المعتزلة من مشاغبه وسفسطايتيه وتظلموا عن محمد بن اصف
القوانين التي امر الايمراطور بالعمل بمقتضاها في هذه المذاكرة وتزكوا المجلس
وفضوا المشورة على وجه خشى جازمين بأن الايمراطور لم قصد
الاتحاد عنهم ومشاغلتهم حتى يسع معه الوقت ويدبر أمره كيف شاء

انتهت المقالة السابعة

• المقالة الثامنة •

من اتحاف ملوك الزمان • بتاريخ الايمراطور شريكان
وبينما كانت الاخطار تزدها وتداولها لايام حتى اشرفت النكبات أن تنال المعتزلة
اذا ختمت المنية لوتير واستراح من رؤية تلك الشدائد والنكبات المفزعة

مطلب
موت لوتير

وذلك أنه كان ضعيف الصحة وبلغه وقوع فتنة في حديقته ايسلبان التي هي اصل غرسه ومسقط رأسه فتوجه اليها في شدة القتر والبرد فاصدا اطفاء نيران هذه الفتنة وكانت بين قوتات فاصقيلك فاصيب بالتهاب شديد في الامعاء اضفى به الى الموت بعد ايام قليلة في السنة الثالثة والستين من عمره ولما كان قد اعلمه الله سبحانه وتعالى لتبجيل سادته من اعجب الحوادث التي نقلها الينا التاريخ اختلف آراء معتدى مناقبه قدما ومدا خلافا لم يقع لاحد قبله وذلك لاضطراب آراء اهل عصره في شأنه فكان بعضهم لشدة غضبهم منه على كونه تجاسر على نسخ جميع ما كانوا يودون بقاءه لا وهامهم الباطلة او لصالهم للخصوصية ويعتدونه من الاركان المقدسة التي لا يجوز هتك حرمتها يصفونه بأنه جامع بين فواحش الانسان وخبائث الشيطان وكان بعضهم يحبه ويثنى عليه ويقول انه مصباح الدين وراغب اعلام حريته وينسب اليه من الفضائل ما هو فوق طاقة البشر حتى كان يعتبر جميع افعاله ويحترمها الاحترام الذي لا يحصى به الا الانبياء والاصفياء ولكن لا ينبغي لاهل هذا العصر من الافرنج أن يحكموا عليه بموجب قدح معاصره او مدحهم فان ذلك لا يصلح عن مبالغة بل الحق لكم عليه بموجب سلوكه وافعاله فيقال ان لوتير كان له تولع كبير بما وقع في ذهنه أنه الحق فتشره مع المهمة المحيية ودافع عنه مع الحدة والمهارة التي كلفت فيها المطيع او اكسبها من مطالعة الكتب العلمية وكان لا يكل ولا يمل من تأييد ما يعتقد أنه الحق وتعضيده وكان في هذه الصفات على اعلى درجة حتى ان اعداءه لم يحكمهم منازعته فيها ويزاد على ذلك انه كان مهذب الاخلاق وكان يسلك مسلك التقشف والتعفف الذي يليق بامثاله من المشرعين المتصدين لازالة الفاسد والاثم وكانت معيشته تلايم مذهبه وتدينه ولتتروهم عن الاغراض وتسويته بين الناس كان لا يشك احد في حسن نيته وصفاء باطنه وخلوص طوره وبالجملة فكان لا يعتنى بمصالحه الخصوصية بل يحقر الزاهية من انواع الزينة والملاذ فترك المناصب والوظائف الدنيوية وتره عن الايرادات القيسية لاجرا به واتباعه واكتفى بوظيفته الاولى وهي وظيفة الوعظ بدينه

ويتأثير حيث كان موظفا بالتدريس في مدرستها واكتفى بالهبة القليلة
التي كانت مرتبة لهذه الوظيفة غير أن هذه الصفات العجيبة كانت مشوبة ببعض
مشالب لا يسل منها النوع البشري وإن كانت لا تدل على خبث نفسه ولا سوء
سريته لأنها ناشئة عن إفراطه في الفضائل وحيد الحلال إفراطا تجاوز فيه
الحد وذلك أنه بالطبع كانت لهجة شديدة فكان إذا حصل مقتضيا
في مقصد جسيم أو مشروع عظيم فخرجه عن أطواره وقرنه شدة عجيبه وقوة
خفية تنهض منها القول الضعيفة وتستثيرها النفوس التي ليست بالهجة
موصوفة ويزرع منها كل من لم تلقه نكبات الدهر وخطوبه ويميز منها من
لم تلعبه صروف الزمان وكرهه فقد كانت بعض صفاته المحمودة تتجاوز حدودها
فتفضي به إلى ارتكاب ما يلام به عليه حيث كان يقنه وجرمه بحصة آرائه
وأصول مذهبه يجره إلى التكبر والازدراء بغيره وكان اهتمامه بتقديم هذه الآراء
وتوسيع دائرتها انما هو محطرة ومجازفة وكان قبحه في تأييدها ليس الاعناد
ومخالفة ولم تكن جيته في الخيام اخصامه الاجنونا ترتب عليه مسببات شنيعة
واتصاصات خسنية قطعية ولما كان طبعه ترجيح ما يرى أنه الحق على الباطل
واحترامه غاية الاحترام كان يلزم غيره بأن يحترمه مثله ولا يلتفت الى قصور
عقول الناس ولا إلى ما هو ممكن في نفوسهم من العقائد الباطلة والادواهم
العاطلة فكان يحترق من لا يعتقد اعتقاده ويقدر فيه ويستشع عليه وإذا
تعرض احد من اخصامه للقدح في مذهبه اساءه ولم يوقره غير ملتفت الى كونه
خطيرا او حقيرا ولا الى كونه من ذوى الفضل او غيرهم الا ترى مسبته لما
انكثرة والعالم ايراسم بماسبية من دونها وهو تزييل واكسيوس
ولكن لا ينبغي أن يقتصر على نسبة تلك الاسات والمسابات الى مجرد دعيته وحقته
طبعه بل ينسب ذلك ايضا من بعض الوجوه الى فساد اهل عصره وجهالتهم
فان الناس كانوا حينئذ خشنين لا معرفة لهم بالاصول التي تمنعهم عن شهواتهم
وتردعهم عن أهوائهم فحسن بها الجماعات البشرية وتكسب بها الكرمين بركة
الانس والطائفة فكانوا في مقام المجادلة تبلغ بهم الحجة منها هالان ما يقوم

بأنفسهم الخشنة تفصح عنه الستهم بما هي متعقدة عليه من عدم اذقة والملاحظة وكانت حينئذ جميع تاليف العلماء باللغة اللاطينية وكانوا يستزرون فيها باخصامهم استزاء فاحشا ويشنعون عليهم اطلع تشنيع فاقبدي بهم في ذلك لوتير وغيره الا أن الاساءة بلغة مهجورة كهذه اللغة يظهر أنها اقل غشا بما اذا كانت باللغات المشهورة المستعملة لان الفاظ تلك اللغات لتداولها بين الناس وكونها مطروقة على الستهم تظهر بها الاساءة الخشنة واشنع مما اذا كانت بالفاظ اللغات المهجورة

واذا اردت الوقوف على طبيعة انسان فاحكم عليه بما تقتضيه اصول عصره واحكام زمانه لان القضايل والذائل وان كانت لا تتغير بتداول الازمان الا أن الاخلاق والعوايد يلحقها التغيير والتبديل فما يظهر لنا الآن مذموم ما في افعال لوتير لم يكن بهذا الوصف عند اهل عصره بل حصل أن بعض الاخرطاط التي تلوم عليها الآن قد اعانته على تمييز مشروعاته ومقاصده فكان لا بد من شدة الحمية وفرط الجسارة في ايقاظ هؤلاء الناس اذ الذين غفلت الجبهة ونسولهم من احوال الاوهام واما الذين والرفق فكانا لا يؤثران شيأ في تلك النفوس الالية فلو كان هناك من هو اكثر دقا من لوتير واقل منه حمية نخشى أن يحاطر بنفسه ويعرضه للهلاك فيما اختصه لوتير من الاخطار ونظرفيه بمرامه وفي اواخر عمره لم تقهره همة ولم تنقص معارفه بسبب ضعف صحته بل ازدادت حيمته واشتدت غيظه وصار اقرب للغم والغضب ولا يجحد في نفسه صبرا عند المجادلات وقد حفظني بنجاح حيمته حيث رأى انتشار دينه واتساع دائرة مذهبه في جزء عظيم من بلاد اوربا ورأى ترزول اساس شوكة الباباوات واضطراب صولتهم ولم يسلم من العجب والكبر بسبب اظهار بعض ما قام بنفسه ولو لذلك تخرج عن دائرة البشر لما خيروه من المشروعات الجسيمة والهاضمة العظيمة

وقبل موته بمدة احس بالخطا طقواه وتناقص صحته وضعف بنيته لانه مع كثرة مصالحه كان مشغولا آناء الليل واطراف النهار باداء وظائفه ولما قام مدة عزله

وكلوا تمنى التعب في التأليف حتى بلغت مؤلفاته مجلدات ضخمة ولم تقرب
وفاته لم يزل على عزمه المعتاد فكان يتحدث مع احيائه واصحابه في شأن السعادة
الابدية المذخرة لاهل الحق والعدل في الدار الآخرة وبعد أن تضرع الى الله
سمانه وتعالى أن يجعل له حظا في تلك السعادة شفق شفقة فالتقى بها الحياة وفرح
القائولية ~~كل~~ الفرح حين يظفهم خبر موته وقدرت همه احرابه لان كلامه من
المعتزلة والقائولية كان لا يظن أن الدين الجدي قد تمكن حتى يمكن بقلوه بعد
قدمه وضع اساسه وقد صنع له منتخب سكرس جنازة غريبة ذات ابهة
واحتفال واعقب لوتير عدة اولاد من زوجته كثرته بورة التي عاشت
بعده وفي اواخر القرن الاخير كان يوجد بلاد سكرس من ذريته من هو مقلد
بعض الوظائف السامية والمناصب الجليلة العالية

مقابل

سعى الايمبراطور
في مخادعة المعتزلة

٢٨ من شهر اذار

ثم ان الايمبراطور لم يزل على منهجه القديم من خداع المعتزلة ومحاولة فكك
يداهم ليزيل ما في قلوبهم من الرعب والخوف ولاجل اتقان المخادعة
والمداينة اختلى مع حاكم هيسة وكان امهر عصبة المعتزلة واشدهم
احتراسا من الايمبراطور فلما اجتمعوا في الخلو اغاده الايمبراطور أن آماله متعلقة
بتحصيل السعادة والراحة لبلاد ألمانيا وأنه يفيض سلوة مسالك الشدة
والعنفوان وأنه لم يقد عصبة لاضرار المعتزلة ولم يجهز تجهيزات فوجب رعبهم
وفرعهم واكد ذلك حتى ان حاكم هيسة خرج من عنده وهو على غاية من
الامن والاطمئنان فترتب على هذه الحيلة ما كانت آمال الايمبراطور متعلقة به
وذلك أن حاكم هيسة بعد هذه المقابلة التي حصلت بينهما بمدينة سيرة
توجه فورا الى مدينة ورمس وكان ارباب عصبة سالكه مجمعين بها
فبالغ لهم في حسن مقاصد الايمبراطور وحثي لهم ما شاهدوه منه فراء وأنه لا فائدة
في التجهيل بالاحتراس من خطر بعيد الوقوع او وهي لاحقة له وبسبب ذلك
أن دأب اهل ألمانيا وطبيعتهم التواني سوتور الهمة او أن عقولهم غلب
عليها البطو والتردد الذي لا تسلم منه المشاور والجمعيات الكبيرة لدى المفاوضات
والذاكرة

• (المقالة الثامنة) •

تاريخ الإمبراطور شرلمان

٢١١

(سنة ١٤٤٦)

مطل

ما حكمت به الجمعية

القيسية في شأن

المعتزلة

٨ من شهر نيسان

ولكن عماد قليل حصلت حوادث جديدة ازالت اعتقاد المعتزلة في صحة مواعيد
الإمبراطور وذلك أن المشورة القيسية المنعقدة في مرتته مع أنه لم يكن فيها
الاعدد قليل من قسوس إيطاليا وإسبانيا ولم يحضرها احدا من رسل
المعتزلة ارادت نظريتها من مكثها زينا طويلا بدون تعيين شيء أن تنهى بعض
مسائل مهمة فامتصت أولا الفرض من المنازعة والشقاق بين الكنيسة وحرب
المعتزلة وحكمت برأيها التي تعبر عنه بأنه المنزه عن الخطأ والزلل أن الكتب
الدينية التي كانت محكوما عليها الى ذلك الوقت بانها منكورة ولا تقرها الكنيسة
تكون من الآن فصاعدا معتبرة معمولا بها كساير كتب العهد القديم والجديد
المعتبرة دستور العمل في زمن بني اسرائيل واولائل النصرانية وأن الروايات
المحفوظة في الكنيسة المأثورة من عصر الحوارين تكون ايضا معتبرة محترمة
ككتايف المصنفين من القديسين وأن الكتاب المسيحي وولغاة وهو
ترجمة الكتب المقدسة باللغة اللاتينية للقديس جيروم يجري عليه العمل
في سائر الكنائس والمدارس ويكون الاعتماد عليه والرجوع اليه وأنه صحيح
الترجمة محرر العبارة ودعوا باللعنة على من يناقض في صحة ما حكموا بعصته فلما
رأى المعتزلة أن هذا الحكم يضر بدينهم علوا ما استحكم عليهم به تلك المشورة
حين ترى لذلك فرصة وتخص عقائدهم تفصيلا

وكما اسبرعت تلك المشورة في الحكم بخطأ عقائد المعتزلة اسرع البابا بغضب من
كان يعتقد هاو يعمل بها وذلك أن رهبان كولونيا رفعوا شكواهم
في مطرانهم الى ديوان رومة فاختذ البابا ذلك وسيلة في اظهار بطشه ووصلته
ليرى قسوس ألمانيا أن مقاومة الكنيسة الرومانية انما هي غرور ومخاطرة فقل
مضت المدة المعلومة ولم يحضر المطران ولا من يتوب عنه حكم عليه بأنه من
المعتزلة انخلوا ح وصدر منه فرمان بكفر هذا المطران وحرمانه من نعم الكنيسة
وعزله عن مناصبه القيسية ومعافاة رعاياه على عيبه فاعلم من الاذعان
والطاعة من حيث كونهما حكم السايي وكان هذا فرمانا مبنيا على أن
المطران المذكور قد استحق هذا الحكم لكونه تصدى لهامة دين لوتير

١٦ من شهر نيسان

والاستمرار ومع ما كان يبذله البابا من الجهد في المدافعة عن حقوق الكنيسة
واذلال من تجاسر على هتك حرمتها لم يعتقد المعتزلة أنه قد تجاسر من لقاء نفسه
على فعله ذلك بهذا المجران الذي هو ملك عدة دول ومعدود من منتجبي
الايمبراطورية بل جزموا بأنه معقول في ذلك على ذى شوكة قوية حتى تجاسر
وغداوا امره في هذا المعنى وغضبوا كل الغضب من هذا القرمز ورواوا أنه
دليل على خبث طوية البابا والايمبراطور في حق حرزهم ورجاعتهم

وقد ازدادت حيتهم بمظهر لهم من أن الایمبراطور كان يسلك معهم
سل المخادعة والمداينة وقد رأى الایمبراطور أيضاً أنه يلزم كشف الخبايا واطهار
مقاصده ولما لم يكن مستعداً حق الاستعداد بما يلزم لتخيير اغراضه صار يحاول
ويخادع حتى اتسع معه الوقت واخذاهيته وكان البابا يحكمه على منضبط
كولونيا وبالأوامر الصادرة من المشورة القيسية قد غير احوال المصالح
حتى كان لا بد من وقوع التعاقب والشقاق بين المعتزلة والایمبراطور فبناء على ذلك
لم يبق للایمبراطور الا أن يفعل احداً من اماناً أن يناقض الكنيسة الرومانية
في الاحكام الصادرة عنها او يقوم بتعريضها وتأييد دين العاتوليفية على دين
المعتزلة ولكن لم يكنف البابا يكون هذه الافعال قد الرمت الایمبراطور باظهار
مقاصده بل اخذ يلح عليه باضرار المعتزلة وتدميرهم ووعد أنه يساعد بكل
واسطة تعينه على الجاح والتفريقهم فانظر الى البابا كيف ماقت به رجيته
الشديدة الى نسيان قاعدة سياسة من قواعد الكنيسة وهي منع الشوكة
الایمبراطورية عن أن تتعدى حدودها وأنه لقد صدق المعتزلة اقتضاه سدا عاد

عليه وعلى سائر بلاد ايطاليا بالضرر
وكان الایمبراطور حينئذ لا يخشى أن تساعد عليه الدولة العثمانية مقاصده وتوقعه
عن تغييرها لان المداولات كانت لم تزل مستمرة بينه وبينه هذه الدولة منذ انقصد
صلح كريسبي وكانت تلك المداولات قريفة للاتهام على احسن حال وكان ملك
فرانسا يريد انقاذ نفسه مما وعليه الایمبراطور من الانضمام معه لقتال
السلطان الذي كان حليفه من قبل وذلك أنه لما كان انضمامه الى الایمبراطور

مطلب
بده الایمبراطور
في اظهار عداوته
للمعتزلة

مطلب
مداولات الایمبراطور
مع البابا

مطلب
المهادنة المتوقعة
بين الایمبراطور
والسلطان سليمان

قتال السلطان الذي كان حليفه من قبل وذلك أملا كان انضمامه
الى الاميراطور قتل هذا السلطان مما يري به ويخشى عرضه بذل جهده
في ايقاع الصلح بين السلطان والاميراطور فرفض السلطان بمهادنة خمس سنوات
رعاية سلطان فرئيس لاسباع وكان العمل انذال الحصول قوا الى محاربة الهجم
لانهم كانوا يصالون الصوم على دوله وكان البند الاصل في مشاركة هذه
الهدنة هو ان كلا من الفريقين يتولى على ما هو تحت يده من بلاد البحار
والترزم فرد يتد أن يدفع للسلطان كل سنة خمسين الف ايكو على

عيل الجزية

ولكن كان الاميراطور يعتمد كل الاعتماد على الامداد الذي كان يرجوه من بلاد
ألمانيا لانه كان يعلم أن الجمعية الجرمانية لكبرها واتساع بلادها يتعذر عليه
تحمها وقهرها اذا اتحدت والتأمت مع بعضها فلا يمكنه أن يدخلها تحت الطاعة
الا اذا وقع الشقاق بين اهلها وسلط بعضهم على بعض ولو فرضه كانت الروابط
حيث بين اعضاء هذه الجمعية ضعيفة واهية فكانت اجزائها تحاول الانفصال
عن بعضها حتى كان من المستحيل أن تنضم الى بعضها لتتميز غرض مهم
او مشروع جسيم لراكم اسباب التضايق والشقاق وتكاثرها بينهم وذلك
أن القساوولية الرومانيين لما رأوا أن اعلام دينهم قد تنكست في عدة اقاليم
ورأوا أنه صار قريبا الزوال في عدة اقاليم اخرى قامت بهم حية عجيبة حتى
ظهر عليهم أنهم مستعدون لان يذلوا جهدهم في اعادة من هم بتدمير المعتزة
ويسعى في محو دينهم وكان قد اشتد الغضب بالامير خلدو وبراندبورغ
والامير ألبرت دو براندبورغ وغيرهما من امراء ألمانيا لما صنع اهل
عصبة سمالكالد مع الامير دوق دو برونسويك فكانوا جميعا ينتظرون
مع القلق التام فرصة تخلصهم على اخراجه من السجن والاستقام له من اعدائه
وكان الاميراطور شرلكان يرثا دفرحما كلما ازدادوا اعداؤه فلما رأى أنهم
صاروا مستعدين لقبول ما يعرضه عليهم ظن أن الاوفى به تسكين غضبهم واتخاذ
نيران جيتهم لا اضرامها

مطلب

استقالة الاميراطور
للامير موريس وغيره
من اعيان امراء ألمانيا

(سنة ١٥٤٦)

مطلب
 انعقاد مشورة الديقة
 بمدينة رانسبوة

فكنا صكات حالة المصالح واحتراس الایمراطور من جميع الحوادث
 حين افتتحت مشورة الديقة بمدينة رانسبوة وقد حضر في هذه المشورة
 اغلب اعضاءها من القانوليقية ماتصهم واما ارباب عصبة سجالكاله فارسل
 عشرة منهم اليها قوا بامتعالين بأنه لا يمكنهم تحمل المعاريف في هذه المشاور التي
 لا فائدة فيها ولكن السبب الحقيقي الذي منعهم عن الحضور بها انما هو ارتباطهم
 من الایمراطور وخوفهم من أن يحصل لهم فيها الزام واحد كراه على اقرار
 ما يجر من على ارباب المشورة ومع ذلك فقد افتتح الایمراطور المذاكرتها
 بخطبة سلك فيها سلك الخداع والتصيل والمكر وذلك أنه اتى فيها بالقضايا بجملة
 مهمة توهم رغبته في تحصيل سعادة الجمعية الجرمانية وأنه لغرض نشر الامن
 والاطمئنان يترك مصالحه التي تخص نفسه واني أن يقبل قول رعاياه من
 الاسبانول وغيرهم في الحاحهم عليه بالامانة عندهم والمكث في بلادهم
 ثم قال مع الحاسة والغضب انه قد تختلف جماعة من اعضاء المشورة عن الحضور
 بهامع حسن نيق وطيب سر رقي وقد حضرت فيها بنفسى وتركتم مصالحى
 الخصوصية ثم تكلم في شأن المصائب الحادثة بالناس بسبب ما وقع بينهم في الدين
 من النزاع والشقاق وتشكى من كون ما بذله من الجهد في تسكين هذه الفتنة
 قد ذهب سدى وصار عديم الجدوى وتشكى ايضا من خروج العقلة مغضين
 من المذاكرات الاخيرة وختم الخطبة بطلبه من ارباب المشورة أن يتخذوا
 ويسدوا آراءهم بما يكون به ازالة هذا النزاع الواقع في الدين ببلاد ألمانيا
 وما يكون به ايقاع الالفة والاتفاق بين عقول الالمانيين في العقائد والاصول
 الدينية حتى تصير العقيدة عند الجميع واحدة ويكونوا على سنن آباؤهم
 واسلافهم حيث صكوا يرون أن هذا الاتحاد يعود بالنفع على مصالحهم
 السياسية حسبا يقتضيه دين التصيرية الذي كانوا يتدينون به ويعملون
 بمقتضاه

فبهذه الطريقة الخداعية التي سلكها الایمراطور في طلب آراء ارباب المشورة
 عوضا عن أن يلزمهم رأيهم ترى من حاله أنه على غاية من التواضع لخاول بذلك

أن يعرب علمي ضميره منظره أنه لا يثبت لنفسه حظ سوى كونه ينفذ ما يحكم به
 ارباب تلك المشورة لكنه لم يظهر الاذعان لما تخط عليه أو أوهم الاجتزاء بأنها
 تلايم اغراضه ومقاصده اتم الملايعة فاجلبها لتناول لينة لحجهم على دينهم
 او لما يبعدونه فيه من الاعانة لحزبهم بلن المشورة القيسية المنعقدة في ترسة
 ستحل كل اشكال من المسائل الخلافية وأن كل ضرر اني يجب عليه أن يذعن اليها
 ويمثل لا واصر هام من جهة ككونها احكاما دنية منزعة عن الخطأ والزل
 ثم ترجوا الاميراطور أن يستعمل ما انعم الله به عليه من الصولة وعظيم السطوة
 في حماية هذه المشورة وحمل المعتزلة على الاذعان لما تحكم به هذا وقد علم المعتزلة
 تقريره كروا فيه منافعهم في شأن مشورة ترسة ثمذكروا أنه لا سبيل
 الى انهاء المنازعات والجدالات الا اذا انعقد في ألمانيا مشورة قيسية
 او ملية وحضرها مقدار معلوم من قسوس الفريقين ليجشوا في المسائل
 الخلافية ويحكموا فيها كما يرون ثمذكروا أن عدة من مشاور الديانة
 قد ساعدتهم في هذه الامور حين عرضها عليها حتى اتموا أن المنازعات
 سيكون انهاؤها على احسن حال فالتشدوا الاميراطور ان لا يفتق وعده لانه
 بتطبيقه وتشديده في الامور الدينية وحل الناس على اعتقاد ما لا يقبله عقولهم
 يوقع بلاد ألمانيا في مصائب وشدة تدجزد نصورها ينصن بالقزع والانتزاع
 قلب كل من اخب الوطن حبا صادقا فتلقى الاميراطور هذا التحرير وهو يتسم
 كالمستعزى ولم يعأ به ابد الا انه كان قد صمم على ما اضمره منذ من طويل فلما رأى
 أنه لا يمكنه منع المعتزلة الا بالقوة والجبر بعث كرديشال ترسة الى روم
 ليقد مع البابا معاهدة كانت شروطها معلومة قبل عقدتها وامر في ملكة
 البلاد الواطية بجميع طائفة من العساكر لتتوجه الى ألمانيا وامر عدة ضباط
 بجمع عساكر من بعض اهل الاميراطورية ثم اخبر الامير حنادوبراندبورغ
 والامير البيرتدوبراندبورغ بأنه قد آن اوان المساعدة وأن هذا الوقت
 يعينهما على خلاص خليفهما الامير هنري دوبرونسويك
 ولم يقف هذا الامر على المعتزلة لأن من اودعوا هذا السر كانوا كثيرين كثره

بالفتح ومع أن الإمبراطور كان لم يرزل يتصل في اخفاء مقاصد كان ضباطة
لا يسلكون في ذلك مثل الاحتراس اصلا بل كانوا يعتقدون تلك المقاصد
أمام حلفاءهم وعياده فطلق رسل المعتزة فزع كثير من التجهيزات الحربية التي
كانت نصب اعينهم والتسوا من الإمبراطور أن يأذن لهم في الدخول عنده
وسألوه على لسان ساداتهم عن العساكر التي جمعها هل هي بأوامره وما قصده
بجمعها ولا شيء عدوا عنها ومثل هذا السؤال الصريح في وقت لا يمكن
فيه امتكار الواقع كان يستلزم جوابا صريحا خاليا عن الإبهام والمغالطة فمن ثم
اعترف الإمبراطور بأن جمع العساكر إنما هو بأمره ولكن ليس قصده بذلك
إضرار احد في شأن الدين من احسن السلوك ولم يخرج عن طاعة ملكه وأفاد
أنه يريد تضيق الحقوق والمزايا الإمبراطورية بتعاقب بعض الحماة من ارباب
الفن والدماس الذين تتبع سواكهم يخشى منهم تقصير ترتيب الإمبراطورية
واقساد قوايتها القديمة فهذا الجواب المبهم لم يرضع الإمبراطور عن ريداذلهم
ومع ذلك ظهر من حاله أنه يريد بذلك كلاما من منتخب سكس وحاكم هبة
حتى ان رسلهما رأوا أن كلامه هذا ليس الا طلبا للعرب وسافروا حالاً من

مدينة راتبونة

مطلب

المشاركة المتعددة
بين الإمبراطور والبابا
٢٦ من شهر تاموز

وأما كريدتال ترسة التي ارسله الإمبراطور لعقد المعاهدة مع البابا
فلم يجد صعوبة في ما كان مبعوثا بصدده وذلك أن البابا كان معروفا بعدمودة
الإمبراطور لاغراضه ومقاصده فرضى عن طيب نفس بجميع ما عرض عليه
من طرفه حتى تم امر المعاهدة بعد دخول الكريدتال في رومة بأيام
قليل وكان سبب عقد هذه المعاهدة خطرا الاعتزال الواقع ببلاد ألمانيا
وعناد المعتزة وامتناعهم عن اقرار المشورة القيسية المتعددة في ترسة
وضرورة ابقاء الكنيسة على احترامها وعزتها وضوا في المشاركة على أنه
لاجل منع ازدياد العصية وعتاب من سعى في نشرها يلزم أن الإمبراطور يبرز
الى ميدان الحرب بجيش يكتفي في فتح من ابي اقرار المشورة القيسية وعمل
عن دين آياته واسلافه والزامه بالدخول تحت طاعة الكنيسة الرومانية بحيث

انه مكث زمنا طويلا وهو يسلك طريق الرق ولين الجانب ولم يجد ذلك فغصا
والتمز الايمبراطور ايضا بانه لا يعتقد مع المعتزلة هدنة بستة اشهر الا بعد رضاء
الباي بذلك وبعد ان يعين له قسم من البلاد التي يأخذها منهم في الحرب بل وبعد
انقضاء مدة تلك الهدنة لا يقع بينه وبينهم اتفاق يضرب بمصالح الكنيسة
او دينها والتمز الباي ايضا بانه يضع في يانكة جمهورية البنادقة مبلغا من الدراهم
يكفي مصاريف الحرب وأن يقوم بمصاريف اثني عشر الف رجل من المشاة
وخمسة مائة من الخيالة مدة ستة اشهر المذكورة وأن يعطى للايمبراطور نصف
ايراد سنة مما يتحصل من ايرادات اسبانيا المعتدة للوظائف القسبية
وأن يرخص له بموجب فرمان يصدر اليه من عنده أن يتصرف من اراضي
او قاف الكنيسة التي يلاذ اسبانيا فيما يبلغ ايراده خمسة الف أيكرو
والتمز له ايضا بأن يحكم بالنفي والطرده والخمران وسائر عقوبات الكنيسة
على كل من تصدى لنقض اجراء هذه المشاركة من الامراء بل ولا يقتصر على
ذلك بل يشهر معهم الحرب والقتال

مطلب
الحيل والمهادنات التي
سلكها الايمبراطور
فانيا ليعني مقاصده
عن المعتزلة

ومع أن التعلل في الحرب كان مبنيا على ازالة الابتداع ومحو دين المعتزلة اراد
الايمبراطور أن يثبت عند اهل ألمانيا أنه لا يضيق عليهم ابدا في دينهم
وعقائدهم وأنه لا يقصد الاعقاب بعض العصاة من ارباب الجبر والتساقط الذين
لا يمتثلون او اوصوهم بحق الامتثال فكتب الى اغلب الامراء والمداين الخيرة التي
كانت على دين المعتزلة مكاتيب مطابقة لما اجاب به رسل المعتزلة في مدينة
واقسبونة حيث يذكر فيها انه لم يستعد للحرب لاجل فرض دين بل لمنع الفتن
الداخلية وأنه لا يأخذ الطائع من رعاياه بذنب العاصي الذي لغتوه وبغية نسي
ما يجب عليه من الطاعة رئيس الجمعية الجرمانية (يعني نفسه) ولا يخفى
أن ذلك منه حيلة ظاهرة يهرقها من تأمل في سلوك الايمبراطور وامعن النظر
في اسحواله ومع ذلك فقد ظن أنها مما لا بد منه وسلك فيها مسلك المكر والتدبير
حتى يدرك بها ما كان يؤمله من القوائد الجسيمة اذ لو اظهر مرة واحدة
أنه مصمم على ازالة دين المعتزلة وادخال بلاد ألمانيا كلها تحت حكم الكنيسة

الرومانية كما كانت سابقا لتعصب عليه جميع الامراء وسائر المدائن التي
كانت متمسكة بالدين الجديد ولما تجاسر احد منهم على اعاقته في مثل هذا المشروع
لكنه بانكارا مقصده واخفاه لا غرضه منع وقوع التعصب بين دول المعترلة
ولو تعصب تلك الدول وانضمت الي بعضها ظهرت عليه وظهرت به ومن جهة
اخرى جعل للناقضين من حزب المعترلة حجة يتمسكون بها في الاهمال والتراخي
وبجعل لارباب الطمع منهم اسبابا يتعللون بها في الانضمام الى حزبه من غير
أن يجلب لهم ذلك العزة والتعزى يارتابهم عن دينهم ورفض عقائدهم
او بانضمامهم الى اعداء دينهم واعاقهم على نكضه وابطاله وكان الایمبراطور
يرى أنهم متى أمكنه باعانة المعترلة له خفض شوكة كل من متعصب سكن
وحاكم هيسة صار حزب المعترلة في قبضته يتصرف فيه كيف شاء حين
يقع بين اهل بعد ذلك الشقاق واختلاف الكلمة وتقطع شوكتهم فيندمون
حيث لا يتحس السدم على كونهم وتعاو بقول الایمبراطور وتجلى بعضهم
عن بعض

مطلب
كشف البابا لاسرار
الایمبراطور

ولكن البابا جعل يكشف هذا السر وافشائه اظهارا لجميته على الكنيسة
وغيبته على دينها فافسد على الایمبراطور ما كان يدره مع غاية
الاحتراس والحذر وذلك أنه لما رأى شجاع مساعيه داخله الكبر والعجب وفرح
فرحا عظيما حيث فهم أن العصبة التي عقد هاهنا مع الایمبراطور مسيرترب عليها
محقدين المعترلة وازالته بالكلية فيثبت له القصار بازالة البدع والضلالات مدة
حكمه على الكنيسة ففسر بنود المشاولة المتعقدة بينه وبين الایمبراطور
ليظهرها حسن قصد هاهنا وحيد اغراضهما في شأن الدين ويظهرها ايضا
ما التزم به فعمل من الامور الحسنة لحفظ دين الكنيسة من اهل الزيغ والضلال
واشاع بعد ذلك بقليل فرمانا يتضمن القفران لكل من تصدى لهذا المشروع
الذي وصفه بالقدس المحترم حيث انه من باب تأدية فرض التي عن المنكر
وحرض فيه جميع من كان من ابناء النصرانية لا يمكنه الا عانة في هذا المشروع
على أن يتضرع الى الله سبحانه وتعالى ويدعوه باخلاص إن يتضرع حزب

القاويل فيقولون لكن لم يكن الحامل له على اظهار خلاف ما كان يتعلل به الامير بطور
في تجهيزاته الحربية بمزج دجته الدينية وغيره على دين الكنيسة الرومانية
بل دعاه الى ذلك ايضا ما كان قائما به من الامير بطور من القبط والريسة في اخفاء
مقاصده وكتمان اغراضه حتى ~~صكك~~ في نجل من قيامه بنصر الكنيسة
وتأيد دينها وفي كونه يجاهد العدو بأسلحة السياسة مع أنه لا شيء اشرف من
الاختصار باظهار الجهاد لاجل الدين والقيام بتعصيده فكان كلما حاول
الامير بطور اخفاء الغرض الحقيقي من المعاهدة يبادر البابا بافتائه فاصدا بذلك
ايقاع الشقاق والبغضاء بينه وبين المعتزلة حتى لا يمكنه التخلي عن حزب الكنيسة
اذ لا حيلة في الصلح مع المعتزلة فرصة تعود عليه بالمنفعة

ثم ان الامير بطور مع غيظه من البابا حيث حمله عدم تبصره في العواقب
او ~~مكره~~ وخبط طويته على افشاء سره لم يفتقره في تتبع مقاصده والسعي
في تمييز مرامه بل ما زال يلقى في قلوب المعتزلة ويشع عندهم أن مقاصده هي عين
ما اخبرهم به وليس له غرض سوى ذلك حتى ان بعض دول المعتزلة لاقتارهم
بكلامه رأوا أنه يسوغ لهم امداده واعاثة

مطلب

تجهيزات المعتزلة
للمدافعة عن انفسهم

واما معظمهم فلم يفتقر به الحيلة بل لم يرل ارباب السياسة والحزم منهم جازمين
بأن الامير بطور ليس قصده من التجهيزات الحربية الا اذلال حزبهم وأنه لو قدر
على تمييز مقاصده كما همس في نفسه لحق دين المعتزلة وبخاصة الحزبية من يلاذ
ألمانيا فلذا تأهبوا للمدافعة عن انفسهم حتى لا يهيدوا عن طريق الحق الذي
يقولون ان اهتمامهم اليه انما هو توفيق الله وارشاده لهم على وجه صحيح
ولا يتساهلوا في الحقوق والمزايا التي قوامها عن آباءهم واسلافهم ولما توجه
رسل المعتزلة بعد سفرهم من مدينة راتسبونث مغضبين الى مدينة هولم
ليدروا امرهم انقضت المذاكرة بهذه المدينة مع غاية الهمة وكال الاعتناء
والالتماس حسبا يستدعيه ما كانوا يتوقعون من شدة الخطر وكان مقدار
ما يختص كل انسان من المتعاهدين من القوي والعساكر مينا في المشارطة
فصبرت اولهم بأن كل امير يخرج قورا الى الحرب من يخصه من العساكر

(سنة ١٥٤٦)

ورأى المتعاهدون أن وفوق بعضهم يقول الاميراطور وعدم تضرر البعض
الآخر في العواقب قد منعناهم من اطويلنا عن المعاهدة مع الدول الأجنبية
ليستعينوا بها عند الضرورة وبادروا بطلب الاعانة من اهل البنادقة
واهل السويصة

مطلب
استعانة المعتزلة
ياهل البنادقة

فاخبروا اهل البنادقة أن الاميراطور قد عزم على تحض قوانين بلاد ألمانيا
وأن يجعل شوكتهم فيها قوية مطلقا التصرف باعانة البابا وهذا المشروع يضرب
بحرية إيطاليا لان الاميراطور متى صار مطلق التصرف في إحدى هاتين
الدولتين (ألمانيا وإيطاليا) يصير بالضرورة مطلق التصرف في الأخرى
ولكن لما لم ير المعتزلة اعانة من اهل البنادقة ترجوهم أن لا يأذنوا بللرور
من بلادهم لعاكر البابا الذين هم اعداؤهم كغيرهم حيث انهم ياذلهم لبلاد
ألمانيا يخشى منهم على سائر بلاد أوروبا وكانت هذه المظلمات لا تخفى
على اهل البنادقة لحدقهم ونباهتهم فبذلوا جهدهم في منع البابا عن المعاهدة
مع الاميراطور الذي لا يكره طبعه لان معاهدة معه تزيد طبعه كما تزيد شوكة
وصولة الأنا البابا كلن مصمما كل التصميم على تمييز مقاصده فلم يلتفت
الى قولهم ومع معايتهم للخطر تعرضوا له ولم يحترسوا بما يكتفون به
في امن من قبل اجابوا ارباب عصبة سمالكالد بأنه لا يمكنهم منع عساكر البابا
عن المرور من بلادهم الا اذا جعوا جيشا كبيرا يكفي في سد الطرق عليهم ولكن
مثل هذا الفعل يغضب الاميراطور والبابا معا ويصرون به عرضة لخطرها
وبطشهما ولهذا السبب ايضا امتنعوا من اعطاء منتخب سكرس وحاكم
هيسة مبلغا من الدراهم للاستعانة به على الحرب

مطلب
استعانة المعتزلة
ياهل السويصة

واما اهل السويصة فلم يقتصر المعتزلة على التضرع اليهم في سدد طرق ألمانيا
على العساكر الأجنبية بل كانوا يؤملون من هذه الملة التي كانت اقرب اليهم
بمعادها وبهذا كانت متعاهدة مع الاميراطورية أن تسد غايه جهدها
في المدافعة عن حرية بلاد ألمانيا وأن لا تتحمل ادنى ظلم او اقمات في حق
الملة الألمانية وكانت الاقطار المعتزلة من بلاد السويصة مستعجلة للانضمام

(سنة ١٥٤٦)

الى اهل عصبة شمالكالد الآن لرباب الجمعية السويصة كان ينفهم فقام
وثنقاق عظيم في شأن الدين حتى ان المعتزة منهم كانوا لا يجاسرون على
فعل شيء الا اذا شاؤوا اهل الاخطاط القاتوليكية هذا وكان البابا والاميرالمطور
قد بعثا رسلا الى اهل السويصة لم يرالوا بطون عليهم حتى وععدوا بانهم
في هذا الحرب يكونون بمعزل عن الفريقين ولا ينضمون الى احد
من الفريقين

فلما خاب آمال المعتزة من هاتين الجهتين بادروا الى الاستعانة بملك فرنسا
وملك انكلترة وكان منتخب سكس كما سبق لا يرضى بالمعاهدة مع هذين
الملكين ولكن لما الخ عليه المعتزة وصارت الاخطار نصب عينيه تساهل عن
تشديده الاول في شأن المعاهدة معها وكانت مقتضيات الاحوال اذ لم
تسوخ للمعتزة أن يطعموا في نيل مرامهم من هذين الملكين وذلك أن الحرب
كان قد مكثت مدة بين الانكليز والفرنساوية بعد مشاركة الصلح المتعقدة
بمدينة كريسي حتى شئت منه نفوس الفريقين ورأوا أنه حال عن القادة
والقضاء أنها هذه المشاورة بمشارطة صلح انعقدت بينهم في قرية كامية
قريسا من مدينة أردروس ولحق فرنسيس مالا يزيد عليه من التعب
والمشقة في ادخال اهل اقويسا في تلك المشاورة وكانوا حلفاء وقتئذ حتى
انه لهذا الغرض تساهل في أمور كثيرة والتزم أن يدفع الى هنري مبلغا
جسيما كان يتدعيه عليه من جهات عديدة بل رهن ملك فرنسا عنده اقليم
بولونيا حتى يؤدى هذا المبلغ ومع أن الصلح كان قد انعقد بين هذين الملكين وصار
بمكهما التصدي لمصالح ألمانيا لم يحصل المعتزة منهما فائدة وذلك أن هنري
كان لا يرضى بالمعاهدة معهم الا على شروط بمقتضاها تكون له الرئاسة على
عصبتهم بحيث يتصرف فيها كيف شاء وكلت نفوس المعتزة بأبى ذلك ولا تطيقه
لان عقائده الدينية كانت مباينة جدا للعقائد معتزلة ألمانيا فلم تأت الا لتمام
والاتحاد بينهما وبينهم واما فرنسيس فكانت له حارب سياسية كان مستعدا
بها لاجانة المعتزة اكثر من هنري وكان يرى أن قوى ملكه قد ضعفت بسبب

مطلب
استعانة المعتزة
بالمك فرنسيس الاول
والمك هنري الثامن

(سنة ١٥٤٦)

الحروب الطويلة التي حصلت بينه وبين أعدائه فلم يجاسر على إعانتهم لاسيما
وكان يحنى غضب البابا بضغامة الى حرب قد حكم بكمه فأنظر الى هذا
الملك حيث اقتضت به هذه الاسباب الواهية الدينية الى ضياع فرصة عظيمة
لم يسبق له نظير هل من حكمة اذ بها كان يمكنه أن يوقع خصمه اليمبراطور
في الورطة والارتباك ويقبضه ويحجزه كؤس المذلة والهوان ولو بدت له هذه
الفرصة قبل ذلك مع وجود الاسباب المذكورة لانهزها مع الهمة وبإدراجها
تأريها لجة

ولكن مع عدم نجاح المعتزلة في مداولاتهم مع الملل الأجنبية جمعوا مع السهولة
جيشا يكتفي في الحرب مع عدوهم وذلك أن ألمانيا كانت آنذاك عامرة
جدا وكانت القوانين الاتزامية فيها باقية على اصلها من النفوذ والعمل بها فكان
يمكن للأشراف والاعيان أن يجمعوا اتباعهم الكثيرين ويسوقوهم الى الحرب
معي شأوا وكذلك وقع الألمانيين بالحرب لم يزل فيهم حيث لم يكن دخل عندهم
يومئذ تجارات ولا قنون بل كانوا قد ازدادوا مهارة واستعدادا بسبب
الحروب المستمرة التي مكثوا فيها نصف قرن على طرف الايمبراطرة اوعلى ملوك
فرانسا فبمعزذ أن اقتضى الحال حل السلاح سعوا الى الحرب من كل جهة
وكلما وقع بصرهم على راية حرية اتوا اليها افواجا وكان ثم ما يقوى حيثهم
الطبيعية وهو غيرتهم على الدين وذلك ان أصول دين المعتزلة كانت قد فكتت
من قلوبهم فكأن الحق من يقين الحق وامتزجت بارواحهم حتى استعدوا والتأيد
هذا الدين والنزب عنه مع العزم الملايم لهذه الحجة العظيمة التي كانت قائمة بهم
وزيادة على ذلك كان هؤلاء الابطال الحرييون يرون أن اظهار الخول في هذا
الوقت يعود عليهم بالمعزة والفحجة وكانت المدافعة عن الدين تدعوهم الى حل
السلاح وقد حصلت حادثة اعانت على جمع العساكر وتجنيدهم وهي أن ملك
فرانسا لما كان قد اشرف على عقد الصلح مع ملك انكلترا طرد من عساكره
عددا عظيمين الألمانيين الذين كان قد استأجرهم للعبور فأنضموا الى بعضهم
وصاروا طائفة واحدة كبيرة ودخلوا تحت اعلام المعتزلة فلهذا الاسباب يمكن

مطلب
تجهيز المعتزلة بجيش
كبير يزوجه الى
ميدان الحرب

(سنة ١٥٤٦)

لامراء عصبية شمال كالد أن يجمعوا في ظرف اسابيع قليلة جيشا عظيما
مشتقيا على سبعين الف من المشاة وخمسة عشر الف من الخيالة ومائة وعشرين
من المدافع وثمانمائة عربة موسوقة بالمهمات والذخائر الحربية وثمانية آلاف
من دواب الاحمال وستة آلاف من القيازمه حية ومع أن هذا الجيش كان من
أكبر الجيوش التي جمعت ببلاد أوروبا في ذلك العصر لم يشترك في جمعه
كل المعتزلة وإنما جمعه منتخب سكس وحاكم هيسة والامير دوق دوتنمبرغ
وامير أمهالكه ومدينة اوكسبورغ ومدينة هلم ومدينة ستربورغ
واما منتخب كولونيا ومنتخب براندبورغ وحاكم اقليم بلامينه
فنفقهم من الإمبراطور واعتراهم بزخرف قوله لم يكن لهم دخل في حرب المعتزلة
وكذلك الامير حنادور براندبورغ ياربطة والامير ألبيرت دوبراندبورغ
انسباخ فانهما وان كانا على دين لوتير من مبدء ظهوره الا أنهما
انضمما إلى حزب الإمبراطور متعللين بأنهما قد وعدا بعدم المدافعة عن الدين
الجديد وتأسى بهما في ذلك الامير موريس دوسكس
فلما رأى الإمبراطور عظم جيش المعتزلة وأسراهم في جمعه تفرق في امره حيرة
كبيرة حيث لم يكن مقتدرا على مقاومة مثل هذا الجيش الجبار وكان اذا ذلك
بمدينة راتسبون و لم تكن تلك المدينة حصينة وكان أغلب أهلها معتزلة
فكان عرضة للغدر به ولم يكن معه الا ثلاثة آلاف من العساكر الاسبانيولية
المشاة كان قد احضرهم من نفور بلاد المجر وكان معه ايضا خمسة آلاف
من الالمانيين احضرهم من عدة اقاليم من الإمبراطورية الالمانية فدأخله
الربح والفرح حين بلغه أن الاعداء صاروا على قرب منه وكانت عساكره قليلة
واما العساكر الذين ارسلهم البابا لاعاقته فكانوا لم يجدوا خلوا وقتلوا دواش الالمانيا
كما أن العساكر التي طلبها من مملكة البلاد الواطية لم يكن تم جمعها
وكانت حاله اذا ذلك تستدعي سرعة الاعانة ولا تسوغ له الاعتماد على العساكر
الاثنية اليه من طرف البابا ولا من مملكة البلاد الواطية لان وصولها اليه
كان غير محقق

مطلب

كون الإمبراطور
لم يكن عنده
من العساكر من يكفي
في مقاومة المعتزلة

(سنة ١٥٤٦)

مطلب
استغلال المعتزة
بلمداولة عوضا
عن الحرب

ولم يكن لو فورخذ الايبراطور لم يعرف المعتزة أن يدبروا امرهم ويجنوا ثمار هذه القرص العديدة وذلك أن الناس في الحروب المدنية لا بد أن يسدوا امرهم بالتردد في الاقدام والرجام ويقوم بانفسهم أولا الرعب والهيبه فيطهرون العذلة لاستمالة النفوس وتكثير سواد أحرابهم باظهار الاحترام للرسوم الجارية والقوانين المقررة ولا يتجاسرون من اقل وهلة على هتك حرمة القوانين والرسوم القديمة التي كانت تحترم اذ ذالك كل الاحترام في ازمان الملح انفايسة عن الفتن والتعكيرات فلذا تجسد التشريعات المستدعية للعزم والسرعة في الغالب ضعيفة ذات تراخ وبطء وحيث ان هذه الملوذات لها وقع عظيم في القلوب للزومها راحة العايا والمتمنان الدول الزمت المعتزة أن لا ينسوا ما يجب عليهم من الطاعة للايبراطور من حيث كونه رئيس ايبراطوريتهم وافهمتهم انهم بخصايه والقيام عليه قبل أن يطلبوا منه العدل والانصاف في شأن ما يتطلون منه ويستشهدوا عليه الملة الالمانية بتامها يكونون قد تجاوزوا الحدود وهتكوا حرمة القوانين فخرروا للايبراطور تقرير اولاهاي ألمانيا تقرير آخر نشره في سائر البلاد الالمانية وكان مضمون التقريرين واحدا وذلك أنهم برهنوا فيهما على اماتهم للايبراطور وقيامهم بحقوقه فيما يخص السياسة وذكروا أنهم باقون معه على الاتحاد والالتزام واحترافهم بمرأته وحسن معاملته لهم وذكروا أن الذين هو للسبب في الحرب الذي صمم الايبراطور على فعله معهم وما ذكره من البراهين كان قويا بحيث يؤثر في كل التأثير في العقول الضعيفة حتى لا تغتر بحيل الايبراطور ومداهنته وانما تقريرهم بأنهم قد صمموا على اقتسام الاحوال والاختلاف لتأيد بينهم الجسد وأنه بما جرت ذلك الى دمار الجمعية الجرمانية ان قلب الايبراطور وصلت على عصبة المعتزة

١٥ من شهر تاموز

مطلب

حكم الايبراطور
بالنفي على رئيسي
عصبة المعتزة

ومع أنه كان ينبغي للايبراطور أن يتساهل في مثل هذه الاخطار دقق كل التدقيق وسلط في هذا المعنى مسلط التشديد حتى كأنه في هذه المرة اقتدار على فتح المعتزة والزاهم بما شاء فكان جوابه لهم عن التقرير الذي قدموه اليه

(المقالة الثامنة)
(تاريخ الإمبراطور شرلنكان)

٢٢٥

(سنة ١٥٤٦)

وعن التقرير الذي نشره في بلاد ألمانيا أن أمير بنى كل من الامير مجتنب
من الامير سوا الامير سواكم هيسة اللذين هما رئيسا لمحبة المعتلة وصدر
منه امر آخر بنى كل من تجاسر على اعانتها واعدادها بشئ وهذا الحكم
كان اصعب شئ عجز في قوانين ألمانيا لعقاب الخائنين الذين يغدرون بالوطن
وكانت صورة الحكم عليهما في القرمان الصادر من الاميراطور هي ان هذين
الاميرين قد عصيا وبقيا ولسكاسالك العدوان والظفان فجزاؤهما أن يحرما
من المزايا والخصائص الثمانية لهما بوصف كونهما من اعضاء الاميراطورية
وأن تضبط اموالهما واملأتهما وأن يرخص لهما في الخروج عن طاعتها
ولن يشاء في شسن القارة على اراضيها انتهت ولكن طائفة الاشراف
والمدائن الحرة التي ربت قواتين الجمعية الجرمانية اوحتتها وجعلتها على
اكمل حال كانت لم تهمل في امن بلاد ألمانيا حتى تتغافل عن الاميراطور
اذا صدر منه مثل هذا الحكم فانه كل لا يمكن في احد من اعضاء الاميراطورية
الا بموجب حكم ارباب مشورة الديانة فلم يفتت الاميراطور الى هذا القانون
معتدا على انه ان شج في الحرب وظفر باعد انه لم تجاسر احد على مطالبة
بمخالفة هذا القانون ولم يتحلل في حكمه بالنسبة على الاميرين السابقين بكونهما
خارجا عن طاعة الكنيسة واعتلا دينا بل تعطل باسباب سياسية عبر عنها
بالفاطم عامة ومهمة ولم يبين عن الذنب الذي استحقاقه العقاب فظهر أن حكمه
بذلك محض ظلم وعدول عن الانصاف وتقصيره عن هذه الاسباب بعبارات
مبهمة يدل على أنه لم تجاسر على الانصاح عن سبب حكمه بنفيهما لانه كان يخشى
أنه ان ابدى الاسباب التي بنى عليها هذا الحكم وبنها اتم البيان جر ذلك الى
غيرهما من امراء المعتلة الذين كان يحسن معاملتهم لم اعادة مصلحته واستمالهم
الى الانضمام اليه والدخول في حربه او التحمل عن الفريقين بحيث يكونون
لله ولا عليه

فلما تبين المعتلة من الصلح بينهم وبين الاميراطور بالقي هي احسن رأوا أنه لم يبق
لهم الا اختيار احد اميرين اما اقتيادهم للاميراطور فيما شاء او حرهم معه يدون

مطلب
مبدء حرب المعترلة

تراخى لإمهله وكانوا في هذه المرة بجمكان من العزم وفروط الهمة حيث أنهم بعد
صدور القرمات بنى منتصب سكن وحاكم هيسة يايام قلاكل بعنوا سقرا
الى المهة بكرة الايمراطورى يطلب الحرب والقتال وابطلوا بيعته وقضوا
العهود والى كانوا محاطين عليها الى ذلك الوقت فى حق الايجراطوروا وانكروا
ايمراطورىته ورياسته وقبل طلبهم العرب كان بعض عساكرهم قد بدأ فى القتال
وذلك أن مدينة او كسبورغ جمعت طائفة كبيرة من العساكر وجعلت
رئيسها المنهيه عيطهتيان شرتيل وكان من الضباط ذوى الثروة والسعة لانه
كان مع جيش الايمراطور فى نهب مدينة رومة فغنم من ذلك مغنما عظيما
فلثروته وكثرة اعتباره لتقدم عهدم فى الخدمة كان معدودا فى درجة اعيان
ألمانيا واكابر اشرفها وامرائها وما كان هذا البطل على المهة زائد الشجاعة
اراد قبل انضمامه الى جيش المعترلة أن يفعل امر ايلام شهرته وصيته لتتحق
فيه آمال ابناء وطنه حيث اختاروه وقلدوه الرياسة فينما كانت عساكر البابا
تتقدم مع السرعة جهة بلاد تيروى لتدخل فى ألمانيا من جبال أليه
اذسبقها شرتيل وقلب على كل من اهرامبرغ وكوفستين وهما
قلعتان حصينتان كانتا مكنيتين من الخلق والعصابات الكبيرة من جبال
أليه ثم توجه سرعا الى قلعة أنسبروك ولوقلب عليها لا يمكنه أن يسد
الطرق على جيش البابا لانه اذا كان فيها عسنة من المحاطين ولو قليلا لم يمكنهم
أن يقاوموا كل جيش ولو بلغ فى الكثرة ما بلغ الآن كستيلانو حكمدار
ترتة لما رأى أنه اذا سدت الطرق والسبل على العساكر الاتية لاعةنة
الايمراطور خابت آماله وضاعت مساعيه سدى جمع مع السرعة طائفة صغيرة
ودخل القلعة المسددة ومع ذلك لم يرجع شرتيل عن مشروعه فينما هو
يستعد لشن الغارة على هذه القلعة اذ بلغه أن عساكر ايليا قد قربوا منها وجاءته
اوامر من منتصب سكن وحاكم هيسة بالحضور فاضطر الى العمدول
عن هذا المشروع فصارت الميالك برجوعه مفتوحة للبيالك فدخلت عساكر
البيلا بلاد ألمانيا من غير أن تجد عاتقا سوى المحاطين الذين كان اقامهم

(سنة ١٥٤٦)

شربل في قلعة اهرامبرغ وقلعة كوفستين ولكن لما يسوايا دوروا
بالتسليم واسكولى العدو على القلعتين
وقد اخطأ المعتزلة في دعاء شربل كما اخطاوا في جعل رياسة الجيش منتقب
سكس وحاكم هيسة فحما قليل ادركوا ان اشراكهما في تلك الرياسة
مضر جدا وذلك ان منتقب سكس وان كان يذل مهبة في سباب المصلحة
العاملة الا انه كان ذا باطلى المذاكرت وتردد في المشروعات ويؤثر
الاحتراس والتأني على التجاسر والاقدام واما حاكم هيسة فكان اكثر منه
نشاطا وامرعا فكا يصمم على المشروعات المهمة على حين غفلة ويظهر العزم
التام في تعيينها ويحاردا غما من الوسائط ما يكون ملائما للصالح عليه الا ان كلا
منهما كان قد تصدى لهذا الحرب لما رآه مباينة لما رآه الاخر فاختلفت
كلتاهما في الحرب لاختلاف ما رآههما وتباين الاسباب الحاملة لهما على ذلك
فوقعت بينهما الغيرة والعداوة وتضام امرهما لمباينة طبعهما غير ان ارباب
العصبة الذين كانوا تحت تبعيتهما بعض اختيارهم خرجوا عن طاعتهم حين
رأوا ما وقع بينهما من الاضطراب واختلاف الكلمة فكان جيش المعتزلة اشبه
بدولاب كبير اجزائه غير محكمة التركيب وليست فيه الاكالة اللازمة لتنظيم حركته
فعملياته قليلة بدون ثمة

مطلب
عدم ادارة الرؤساء

مطلب

وصول عساكر البابا
الى الايمبراطور

ولما كان الايمبراطور يحشى انه مادام مقبلا بمدينة راتسبوت لا يمكن لعساكر
البابا الوصول اليه ارحل من هذه المدينة وقفل في السير مع الحسار وقوة
القلب حتى وصل الى لندسهوت على نهر ايزير ومكث المعتزلة عدة ايام
وههنا اكرؤن في شأن حقوقه باراضه الدوق دو باويره وكان هذا الدوق
مجزول عن القرشين وبعد ان توقف الكلي اخذ ولفي السير الى معسكر الايمبراطور
لكنهم عدلوا على حين غفلة عن هذا المشروع وصعدوا على الهجوم على مدينة
راتسبوت وكان الايمبراطور لم يدع فيها من المحافظين الا طائفة قليلة وفي أثناء
ذلك وصل عساكر البابا بتمامهم الى لندسهوت ووصل اليهم ستة آلاف
من العساكر الاسبانية القديمة كانت قد جعت من بلاد نابلى ومن التفت

الى مجمل امور المعتزلة حيث امروا شربيل بالعدول عن مشروعه المهم رأى
انهم كانوا يريدون أن الغلب تبقى مفتوحة أمام هذه العساكر لعل الى الحبل
الموعود مع الاتمين والاطمئنان مع أنه كان الواجب عليهم أن يهيموا على هذه
العساكر او على الايمراطور قبل وصولها اليه وكان الجيش الايمراطوري اذ ذلك
يلغ ستة وثلاثين الفاً ولكنه كان مهولاً يخشى بأسه لضبطه وبطله وشجاعة
رجاله وقد ذكر الشهير آويله حكمدار القنطرة (احدى مدن اسبانيا) وكان
ثمة معتبراً شهد جميع حروب الايمراطور وخدم في الجيش الذي انتصر في وقعة
باويا والجيش الذي فتح تونس وغازى على مملكة فرانساً أنه لم يرا صلحاً جيشاً
مهولاً مثل هذا الجيش الذي اعده الايمراطور لقتال معتزلة ألمانيا وكان
الإمبراطور اوكاوه فرنيز حفيد البابا قائد العساكر البابا باعانة ضباط ماهرين كانوا
قد تمكنوا وتمزقوا بالتجارب وتقدم العهد في الحروب الطويلة التي وقعت بين
الايمراطور ومملكة فرانساً وكان بجيشه اخوه الكرديتال فرنيز بوظيفة
التياب عن البابا وكان هذا الكرديتال يرى أن الحرب مع المعتزلة جهاد في سبيل
الله فطلب أن يسير أمام الجيش وتحمل أمامه صورة الصليب وأن يصف بالزنايا
والخصائص كل من اعانته كما وقع نظير ذلك في الغزوات الصليبية مع الاسلام ولكن
لم يررض الايمراطور بهذه الامور لانها تقتضي ما وعد به المعتزلة الذين انضموا
الى حربه فلما رأى الكرديتال أن التدين يدين المعتزلة مباح فيهم ~~مسيح~~
الايمراطور مع أن القصد من الحرب انما هو لزالته ومحو اثره امتزج بالغضب
وسافر الى بلاد ايطاليا

ولما وصلت عساكر البابا الى الايمراطور زاد في عدد محاطي مدينة
راسبونيه فاقبى المعتزلة من التغلب عليها وقصدوا انغولستادة وهي مدينة
على نهر طونة وكان الايمراطور معسكره هناك وكانوا يراوا يتسلطون منه
لكنه هلك حرمة قولتين الايمراطور يتواحق رسوماها ودعا الاجانب
لتغريب اراضيها واعدادهم حربيها وكان المعتزلة اذ ذلك يغيضون كنيسية رومة
اشد البغضاء حتى كانوا يضرعون من كل مشروع يسعون فيه اسم البابا فاشاع

سنة ١٥٤٦

بين الناس أن البابا بولس لم يقتصر على قتال المعتزة بل بعث رسلا من
طرقه على بلاد ألمانيا ليصرقوا مدائنهم ويخازنهم ويضعوا السم في الآبار
والعيون

وهذه الاشاعة وإن كانت تستبعد في العقول الرجصة والافهام العصبة
ولا يصدقها الاعوام الناس وجهتهم الأناهرضة في اذهان الرؤاسقشروا
تقرير اذكروا فيه أن البابا قد ارتكب هذه الامور لا تلافهم واهلاكمهم
وان كان هنالك ما يعتذر به عنهم في ظنهم هذا الظن فليس الاقمع سلوك عساكر البابا
حيث كانوا يعتقدون أنه يسوغ فعل كل شيء في حق من اعتزل وكمفريد
الكنيسة فلم يتبق فاحشة الاغلاوها ولا كبيرة الا ارتكبوها ليلاد المعتزة وازدادت
مصائب الحرب المعتادة بما كانت تسوء عادة الحمية الدينية للعقول

مطلب
تقدم للمعتزة جهة
جيش اليمير الطور

ولكن اعمال الجيوش لم تكن تقدر ما كان في قلوب القرع من العداوة والبغضاء
الشديدة وذلك أن اليمير الطور لحزمه صمم على اجتناب القتال مع المعتزة
حيث رأى أن جنودهم اكثر عددا من جنوده وادرك أن مثل هذه العصبة
المؤلفة من اناس لا لالتنام بينهم لا بدم من اغلاها ويتدمر ما لم يحصل الهجوم
عليها فانها في هذه الصورة تستيقظ ويضطر اربابها الى الالتنام واتفاق الكلمة
وكان المعتزة يعرفون أنهم ان سلكوا في هذا المشروع مسلك المهلة والتراخي
خسروا كل انفسهم ومع ذلك فلضعف رؤسائهم ولتقام الامر بينهم لم يذلوا
في تخصيص امورهم ما كانت تستدعيه احوالهم اذ ذلك من فرط الهمة ولا ما كان
فانما بقلوب العساكر من القيرة وشدة الحمية وذلك انهم لما وصلوا الى مدينة
انغولستادة وجدوا اليمير الطور نازلا هنالك في معسكر غير محكم الوضع في
حد ذاته وليس حوله من الحصينات والثار من الاشياء واهية قليلة وكان أمام
هذا المعسكر سهل واسع جدا بحيث يسع جيش المعتزة تمامه وتبقى لهم مسافة
كبيرة تكفيهم في حركاتهم العسكرية وعملياتهم البحرية وبالجملة فجميع مقتضيات
اذ ذلك كاتب تستدعي أن المعتزة يتهمون تلك الفرصة ويجمعون على معسكر
اليمير الطور حيث كانوا اكثر منه جندا وكانت عساكرهم اشد حمية من عساكره

٢٢٩ من شهر اب

فانهم كانوا لا يودون الا القتال وكان فيهم من المشاة الالمانية صناديد ابطال وغول
رجال لا يرهبون القتال ويثبتون في المعركة كرواسخ الجبال فكل ذلك كان يثبت
لهم النصر ويعينهم على الظفر بعدوهم وكان حاكم هيسه يرغب في القتال على
اى حاله كانت حيث قال انى لو كنت مطلق التصرف لالتقي الجمعان وظهر
الغالب من المغلوب ولكن كان منتخب سكس يفكر في شجاعة العدو وحسن
ضبطه وريبطه لاسما ووجود الایميراطور بين عساكره مما يزيدهم حية ونشاطا
وضباطهم امهر وضباط ذلك العصر قال انه ليس من الصواب القتال مع
رجال قد شربوا في العسكرية وشابوا الاسماء وقد اقتضوا معسكرهم على حسب
مرغبتهم فهو وان كانت تحصيناته قليلة الا انه يعينهم اتم الاعانة على عدوهم
ومع ذلك انخط الرأى على أن يتقدم جيش المعتزة مفاصفا الى معسكر
الایميراطور ويضرب عليه بالمدافع ناراً شديدة لعل العساكر الایميراطورية تنزع
عنه وتخرج منه ولكن كان حزم الایميراطور يجعل عن أن يوقعه في مثل هذه
المكائد فلم يزل مصعبا على ما كان عازيا عليه فوضع عساكره خلف الحصينات
وامرهم بالتأهب للقاء المعتزة ان هجموا عليهم وانتظر عسكر العدو حتى يقرروا
منه وهو في غاية الامن والسكون ونهى عساكره أن يفعلوا شيئا مما يكون به تعريض
الحرب او يسهل على القتال وانما كان يتنقل من صف الى آخر ويصاطب عساكره
المجموعة من ملل مختلفة كل مله بلقنها ويقرى قلوبهم بالنشاشة وثبات القلب
في هذا الاخطار وبقى بنفسه في المحال التي كانت عرضة لنيران المدافع اكثر من
غيرها ولم يكن معه الى ذلك الوقت من المدافع ما يساوى عدد مدافع المعتزة فلما
راء عساكره بهذه المنابة تأمروا به ولم يتأسر احد منهم على الخروج من الصف بل
كان الشجاع منهم يرى ان اظهر الخوف أمام هذا الایميراطور العلى الهمة مما
يوجب له الخزي والمهزة ولقوة قلب الایميراطور كان يظهر أن امتناعه عن
الحرب ليس ناشئا عن خوفه من العدو وانما هو من باب الحزم وحسن السياسة
فان المعتزة بعد أن مكثوا متقوهم بضربون بالنار على معسكر الایميراطور ولم
يروا في ذلك فائدة ولم يترتب عليه ما كانوا يقصدونه من تخريب العساكر

مطلب
امتناع الایميراطور
عن القتال

(القالة الثامنة)

(سائر فتح الایمیراطور شر لکان)

٢٣١٠

(سنة ١٥٤٦)

الایمیراطورية على الحرب رجعو الى معسكرهم وقد كوا القتال واما الایمیراطور فانه قضى تلك الليلة وهو يحصن معسكره حتى ان المعتزلة في اليوم الثاني لما ارادوا الهجوم عليه رأوه على غاية من التحصين فتقدموا كل التدم حيث امهالوه حتى تقوى عليهم باحكام التحصينات ولتقائها

وبعد هذا السعي الذي لم يترتب عليه الاظهار تردد المعتزلة وثبات الایمیراطور اشغل المعتزلة بجمع امداد جسيم كان قادمًا الى الایمیراطور من مملكة البلاد الواطية مع قوته بورين وحاولوا صدقه عن الوصول اليه وكان هذا المدد يبلغ عشرة الاف من المشاة واربعة آلاف من الخيالة وهذا القوت وانه كان قد اضطر الى السير من طريق طويلة في خلال بلدان كان بعضها يميل الى حزب المعتزلة وكان يمكن للمعتزلة بمجرّد اخبارهم بقدومه أن يأخذوا سرية من جيشهم الجزار ويقتضوا عليها ويشتكوا به الا أنه حث السير مع احكام الحركات العسكرية وبطء المعتزلة وعدم حزمهم حتى وصل بجيشه الى معسكر الایمیراطور من غير أن يلحقه اذى ضرر

وكان الایمیراطور يعول على التلّك ويعقد عليهم كثيرا فبمجرّد وصولهم اليه تغيرت الاحوال وعزم على أن يبدأ بالهجوم في هذه المرة كبداً المعتزلة في المرة الاولى غير أنه لم يزل يتجنب الحرب مع غاية الهمة فتغلب على مدينة نوبورغ ومدينة ديلهيان ومدينة دوناورطة التي على نهر طونه وتغلب ايضا على مدينة نوردينغ وعدة مدائن اخرى موضوعة على اكبر التيارات التي تصب في هذا النهر الكبير ولكن في اثناء تغلبه على هذه البلدان العديدة وقع بينه وبين المعتزلة ثقتات شديدة لم يكن هو قط الغالب فيها دائما ومضى فصل الخريف على هذه الحال من غير أن يظفر احد الفريقين بالانتحريل ولم تظهر علامات تدل على عاقبة الحرب وغايته وانما كان الایمیراطور في الغالب يقول انه لا بد من حصول التفاقم والشقاق بين المعتزلة ومتى فُتكت الاموال من عندهم اضطر والى التفرق فتخل عصبتهم وتبتدئ شغلهم وكان يلهم بذلك كثيرا ويترقبه مع أنه لم يكن هنالك من العلامات ما يدل على أنه قرب الوقوع بل اخذت ذخائره

مطلب
وصول العساكر
التلّكية الى
الایمیراطور

١ من شهر ايلول

مطلب
حالة الجيشين

(سنة ١٥٤٦)

وعقدت ذاب في التناقص حتى ان اهل الاقاليم القاطنين امتزجوا بالغضب حين
وأوال الصاكر الأجنبية في داخل الايمراطورية وصاروا لا يظنون انهم
الايمراطورية ما يحتاج اليهم المصالح والنفائز الامع غاية الاشهر ازوا التفور
واملا مسكر المعتزلة فتكاثرت تكثيفه سائر المصالح واللوازم بجملة سكان الاطوار
التي يجوارها وقد حلت الامراض بمسكر الايمراطورية بسبب تغير القطر والمطعم
حتى صار مقدار جسم من الاصاير والابطالين لا يصلون للخدمة العسكرية
وكانت ماهيات المسكر الايمراطورية متأخرة لهم ومن حين خروجهم الى
الحرب لم يدع لهم منها الا القليل فحصل للايمراطورية في هذه المرة ما حصل لهم
في كثير من امثالها وهو ان شوكتها كانت اوسع من ايراده فكان يمكنه قوة
شوكتها ان يجند الجنود الكثيرة ولا يمكنه ان يصرف عليها قلة ايراده وقد ادرك
انه يصعب عليه ابقاء جيشه في ميدان الحرب حتى ان بعض ضباطه الماهرين
كالاميردوق آلبه الذي كان لا تكل له مهمة ولا يفرغ من المشروعات الخطرة
المهمة اشاروا عليه بتوزيع عساكرهم الى مساكن الشتاء ولكن كان من طبعه ان
لا تسخيه الاسباب القوية حتى كان عازما على شئ فلم يقبل منهم صرفا ولا عدلا بل
ما زال مصمما على اتعاب المعتزلة بالصبر والمواظبة حيث كان يحزم بأنه ان شئت
شملهم في هذه المرة ونابت مقامهم فيها لا يعودون الى مثلها ابدا هذا وكان
لا يعلم من يسأهم من الفريقين قبل الاخر فكان لا يدري هل تفقره الايمراطورية
اولا او تضعف المعتزلة قبله ولا من تحلف كلته من القشتين ويقع فيه التناقص
والشقاق فتظفر به القشة الاخرى ويغيا كانت العواقب مجهولة بهذه المثابة اذ
حصلت حادثة على حين غفلة فاقسدت ما ربح المعتزلة وخيست مساعدتهم

مطلب
ما ربح موريس
دوسكس

وهي ان الامير موريس دوسكس كان قد اخذ بلب الايمراطورية ابداءه له من
المعادن التي سبق ذكرها فبعد حصول الحرب بينه وبين المعتزلة فرح هذا
الامير وامل التجاح في تفتيز مقاصده الواسعة التي كان مصمما عليها وذلك أنه
لطبعه كان غير قانع بالحصة التي اخذها من ميراث ابيه في بلاد سكس فكان
يود حصول حرب مدينية وقتن داخلية لان مثل هذه الفتنة يظفر فيها ارباب

الجسارة بمرامهم ولا ينبغي اضاءة فرصتها لها أنها نادرة الوجود وقل أن يظهر
 بمرامهم في غيرها باسرها وحيث كان هذا الامر لا يجهل حال الفريقين
 ويعلم ما عليه رؤساؤهما من المعارف لم يتردد في الانضمام الى الفريق الذي رآه
 اوفق بمصلحته واليق بمنفعته فصمم على الانضمام الى حرب الإمبراطور وبادر
 بذلك ليكون اول من انضم اليه ليحظى منه بالخصيصة الجزيلة والنعم الجليلة
 فتوجه لهذا الغرض الى مدينة رانسبونة في شهر ايار متعللا بأنه يريد
 حضور مشورة المدينة التي كانت منعقدة بها وبعد أن وقعت بينه وبين
 الإمبراطور ووزرائه مذاكرات طويلة اتفقت بينهما مشاركة سرية الترم فيها
 موريس بأنه يستخدم الإمبراطور مع الاتحاد والامتنال كاحاد رعاياه المطيعين
 والتزمه الإمبراطور بأن يجعله على الأمير منتخب سكس ويقلده مناصبه
 ويعطيه اراضيه وسائر ماله من المزايا والخصائص وقل أن يرى في التاريخ
 مثل هذه المشاركة من حيث ما تضمنته من تلك حرمة الاصول والقوانين
 التي عليها مدار نظام العالم وانطراى موريس مع حبيته وشدة غيرة على
 الدين الجليل كيف انضم الى حرب الإمبراطور لاعائه في حرب كان
 الغرض منه محق هذا الدين ومحو اثره بالكلية والترم فيه بمصاربة حاكم
 هيسه الذي كان بمنزلة ابيه لانه كان ابازوجته وتجيريد منتخب سكس
 عن دونه ومتناحبه مع أنه كان من اقرب الناس اليه وبالجله قد انضم
 هذا الامير الى حليف لا يعتقد عليه ولا يوثق به لاجل قتال اميره عليه
 المنه والفضل باسداء النعم الجزيلة التي كانت قريبة العهد من عقد تلك
 المشاركة (وهو منتخب سكس) ومع ذلك لم يكن الامير موريس من
 ارباب السياسة الذين لعدم حياتهم يحشرون ما يجب احترامه متى اقتضت
 ذلك مصلحتهم ويبتعدون حرمة القوانين والشعائر التي يري عدم
 مراعاتها بالمرءة ويدنس العرض واذا لم تلتفت الا للسياسة ترى أن ملوكه
 كان مبنيا على الطزم والتبصر وذلك أنه دبر اموره مع ابداء ما يلائم
 المرءة والادب حتى لم يظهر عليه ادنى خلل يستوجب به اللوم والتوبيخ

(سنة ١٥٤٦)

فبوجه سلوكه هذا المسلك كان يترأى من حاله أنه حسن النية خالص الطوية
من جهة دين المعتزة وأنه لا يلام عليه الامن حيث اعتراه بما عيده الامير اطور
وتعويله عليها ولا ريب أنه كان في ذلك كغيره ممن اراد التوغل في مسالك
السياسة فضل في اودية الخسران حيث أنه اراد أن يغش غيره فغش نفسه
وخابت مساعيه

مطلب
مخادعته ومحاولته
في اخفاء مقاصده

وكان اقصى مرامه اخفاء ما التزم به للامير اطور فاعين الخداع والمكر في هذا
المعنى حتى ان المعتزة وان ابى الانضمام اليهم ولازم الامير اطور لم يشكوا منه ولم
يستخفوه بل قوض اليه منتخب سكس في عهد الحرب حين ارتحاله الى حزب
المعتزة امر دولة وبلاد و جعلها تحت حمايته فظهر له من المحبة والمودة ما لا مزيد
عليه ووعد به بأنه يدافع عنها حتى المدافعة ولكن بمجرد سفر الامير منتخب سكس
وبعد عن دولة اخذ موريس يدبر امره سترامع ملك الرومانيين ليتغلب على
هذه الوديعه التي استودعها و جعلت تحت امامته فبما قليل ارسل اليه
الامير اطور نسخة من فرمان في الامير منتخب سكس والامير حاكم هيسه
وكان الواجب عليه أن يحصى هذه الدول التي استأمنه عليها منتخب سكس
حيث كان اقرب الورك الىه الا أن الامير اطور الزم به بأن يقبض على تلك الدول
ولم يعترض في ذلك لمراعاة مصلحة موريس الخصوصيه وانما ذكر أنه
يجب عليه ضبط الدول المذكورة امتثالاً لامره لانه رئيس الامير اطورية
واختاره بأنه ان أبى اجراء هذا الامر الامير اطور ي اشرىكم مع قريه منتخب
هكس في الذنب والعقوبة

وتظاهر أن هذه الحيلة كان قد املاها الامير موريس الى الامير اطور لكي
يرى أن قبضه على دول منتخب سكس انما هو بطريق الاكراه والامتنال لامر
الامير اطور لا من باب الاقتيات والتعدي على قريه ولكنه قصد أن يخفي
مقاصده واطماعه بعمل خيله اعظم من الاولى مكرًا وتدبيرًا لجمع عند رجوعه
من مدينة رانسونه مشورة ما حورته وقال لا ريبا حيث ان الحرب لا يذ
من وقوعه بين الامير اطور وعصبة ممالك كالد فالو محتاج لان تبدوا آراءكم

في هذا المعنى وتفيد في ما ينبغي لي فعله في تلك المأثرة وكان أرباب هذه المشورة
يعترفون غرضه حق المعرفة قبل ذلك ومستعدين لأجابته فيما يريد فاشاءوا عليه
أن يتصدى للإصلاح بين الفريقين فإن امتنع أحدهما من قبول الصلح عقم
الإمبراطور مشاركة على أنه لا يضرب من المعتزلة وبعد عقبتها يطع الإمبراطور
ويصل بمقتضى امره وفي أثناء ذلك وصله الأمر الإمبراطوري مع خبر الحكم على
كل من منتخب سكس وحاكم هيئة بالنفي بجمع المشورة ثانيا وعرض
على أربابها الأمر الصادر له من الإمبراطور وتهديده بالعقاب إذا هو لم يتقبل
واقفهم أيضا أن المعتزلة لم يرضوا بوساطة في الإصلاح بين الفريقين وأن
الإمبراطور وعده بما عاهد مستحسنة في شأن عدم الأضرار بالدين الجديد وذكر
أن مصلحة مقتضى أنه يدفع عن أراضى دوقية سكس وأن أساطين الأجانب
يخلصون كل الضرر ولما رأى أن رعاياه يحضون إلى مثل غرضه أراد أن يفعل
في هذه الصورة الصعبة بمقتضى ما يشيرون عليه به فعول أرباب هذه المشورة
على مواعيد الإمبراطور حيث كانت تمنح أنه لا يضيّق على الناس في شأن
الدين الجديد وعرضوا على أميرهم موديس أن الأصوب أنه قبل شروعه
في الاستيلاء على بلاد سكس يكتب عن لسان المشورة إلى منتخب سكس
بمعناه أن أحسن واسطة في تسكين غضب الإمبراطور ومنع استيلائه على
دولة بطريق التغلب أو ظلمها في سلك الجفالك هو أن يرضى بكون موديس
يستولى عليها بدون حرب ولا قتال فكاتب بذلك كتابا من طرفه إلى الأمير حاكم
هيئة والنزوحته فلما بلغ ذلك منتخب سكس امتنع بالغضب وبذ الكتاب
واحتقر ما اشتمل عليه من هذا الخبر المسيء فكاتب حاكم هيئة الجواب إلى
موديس يلومه فيه ويوبخه على ما عزم عليه من الخيانة والافتيات على منتخب
سكس مع أعدائه عليه بالخيرات والنعم وأخبره أن تعله بتفويض الأمر
الإمبراطور لم يصادف محلا فان الحكم الصادر منه بالنفي لاغ لا يعمل به لعدم
استيكا له للشرط اللازمة ولكونه لم يصدر للأع مجزأ اختياره ومحض إرادته
ونظم الكتاب ليكون ترجاه أن لا تغرّه موجبات الطبع حتى ينسى ما توجه عليه

(سنة ١٥٤٦)

شعار المروءة وشرف العرض وشروط الصداقة والمحبة فيغدو يدين المعتزلة حيث
 ثبت باقرار البابا أن التصدد من الحرب انما هو محقق هذا الدين بالكلية هي
 لا يبق له رسم ولا اسم يلاذ ألمانيا .

مطلب
 تغلب موريس على
 دول منتخب سكس

ولكن كان موريس قد تعاهد مع الايماطور من قبل معاهدة أكيدة
 بحيث لا يمكنه العدول عنها بجزء ولا توبخ ولا اقامة براهين جليلة فلم يلتفت الا الى
 تمييز ما كان دبره بالحيلة وانخداع وسلك مسلك الجسارة في تخصيص مقصده كما سلك
 مسلك التحيل في تدبيره فجمع جيشا يبلغ اثني عشر الف مقاتل وجمع به على
 جز من بلاد سكس وهم الملك فرديناند على الجزء الاخر مع جيش جمعه
 من اهل بلاد جه والمخارق فزا موريس غزوتين عظمتين هزم فيهما
 العساكر التي كان اجماها منتخب سكس في دوله لاجل حمايتها والمدافعة
 عنها وتغلب على جميع بلاد سكس ماعدا مدينة ويرتانبورغ ومدينة
 غوطه ومدينة ايرناخه لان محاذي هذه المدن كانوا يجتمعون من النجاعة
 والمهارة فابوا التسليم وعما قليل وميل خبر ذلك الى كل من معسكر الايماطور
 ومعسكر المعتزلة وترتب على هذا التهرب في المعسكر الاول غاية الفرح والسرور
 واما المعسكر الثاني فاغاط ذلك اهل غيظا شديدا وهالهم امر هذا النطلب
 وصاروا يلعنون موريس بكل لسان فكنت لاسمع اسمه الا مقرونا
 بالسخط والتشنيع والقذح والسب الفتنج فتارة يقولون انه جاحد منافق
 قد رفض الدين الجديد وتقض عهوده واخرى يقولون انه خائن غادر بالخزنة
 الجرمانية وطورا تجمعهم يقولون هو قليل المروءة مخدوش العرض لهتكه
 حرمة الحقوق الواجبة الاحترام بحق القرابة وبحق شكر النعم وبالجملة فلم يبق
 شيء من انواع المذام والهجو والقذح الا قيل في حق هذا الامير فكنت تسمع من
 افواه المعتزلة ما تنصر عن الاضاح به العبارة من المذام والمسبات ولا تكن
 كان موريس معقولا لم يمل مكره وخداعه طامعا انه يبرأ بذلك عند الناس
 فشر عريضة تشتمل على جميع الاساليب الضعيفة والعلل الواهية التي تعمل بها
 اولا بحضور ارباب مشورة مأموريته وذكرها في المكتوب الذي ارسله الى حاكم

سنة ١٥٤٦

مطلب
عرض المعتزلة الصلح
على الاميراطور

هيسة

ولما بلغ منتخب سكس أن موريس اغار على بلاده اراد أن يتوجه اليه
بالعساكر اللازمة لاثاق دوله واعانتها فاجتمع وكلاء عصبة سمالكال في مدينة
هلم والحوا عليه كل الالتحاح حتى جالوه على انيسار المصلحة العامة وترجيحها
على مصلحة دوله فعدل عن هذا التصدي الا أن رعاياه كانوا على مدى الاوقات
يكتبون اليه بالحضور عندهم ليقضهم من ظلم موريس وقسوة الجوار الذين
كانوا يفعلون معهم ما كانوا يستعملونه في حريمهم مع الدولة العثمانية من السلب
والتهب والقتل ونحو ذلك فازدادت حية الامير منتخب سكس وألح كل
الالتحاح حتى لم يمكن وكلاء عصبة سمالكال أن يمنعوه في هذه المزية فيعملوه
على العدول عن التوجه الى بلاده وان كانوا يرون أن انفصاله عن جيش
المعتزلة تكون عاقبته سيئة مشؤومة عليهم ولكنهم قبل أن يحكموا بشئ في شأن
ارتحال او يكتنه توجهوا الى معسكر المعتزلة في جياتجان على نهر براتنه
ليشاوروهم في هذا الامر فتصير المعتزلة فيما يبدونه في ذلك فكانوا من جهة
يفزعون من تخلي بعض حلفاء منيهم وقصور همة الباقين ويخافون أن اتحال
الحرب وشدائده لا يكابدوا الا اهل الحية الدينية الذين يتطافرون باموالهم
وانفسهم في حياية الدين وكانوا من جهة اخرى قد قوت همهم حيث لم يمكنهم
تحصيل مدد من الملل الاجنبية وكان فصل الشتاء قد اشتد عليهم حتى ان معظم
العساكر يل والضباط كان يضطر الى ترك الخدمة فيجميع هذه الاسباب رأى
المعتزلة أنه لم يبق لهم وسيلة سوى الهجوم بقتة على الجيش الاميراطوري
ليصاموه على الحرب او المداولة مع الاميراطور بقصد الصلح ولكن كلن القزح قد
استولى على قلوبهم وداخلهم الرعب وقصور الهمة فخرجوا اسهل هذين الامرين
واوقفهم ما بهم وقضوا لوزير الامير منتخب براندبورخ أن يتداول مع
الاميراطور في شأن الصلح نيابة عنهم

مطلب
امتناع شرلكان عن
الصلح

فلما لاحظ الاميراطور أن هذه العصبة المتكبدة التي كان يخشى منها أن تطرده
من بلاده ألمانيا قد تبازلت حتى بدأت بطلب الصلح ظن انها قد ضاعت

شوكيها وقترت همتها وحيثما وزال ما بين اربابها من الاتحاد والائتلاف فاخذ
يسلك معها مسلك الغالب القاهر حتى كأن المعتزلة قد صعدوا في قبضته
يتصرف فيهم كيف يشاء واخبر أنه لا يقبل الصلح معهم الا اذا سلم له الامير منتقب
سكنى امره ودوله يتصرف فيه وفيما كيف يشاء ولو فرض أن الامير اطور
طلب هذه الشروط في وقت قنوط المعتزلة وبأسهم لها اطاعتها فوسم من ثم
رضوها وردوها على الامير اطور مع الكبر والعنفوان حيث لم يكونوا عاجزين
مغلوبين وانما كانوا في ورطة وارباك مما وقع بين ارباب عصبتهم من الاختلاف
والثقاق ولكنهم مع امتناعهم من اجابة الامير اطور فيما يطلب لم يذلو اهمتهم
في التثبت بوسيلة لم يكن لهم سواها اذ ذلك في حفظ حريتهم واستقلالهم
وهي اتحاد عصبتهم والتسامها وعدم تفرق اعضائها فان ذلك وحده كان السبب
في فزع العدو وخوفه منهم حتى ان حرب الامير اطور كان قد عزم على الرجعة
غير مرة فلواستقر المعتزلة على الاجتماع والاتحاد لارهبوا الامير اطور وخشى
بأسهم وصولهم مع ما حصل لهم من التمسر ان في بلاد سكس ولكنهم لما حسم
الامير منتقب سكس على الذهاب الى دولة لينقذها عن افات عليها وألح
عليهم في ذلك كل الاحلاح رضوا له بالذهاب اليها وانفصلوا عن بعضهم وتشتت
جيشهم ولم يبق منه الا تسعة آلاف في اقليم ويرانامبرغ لاجل حاجته وحاجة
المدائن التي بأقصى بلاد ألمانيا وتوجهت منه طائفة كبيرة مع منتقب
سكس ورجع الباقي الى بلاده مع رؤسائه وتشتتوا فيها عن آخرهم
وبجرت دشتان جيش المعتزلة صارت عصبتهم غير مهابة ولا مخوفة وداخل كل
واحد من اربابها العرب والفرع حيث صار وحيدا وعرضة لفتك الامير اطور
وحقده بعد أن كان آمنا على نفسه اعتمادا على اتحاد العصبة والتسامها ولم
يملهم الامير اطور حتى يتداولوا مع بعضهم ويعقدوا عصبة اخرى بل بجرد
تفرق جيشهم توجه بعضا كره مصمما على القتل واستهزل تلك الفرصة التي كان
ينتظرها منذ زمن طويل محشدة القوم والبرداذ ذاك فتفتت له ابواب عدة فلاح
صغيرة مع أنه كان بها محاطون من طرف المعتزلة وبعيا قليل دخل تحت طاعته

مطلب
دشتان صاكر المعتزلة

مطلب
دخول اغلب ارباب
عصبة المعتزلة تحت
طاعة لالامير اطور

مدينة نوردينغ ومدينة روتاميرغ ومدينة هالة وكلها مع المدن
الاميراطورية الكبيرة ولكن لم يمكنه أن يمنع منتخب سكس عند رجوعه من
ضرب مغارم جسيمة على مطران مايتسه وقسيس فولد وغيرهما من الامراء
القسيسية غير أنه تسلى عن ذلك بتسليم مدينة هلم التي هي من اعظم مدائن
سوابه وكانت ممتازة عن غيرها بشدة الميل الى عصابة المعتزلة وبمجرد تسليمها
تأسى بها سائر ارباب عصابة المعتزلة حيث اراد كل منهم أن يسادر بالدخول
تحت الطاعة قبل غيره ليفوز من رضاء الاميراطور بالخط الاوفر ويكون
صلحه معه على شروط سهلة مستحسنة وكان الامير منتخب بلاطين قد
وعد أن يكون بم عزل عن الفريقين ومع ذلك فقد بعث الى عصابة المعتزلة اربعة
آلاف فرس وهذا المدد وان كان قليلا في حد ذاته ولا يعتمدن الاعانات المعتمدة
الا أن الاميراطور استعظم ذلك وعنده ذنبا كبيرا من هذا الامير فالزمه في تسليم
ذلك بامور اخضت به الى الهوان والمذلة واستولى الرعب والفرع على قلوب
اهل مدينة او كسبورغ حين راوا انهزام المعتزلة من سائر الجهات
فظفروا من مدينتهم الشجاع شرتيل ورضوا بالشروط التي ازمهم بها
الاميراطور

واما الامير دوق ويل تانغ فله وان يادربا بالدخول تحت الطاعة الا أنه
لم يكن يتسبب العفو بالسهولة بل اضطر الى طلب العفو من الاميراطور وهو جاث
على ركبته بين يديه ولم يزل العفو منه الا بشق الاخص

ونارأت مدينة ماينجيان وغيرها من المدن الحرة التي في اقليم سوابه
أن اعظم حلفائها واقوامهم شوكة قدرتها وتخطى عنها لم تجد وسيلة في الامن
على قسمها الا انقيادها للاميراطور فبادرت بالدخول تحت طاعته وكذلك مدينة
استراسبورغ ومدينة فرنسكفورت اللتان على نهر مان فانهما
وان كانتا بعيدتين عن هذه الاخطار بادرتا بالتسليم فبذلك تشتت في ظرف مدة
قليلة عصابة المعتزلة وتفرق اعضاؤها بعد أن كانت لقوة شوكتها يحشى منها على
الكرسى الاميراطوري ولم يبق احد من اربابها مشهورا بالحرب الا حاكم هيسة

• المقالة الثامنة •
(اتحاد ملوك الزمان)

٢٤٠

سنة ١٥٤٧

مطلب

الام الاميراطور للمعتزة
بشروط صعبة

ومتعجب سكر ولكن لم يعترف الاميراطور بادخالهما تحت الطاعة حيث
كان قديداً الامر بالانضمام منهما هذا وينبغي ان ينبه على ان من دخل تحت طاعة
الاميراطور لم يزل منه العفو الاعلى شروط صعبة لانه لما رأى ان يسهل فوق ايديهم
سلط معه مسلح اكبر والجنود فاضطر جميع الامر اورسل المذاكر الى الوقوف
بين يديه موقف الدد و"تكسار دقت" عوا اليه ببالونه انهم والصفيح عنهم
فضر عليهم مغارم جسيمة لانه وقتئذ كان محتاجا الى الاموال فاعطوه ماقرضه
عليهم بدون توقف فدخل اليه الامير دوق ويرانبيرغ ثلثمائة الف ايكون
ومدينة او كسبورغ مائة وخمسين الفا ومدينة هلم مائة الف ومدينة
فرانكفورت ثمانين الفا ومدينة مامينجان خمسين الفا وكل دولة او مدينة دفعت
من الاموال على حسب ثروتها وقدر ذهابها في الخروج عن الطاعة والزمته زيادة
على ذلك بالتخلي عن عصبة المعتزة وباعانة الاميراطور اذا استعان بها في تنفيذ
الامرمان الذي صدر منه بنقي منتخب سكر وحاكم هيسه ولكن مع الزامه
له بهذه الشروط لم يتعرض لشيء مما يخص الدين • وقد اشتد الرعب والفرع
بقلوب ارباب عصبة جمالكالد حتى نسوا الغيرة التي كانت تقوى قلوبهم الى
ذلك الوقت في شأن الدين وصاروا لا يشغلون الا بما فيه امنهم على انفسهم خاصة
ولم يحس احد منهم على ان يتعرض للكلام في شأن الدين لعدم تعرض الاميراطور
لذلك الا ان اهل مدينة مامينجان خاطر وابتاعهم وطلبوا من الاميراطور ان
يعدهم بالحماية وعدم التعرض لهم في التمسك بدين المعتزة قبل وذرأه
الاميراطور تقريرهم في هذا المعنى على وجه لمهم به ترك هذا الغرض والسكوب
عنه

وكان منتخب كولونيا سكر صادر في شأنه ن بابا لم يزل باقيا على
منصب المطرانية برضا الاميراطور وان قرار فلانين الطفر لشر لكان حل
الامير المذكور على الامتثال لحكم البابا وتنفيذ امره فلففته وزهده نزل عن
منصبه بالطوع والاختيار حقا لدم عريته ومنعما جعلهم عرضة لاهوال الحرب
والقتال وانز العزلة والتبسك بدينه على احتاط الفتنة والتعكير على الناس

٢٥ من شهر
كانون الثاني

(سنة ١٥٤٧)

مطلب

رجوع الامير منتقب

سكن الى بلاد

واستلانه عليها

بخصته الحرب رغبة في حفظ منصبه مع أن الحرب مجهول العاقبة لا يدري هل يتم له او عليه

واما الامير منتقب سلك فوصل الى ضواحي دله ولم يتيسر للامير موريس أن يجمع العساكر اللازمة لمقاومته ومنعه فاستولى في اقرب وقت على بلاده واتخذ من بلاد الامير موريس اقليم ميسنة وجزءه عن سائر اراضيها ماعدا مدينة درسد ومدينة ليسيك لانها كانتا منيعتين حصنتين فلما اضطر موريس الى ترك الحرب والاتجاه الى محقر حكومته صار يبعث الى الاميراطور بريدا بعد آخر ليقفه على ما حل به من الاخطار والمخ عليه في السير اليه لاعتائه على عدوه وكان الاميراطور وقتئذ مشغولا بشروط الشروط على عصبة سمالكه فرأى أنه يكفي في ذلك أن يرسل الى بلاد سكس الامير ألبيرت مقدم براندنبورغ أنسيانغ معصوبا بثلاثة آلاف من العسكر وسكان هذا المقدم يصلح لمل هذا المشروع اتم الصلاحية ومع ذلك حضر اليه منتقب سكن وقتل معظم عساكره وقتل الباقي ولواخذه اسيرا فازدادت بذلك حيرة موريس واختل نظامه وكان لابد من الظفر به والظهور عليه ليعرف منتقب سكن أن يتهز هذه القرصة النفيسة التي احفظها الدهر ولكن كان من طبعه البطء والتردد سواء استقل بالحكم على الجيوش وشاركه في ذلك غيره فلم يحصل منه مهمة ولا نشاط الا في مضاجاة الملتزم ألبيرت وهو ضاع عن كونه يسار بالسير الى موريس بعد ان هزم هذا المد الذي جاءه من طرف الاميراطور رضى بمعارضه عليه موريس في شأن الصلح لعدم حزمه وقلة تبصره في العواقب فان موريس لم يراعهم يكن غرضه من طلب الصلح الا المشاهدة وتطويل امد الحرب حتى يسهل الدهر بالاعاة

مطلب

هز الاميراطور عن

الهجوم على منتقب

سكن وحاكم هيئة

وكانت مقتضيات الاحوال ان ذلك لا تسوغ للايميراطور أن يوجه لاعاة حليفه موريس وذلك أنه بعد ستان جيش عصبة المعتزلة سرح قوته برين مع العساكر القليلة لتصف عليه المصاريف معتقدا أن العساكر

• (الغارة الثامنة) •
(التحالف ملوك الزمان)

٢٢٢

١٣٤٧

الاستيلاوية والامانية بانجمها الى عساكر الباياتسكتي في فتح المعتزلة
واذلالهم ولكن كان الباياتسكتي قد ندم على معاهدته مع الايمبراطور
وكان اهل البنداقية قتلهم لم يرضوا الدخول في تلك المعاهدة ونصحو الباياتسكتي
ان لا يتعاهد مع الايمبراطور فلم يقبل نصيحتهم ولم يتعظ من عقلة في هذا المعنى
الابتدع الجيش الايمبراطوري وتدمير عسبة المعتزلة في اقرب وقت لانما رأى
ذلك نسي جميع ما كان يؤمل في تخفيفه على المعتزلة من المنافع والمزايا
عينية سوى النقط الذي ارتكبه باعانة الايمبراطور على توسيع شوكة حتى ظلم
اهل ألمانيا واضعف شوكتهم وفتح له طريقا في التغلب على بلاد ايطاليا
والتصرف المطلق فيها فلما ادرك عدم اصابته في ذلك اجتهد في اصلاح حاقت
فصدرت اوامره الى حفيده الامير فرناندو بدون ان يعلم الايمبراطور
ان يعود بين معه من العساكر سرى وارجع في الاذن الذي كان صدر منه
للايمبراطور انه يأخذ من اسبانيا بعض الاراضي القبيصة وكان ثم الباياتسكتي
اسباب يتسلل بها في اخذ عساكرهم منها ان مشارطته مع الايمبراطور كان
اجلها ستة اشهر وقد اقضى ومنها ان عسبة المعتزلة تشتت وتفرقت بالكلية
مع ان القرض من معاهدته مع الايمبراطور انما هو ابادتها وتدميرها ومنها
ان الايمبراطور في مفاوضاته ومداولاته هم من دخل تحت طاعته من المداين
والاحراء لم يشاور الباياتسكتي في اعطائه شيئا من البلاد التي فتحها ولا من
الاموال الجسيمة التي جمعها ومنها انه لم يسع اصلا في ازالة الاعتزال ولا في نشر
الدين القاتوليقي في البلاد التي كان يها منبوزا ممنوعا مع ان هذين الامرين كانا
هما القرض للباياتسكتي عاهد الايمبراطور واعانه بالرجال والاموال ٥٠ سنة
الاسباب وان كانت مقبولة مسئلة لان الايمبراطور لم يتعظ عليه بمقابلة الباياتسكتي
بل علم ان السبب الحقيقي في ذلك انتماعه غيرهم منه وكان الامر الصادر من
الباياتسكتي رجوع العساكر امره بايعاتسيا فلم يستحسن منعهم عن السفر فاخذ
الايمبراطور يشكي ويتظلم من خيانة الباياتسكتي وغدره حيث تخلى عنه بدونه
سوجب ولا مقتض وتركه حين اشرف على تدمير حرب انهم قد يطلبه والحاجة

مطلب
استدلال الجنود

ويترتب

• (الحالة الثامنة) •

(ساريج الاميراطور شرلكان)

٢٤٣

(سنة ١٥٤٧)

و يترتب عليه لو تم فخر الكنيسة وتأيد دينها وزيادة على ذلك كان يمتد
الياباوي يولم ويشرح عليه فلم يكن لذلك كله تأثير عند اليابا بل استمر عساكره
على المسير الى بلاد ايطاليا وقد نشر اليابا ايضا عريضة يريخ فيها نفسه ويرد
على الاميراطور كلامه وقدحه وفيه كرفيا ما يدل اتم الدلالة على رغبته عن
الاميراطور وخوفه من ازدياد شوكته * فلما رأى شرلكان أن جيشه
قد قل عدده بارسله منه بلة الى محافظة المدائن التي سلت اليه واتصال عساكر
اليابا عنه رأى أنه يلزمه أن يجمع عساكر جديدة قبل أن يتوجه بنفسه
الى بلاد سكس

ولاحك أن الاميراطور كان يملكه بشهرته وعظم وقعه في القلوب بما حاز من
النصرة أن يجمع من البلاد التي تغلب عليها من يلزم له من العساكر في فتح منتخب
سكس وقهره ولكن منعه عن ذلك القننة التي وقعت في جنوية على
حين ضلته وكان قد حصل قبلها تقلبات كبيرة بمجولة الحال فاضطر الاميراطور
الى البحث عن معرفة اصلها والوقوف على الغرض منها قبل أن يشترع في اضرار
نيران حرب جديد يلاذ ألمانيا وذلك أن صورة الحكومة التي ترميت
في جمهورية جنوية حين ردة اليها الامير اندره دوريه حريتها كانت
مستحسنة مقبولة بحيث تصلح لازالة ما كان يهدد الجمهورية من القنن
والتعكيرات وكان قد رضى بها اهل جنوية كافة وحلت منهم محل القبول
والاستحسان فلما مضى عليها عشرون سنة قام بعض اهل تلك الجمهورية الذين
من دأبهم التعكير و اضرار نيران القنن وأبى تلك الصورة وامتنع من قبولها وكان
المنوط بادارة المصالح انذاك عائلات مخصوصة من عائلات الاشراف والاعيان
فشأت الغيرة من ذلك في قلوب سائر الاشراف وودوا أن ترتب الحكومة
الاهلية ثانيا لتعودهم عليها وكان الامير دوريه لعفته وخصاله الحميدة
وعدم اغراضه وكثرة معارفه وقضه محترما مهابا بينهم ومع ذلك غار منه بعض
الناس حين رأوا أن كلمته هي العليا في جميع شأور الجمهورية وكان يجب على
ابناء وطنه بمقتضى سنه وعفته وشدة ميله الى الحرية أن يعتقدوا فيه انه

مطلب
القننة الحاصلة
في جنوية لتصل
تغيير حكومتها

مطلب
قصد الاعيان
وغرضهم

لا يتجدي ابد احد وشوكة ولا يرتكب ما يندس آخر عمره بهدم اركان
الحكومة الطيفة التي قضى حياته في اقامة دعائها وتشديد عقاصرها
على قلوبها وتأسيسها ولكن خشي الجنويزة أن الحكومة ما دامت
جمهوريّة وبما تغلب عليها انسان غير ائدره دوريه اصغر منه طمعا
واقبل منه عفة وفضيلة فيضرب الله كل الضرر ولقد حصل ذلك من رجل
تعطت آماله بنيل هذا الامر وبما جعله في نفسه وهو جيا تينو دوريه
وذلك أن عمه الأمير ائدره دوريه كان قد وعده بأن يوصي له عند موته
بإسرا مواله فطبع أن يظفه في الحكم على جنويزة ايضا وكان من الجبارين
العتاة والسفهاء البغاة بحيث لا يصلح أن يكون وارثا للحكومة ملوكه فضلا
عن حكومة جمهورية بحكومة جنويزة وكان اكثر الجنويزة حزمًا
وضلّة واعظهم بصرا بالعواقب فكانوا يمشون بأمره ويخضونه ويعتونه
عدوا للعزيم التي اجتهدوا في جعلها عليهم الفاضل والمنسب وليسكن كل
ائدره دوريه قد اعتمه عن عيوبه الجدية الغير الاختيارية التي نشأ عادة
في قلوب الشيوخ لا صغر ابناء عائلاتهم فكان يرأف به كثيرا ويرفق به
اتم الرفق حتى كان يظهر منه أن همه في قضاء سعادة الجمهورية دون همه
في ترقية قومه جيا تينو المذكور .

مطلب
كون الأمير فيسكن
قوة لواءه هو
رئيس العصابة

ولكن مع اسامة الناس القلن في مقاصد دوريه واغراضه وقد همهم في هورة
الحكومة التي كانوا عليها ومثذقول ان هذه الاسباب لا ترتب على اسوى
التشكي والتظلم من طرف الاعالي لو لم يكن هناك الأمير خالو زونوفيك
قوة لواءه فان هذا الأمير كان يرتب اربادهم العصابة و : لرشة فظهم
واضطرابهم لينتهز من ذلك فرصة في ارتقاء نفسه فزعم على مشروع هذين
اعظم المشروعات التارضية وذلك أن هذا الأمير الشاب كان اغنى رعايا
الجمهورية واكثرهم امتيازاً وكان يمكن من الصفات الجميلة التي تسبق القلوب
وتستوجب الاحترام والمهنة فكان دولة الظرف والبهاء يلوح على وجهه
وكان لا يقرطه في اعطاء يبلغ كرس - الاسراف فكان لا ينجح عن اصحابه شيئا

(سنة ١٥٤٧)

بل كان يعرف مقاصدهم فيمنعهم بالعطية قبل السؤال وكان يعطي الجانب
فوق الامل وكان له تحصيل غريب في اسقاة القلوب اليه وكان يشوشا
بالطبع يسلك في معاملته الناس مسلك الرفق ولين الجانب من غير تكلف في ذلك
ولكن كان وراء هذه الصفات الجميلة التي هي ميزة النوع الانساني وحيثه
صفات اخرى يصلح صاحبها لرياسة الاحزاب انظره وادارتها وتديرها
فكان لشدة طبعه لا يئنه عيش وكان بمكان من العزم والشجاعة بحيث
لا يكثر بالاهوال ولا يسأل باقتحام الاخطار وكان بالطبع يستكف الاقياد
والتبعية لغيره فقل هذه الانفة لا تطيق أن تكون تحت حكم احد فسد هذا
القوة الامير دورية على ماله من الشوكه وضو الكلمة وكان كلما فكر
أن هذه الشوكه مستنقل من بعد دورية الى قريه جياقنيو ازيدادها
وحرناو واردت الافكار على هذا الرجل الجسور الطباع حتى عثكت منه
واستولت على قلبه فعزم على هدم هذه الحكومة التي كان له كبره وعثوه
لا يطيقها ولا يستطيع الاقياد اليها
ولاجل أن يضيغ في مشروعه عن أنه يجب عليه من مبدأ الامر أن يعقد المعاهدة
مع الملك فرنسيس الاول فعرض هذا العرض على رسول هذا الملك الذي
كان اذذاك بمدينة رومة وكان تصد به ذلك أنه يطرد الامير دورية وانظر
الامير بطوركي باعانة الملك فرنسيس ثم يدخل جمهورية جنويزة تحت
حماية فرنسا مؤملاً أن الملك فرنسيس يكافئه على هذه الخدمة
بتقليده اول منصب من مناصب الجمهورية وانا طه بادارة مصالحها لكنه
لمعرض هذا العرض على بعض اصداقائه كان من جلته رجل قد جارت عليه
صروف الدهر ومع ذلك كان جذرا بتغيير المشروعات العظيمة والمقاصد الخفيرة
الجسيمة وهو وريثه فافهمه أن تعرضه لثل هذا الخطر العظيم الذي لا يعود
بالمنفعة عليه بل على غيره من باب الجنون وعدم سداها الرأي وحرضه على السعي
فيما يجب أن يكون به قولي امر الحكومة بنفسه وافهمه أن ذلك سهل مستغرب
للمحصل لكنه عريق الحسب والتسب محبوبا عند ابناء وطنه ولكثرة حاجاه

مطلب
دعائس العصبية
وتجهيزاتهما

وأصدق ما فاجبه كلام ويرينا وقع منه بموقع عظيم فعذر عما كان مصعبا
عليه من الاستعانة بملك فرانسا واسع ما اشار به عليه ويرينا ولم يجاسر
احد من الحاضرين على معارضة ويرينا فيما ابداه من الرأي حيث رآوا
أن فيسك قد لجمه ذلك واستحسنه مع أنهم كانوا جازمين بأن هذا المنشروع
على غاية من الخطر والخطأ رأى فيما بينهم على قتل الامير تدمير موره والامير
جياتينو واعيان حزم ما على قتل الملك امير من على الامير من قتل الملك
كان يلزم لاجراء هذا المقصد مدة من الزمن وفي اثناء التجهيز لهذا الغرض
كان فيسك يحترم كل الاحتراس في اخفاء مقاصده وكتمان اغراضه
حتى لا يطلع عليه احد فسك في ذلك مسلكا بحجبا حيث انظر الانهال على
الفلذات والشهوات فكان في الظاهر يصر فزمنه في الخنونة والهلوه واللعب
ولا يترأى عليه أن فكره مشغول بغير ذلك وهو في الواقع يدبر اموره مع الخزم
والاعتناء بموئل المهمة سالكا في ذلك مسلكا وسعنا بين البطء والعجلة التي نشأ
عن الجزع وعدم الصبر واستقرت المفاوضة بينه وبين رسول فرانسا الذي
كان بمدينة رومة في شأن طلب حاية الملك فرنسيس عند الحاجة اليها
فما بعد ولم يوقفه على حقيقة مقاصده بل تعصب سراع الامير فرنيزدوق برمة
وكان هذا الدوق حاقدا على الامير بطور لا يكونه ابي تقليده منصب الدوقية
على برمة فكان مستعدا لاسامته في نظير ذلك بالاستقام من جملة مدورية
حيث كانت تحبه وتبجح اليه وكان ايضا يسعى دائما فيما يكون به اضعاف شوكة
الامير فخر ريلاد يصعب وكما قيل له ان جزيرة كبره
من الدول المعروفة يرد عليه ان لا يتعدى على نهر حتى يتم هذا المشروع المهم
فطلب من البابا اربعة اعرار بكون البابا يعرف قصده بطريق الطن والتخمين
ولكن لم يله عليه وانما تعلق بكونه يريد تجهيز فراب من هذه الاغربة
لقتال الدولة العثمانية فجمع فيسك جملة عظيمة من اتباعه ومن الطوائف
الغارة التي كانت غير مستخدمة بسبب المهادة المتخذة بين الامير بطور
والسلطان سليمان فكان لا يتيسر لها القوت والمؤونة

ومع اشتغال الامير فيسك بهذه الاحتراسات واجتهاده فيها كان لا يقرأ أى
عليه أن آماله متعلقة بغير الله والعبادة فكان ملازماً للتأديمة كل من
الامير دورية والامير جياتينو فكان يداهن دورية الذي كان
حسن الطوية لابس الطن باحد ويخادع جياتينو مع ما كان عليه من
المكر والارتياح من الناس لما كان معهم عليه في نفسه من العانس والفن
ولم يزل فيسك على هذه الحالة حتى دبر اموره على اتم وجه ولم يبق عليه
الا الاهتمام بتجهيزها وطالما تفاوض مع اصحابه فيما يكون به نجاح صبته
ثم استقر رأيهم اولا على قتل الامير اندره دورية والامير جياتينو مع
اكبر حوزتهم وقت الصلاة في الكنيسة ولكن لما كان اندره دورية
لا يحضر الصلاة الا مادار الهرمه وطعنه في السن عدلوا عن هذا الرأي واتفقوا
على أن فيسك يصنع ولية في بيته ويدعونها جياتينو وعمه
اندره دورية وسائر احبابهما واصحابهما وبذلك يسهل القتل بهم ولكن اتفق
أن جياتينو يخرج من المدينة لقضاه بعض اوطاره في اليوم الذي اعتد
لتجهيز هذا الغرض فاتفقهم أن يعدلوا عن هذه الطريقة الى طريقة اخرى
فصمموا على أن يسلكوا في ذلك مسلك القوة جهرة حيث ان طرق الحيلة لم تصد
ففعلا واجتمعوا على تجهيز هذا الامر في الليلة الثانية او الثالثة من شهر كانون
الثاني وكان الوقت يساعدهم حيث كانت العادة عندهم أن الدوج اى
الحاكم يتغير كل سنة في اوائل هذا الشهر وأنه لا يمكن انتخاب حاكم جديد يقوم
مقام القديم قبل مضي اربعة ايام من الشهر المذكور ففي هذه المدة تكون
بجمهورية جنويرة خالية عن الحاكم في ذلك يسهل على الامير فيسك
التغلب على حكومتها

مطلب
اجتماعهم لاجل تغيير
مقصدهم

وفي صباح اليوم الموعد زار فيسك جميع احبابه واصحابه وكان يرى عليه
النشأة والاطمئنان فكأدته ثم ذهب في المساء الى اندره دورية
وجياتينو وحاطبهما مع التظيم والتجليل على عاذته معهما وتأمل حركاتهما
وطوارهما مع ما يقتضيه الحال من مزيد التدقيق فخرج حين رآهما على غرة

وجعل يقصوده وفي من كل من جهته وليس له ما علم بالمر العصبية المتخزية
 عليها منذ زمن طويل

ثم خرج من مزايتهما مسرعا الى عراسته وكانت منعزلة على حداثها في حوش
 كبير تكتنفه شيطان عالية وكان قد فتح ابوابها من القبر واذن بالدخول
 لكل من اراد سواء كان حيرا او خطيرا ولكنه وضع على الابواب خفرا لمنع
 من اراد الخروج واما ~~ويستل~~ ويستل ويستل لم يلبث العصبية الذين كانوا يعملون
 بقيقة الحال فانهم بعد ان دخلوا السراية ومعهم حزب فيسك وعساكره
 البصرية خرجوا واقتسروا في المدينة مع السكون وعدم اللفظ واخبروا اعيان
 الالهة الذين كانوا يقضون حكم الامير اندره دورية ويميلون الى
 ايقاظ الفتنة والانضمام الى من يضرم نارها بان الامير فيسك قد صنع
 ولية وارسلهم ليدعوه الى حضورها وكان اغلب من حضر في السراية
 لا يعملون القصد من جمعهم فتجنبوا حين رأوا الحوش مشحونا برجال مسلحة
 وابصروا محال السراية مشحونة بمهمات الحرب وادواته مع انهم اتحدوا
 الى الوليعة فصار ينظر بعضهم الى بعض بعين التحير والفرع ولا يدرون
 حقيقة الحال

مطلب
 خطاب الامير فيسك
 الى احرابه

ويتم كما كانوا في هذا الميرة والقلق عاشا في السراية اذ ظهر الامير فيسك
 بينهم مع البشاشة وطلاقة الوجه ولبس القلب واخذ يخاطب الاعيان منهم
 بقوله اعلموا اني مادعوتكم لاجل الاجتماع على ولية بل لتعاصموا في فخار حادثة
 عظيمة ثمرتها اثبات الحرية لبلاد جنورية وتخليد ذكر من تصدى اليها وبالغ
 لهم في ذلك فاعلموا ان الامير اندره دورية واجتافه في الحكم واذا لم يكن هذا
 الظلم لا يملك عنهم بل يزداد وتوسع دائرته حيث ان الحكومة تنتقل بعد هذا
 الامير الى رجل شديد الطمع وهو جياتينو لاسيما الامير اطور شر لكان
 يعضده ويؤيد عائلته لانها مشغولة دائما بخدمة ومراعاة مطلبه معرضة
 عن مصالح وطنها ثم قال لهم وانتم ايها الامجاد مقتصدون على ازالة هذه
 الحكومة الظالمة ومحو اثرها فبادروا بنا الى القتال بالهتاف وتدميرهم وقد جهزت

(المقالة الثامنة) *
(تاريخ الامير المظفر لكان)

٢٤٩

(سنة ١٥٤٧)

لكم ما يلزم لاهلاكهم واتخذت حلفاء اشتد بهم عضدى عند الضرورة
واجترست من كل شئ غاية الاحتراس والطملة نأمنون على فراشهم آمنون على
انفسهم لانهم لا يحتقارهم لانياء وطنهم لا يعينون بهم ولا يجترسون منهم كما يجترس
عادة من ارتكب ذنبا اوسك مسالك البقي والطغيان بحيث يكون على غاية
من التيقظ والحذر خوفا من أن يتقم منه خصمه في تلويها فعملوا بها
الاخوان وابدوا الجهد معي لتقذ وطننا من ايدي هؤلاء الظلة ولا تخشوا
بأسا ولا تخافوا خطرا انتهى فانه هذا الكلام المحبوب بالجنية العجيبة التي
تقوم عادة بالنفس عند تفكيرها في مثل هذه المقاصد الجلية في قلوب
السامعين كل التأثير وكان اتباع فيسك مستعدين كل الاستعداد
لان يتوجهوا حيث يوجههم فاقروا على مقصده واجابوه الى تمييز غرضه
وكن في الاهالي كثير ممن جاور عليهم الدهر واساءتهم صروف الزمان ففرحوا
بذلك مولين أن هذه الفتنة تعينهم على استرجاع ستمهم وزرهم واما غيرهم
من كان اعلى منهم درجة لقضاثلهم واعلوا مقامهم فلم يركبهم اظهارا مقام
بانفسهم حين عرفوا حقيقة مادعوا اليه لان كلا منهم كان يخشى أن يكون
من جماعة عارفا بالقضية وخشياها من قبل فكان ينظر آثم بين اقوام قد اجعوا
على غرض واحد فان تقوى بشئ يخالف ما اجعوا عليه هلك لوقته فبناء
على ذلك اتفروا جميعا معزم عليه الامير فيسك واستحسنوه واظهروا
استعدادهم

مطلب
مخاطبة فيسك
زوجته

ومجرد أن رتب الامير فيسك اموره على هذا الوجه وتقوى قلوب احزابه
بادر قبل أن يأمرهم بشئ الى المصل الذي به زوجته وكانت من عائلة سيوا
الشهيرة وكان يحبا كثيرا الحسنات وبجالها وعفتها وكالها والماسحت غاها العساكر
المنسلبين وقطرتهم وقدملاوا حوش السراية علمت أن هناك فتنة تخافت على
زوجها فلما وصل اليها رأها قد غرقت في بشار الفكر وللغزع فبادر باعلامها
بحقيقة الحال واخبرها بالقصد من جمع الرجال فازدادت حيرتها واشتد رعبها
وادركت عواقب هذا المشروع انظر فاخذت تبكي وتضرع اليه لعله يعدل

من ذلك فلم يرث لها لها بل لما تصدر عليه تسعين روعها وازالة الرب
من قلبها قطع كلامه معها بقتة وتركها وانصرف معها على تمييز ما في ضميرها
فأثابها مستودعتك الله فأنك بعد ذلك أما أن لا تنظر في أبدا أو تصير جمهورية
جنورية غدا تحت حكمك اتحي

• طلب •
• هجوم التمزيرين •
• على المدينة •

ويعزذ وصوله الى آحراه امر كل من منهم بما اراد فامر بعضهم بالاستيلاء على
ايواب المدينة بطريق القهر والغلبة وامر آخرين بالتغلب على الحارات الكبيرة
والقلاع وابق لنفسه الهجوم على المينا التي كانت بها سفن الامير اندره دورية
وانما ايقها لنفسه لانها كانت اصعب واشد خطرا من غيرها وكان ذلك في نصف
الليل واهل المدينة نائمون على غاية من الامن والطمينة فينهم كذلك
اذا خذت عساكر التمزيرين في تمييز ما امر وابه فتغلبوا على بعض ايواب المدينة
بدون مشقة وعلى البعض الآخر بعد مقاومة شديدة مع الحرس وأما ويرينا
المتقدم فآخذ غرابا من السفن التي كانت معدة لقتال الدولة العثمانية وحاصر
مدخل درسين وهي مينا صغيرة كانت مشحنة على دوتما الامير
اندره دورية فعند ذلك ايس الاهالي من الخلاص وعزم الامير فيسلك
على الهجوم على سفن الجمهورية من الشاطئ الذي كانت راسية عليه وكانت
خالية عن السلاح وعماليهم من الشراطات والغباليين وهؤلاء لم يكن بها سوى
رجال مذبذبين مكبلين بالسلاسل والاغلال لا قدرة لهم على المقاومة وعمال قليل
اتسفر القزح والعرب في المدينة وعمها الاضطراب والتعكير فكانت تسع في سائر
الحارات اصوات العساكر تكرر هذه العبارة فيسلك والحزبة وكان كلما
سمعا احدهم من الاهالي تأخذ الحمية ويأخذ الى السلاح وينضم الى حزب
العاصي وامتلات قلوب الاشراق حراب الجمهورية رعب وفرقا وظقوا
مساكنهم وصاروا لا يفكرون الا في حفظ انفسهم من السلب والنهب وبعد ذلك
وصل الهرج والاضطراب الى قصر الامير اندره دورية فوثب جهاتين
من قراشه فهدوا ولن أن هذا القيام ايس الامن بعض العساكر البحرية فخرج
في جماعتهم اتباعه فاصدا المينا فلما وصل الى الباب المسمى سنن توماس

وجد العصاة قد تغلبوا عليه فلما ابصروه اتصوا عليه مع الشدة والحمية في مجيئهم
في اقرب وقت ولا شك ان الامير اندره دورية كليل بقي مثل ذلك لوجه
جيروم فيسك على قصره علما برأى اخيه قوتة لوانة ولكنه منع عساكره
عن الهجوم على قصر هذا الامير خشية ان ينهبوه فيحرم مما كان فيه من
الاموال وغيرها فلما بلغ اندره دورية مؤنة قريبه جياتينو وانه هو
ايضا عرضة للهلاك لترك جواده حالا وقتر من اعدائه ولكن نجاس بعض ارباب
مشورة السنت واجتمعوا في ديوان الجمهورية واشتدوا يجمعون العساكر
المشتتة ويجمعون على حرب العاصين فهزمهم العصاة وطردهم ولم تمكنهم
المقاومة فصمموا على المفاوضة معهم في شأن الصلح فبعثوا رسلا من طرفهم
الى الامير فيسك لیسألوه عن مقاصده والاولى ان يقال انهم ارسلوا اليه
ليخبروه انهم راضون بجميع الشروط التي يشترطها عليهم
ولكن كان الامير فيسك قد فارق الدنيا وما عليها وذلك انه بعد ان تغلب
على الدونما واخذ يرجع الى حربه المتصور مع غاغا في سفينة الاميرال
(قبطان باشا) تخشى ان تكون هذه الغاغا من العساكر المذنبين وظن انهم
فكروا سلاسلهم وجمعوا على عساكره فبادر بالرجوع الى السفينة المذكورة
لينظر سبب ذلك فاطلب به اللوح الذي كان يمشي عليه فسقط في الماء وكانت
اسلحته تتلذذ فهو الى طاع البر وهلك وقت ان قارب التبع بنهار ظفرو ونصره
وكان تويرينا اول من شاهد هذه الحادثة المشؤومة فادرك عواقبها ولم يخبر
بها الا قبطان المتعصين ورأوا انه حيث كان ذلك في انشاء الليل وقت اعتسار
الظلام مع شدة الهرج والاضطراب فالاولى كتمان هذا انظر حتى يستولوا
على المدينة بموجب مشاركة تتعديتهم وبين ارباب مشورة السنت ولكن
فسدت عليهم آمالهم لعدم حزم الامير جيروم ودفيسك وذلك ان رسل
مشورة السنت الذين قوض اليهم امر الصلح لیسألوه عن قوتة لوانة
وهو الامير فيسك اجابهم بقوله ها انا الان الامير الذي تسألون عنه ومعي
تعتقد المشاركة التي انتم مبعثون بصددها فخذ ذلك ادرك الاعداء والاحباب

فما حصل للأمير فيسك وتقرت قلوب فريق منهم وقرت همة الفريق الآخر
فأما رسل السنت فتقرت قلوبهم بهذه الحادثة التي بدونها سكن لا يتم
لهم مرام وسلوكوا مسلكاً آخر غير مسلك التواضع والخضوع الذي كانوا
يريدون سلوكه قبل ذلك وطلبوا شروطاً على حسب ما تقتضيه الأحوال التي
كانت تساعدهم وتشدولكن بينما كانوا يحاولون في تطويل المذاكرات
والمداولات كان أرباب السنت مشغولين بجمع أحوالهم ليرتبوا أمتهم طائفة تدافع
عن ديوان مشورة السنت ومن جهة أخرى كان المتعصبون في فزع وقيام
من موت رئيسهم ولم يعتقدوا على جبروم حيث لم يكن عنده إلا الخفة وطيش
الشبوية والعجب فتقرت همتهم ووقعت الأسلحة من أيديهم فكان إفساء بخير
موت رئيسهم هو السبب الأصلي في اختلال العصبة واختلال نظامها وذلك
أنه لما مات رئيسها وكان أغلب أربابها يقاتلون من غير أن يعلموا سر مقاصده
ولما هو قائم بضميره ولم يكن أحد منهم جامعاً للصولة والمعارف اللازمة للعامل
محلّه وتقيم مشروعه بطل عملها وتبدد شملها فتقر كثير منهم إلى يوتهم مؤملين
أن ظلام الليل يستترهم وأنهم لا يعاقبون على عصيانهم وركن آخرون إلى الهروب
والقرار ليجشوا عن مأمن ياوون إليه فلم يقبل التهازل إلا وهم جميعاً غارجون
لم يظهر منهم أحد في المدينة مع أنهم كانوا قاططشرفوا على التغلب عليها
ولما أصبح الصباح صارت مدينة جنويزة على غاية من الأمن والاطمئنان
فلم يربها أحد من الأعداء وانما بقي بها بعض أنصارها حصل ليلاً لأن القننة كان
قد نشأ عنها من التعكير أكثر مما نشأ عنها من الأضرار حيث سلك العصاة
في قيامهم مسلك المفاجأة أكثر من طريق القوة والقتال وعند المساء دخل
الأمير أندردو دورية المدينة وأهلها يزفونه بأصوات المسرة والتهلل
ويقابلونه أفواجا أفواجا وكان لم يزل متعكراً من إخطار الليلة السابقة وكانت
جثة قريبه جياشينو مخصب عينيه ملوثة بالدماء ومع ذلك كان على الهمة
لبن الجانب رؤفاً بابناه وطنه حتى إن الأمر الذي صدر من مشورة السنت
في حق أرباب القننة لم يتجاوز حد التشديد الذي يستدعيه حفظ الحكم

• مطلبه •
نشر الأمن والاطمئنان
في مدينة جنويزة

في المقالة الثامنة
(تاريخ الامير المملوك شيرلكان)

٢٥٣٥

(سنة ١٥٤٧)

مطلب

فرع الامير بطور من
هذه العصبه

ولم يرفيه شيء بشعر بالتصرب او قصد الانتقام
ولم يحصل للاحتراس اللازم لمنع اشتعال نيران الفتنة بعد اطفائها ابدأ ارباب
مشورة السنت يبعث رسول من طرفهم الى الامير بطور شيرلكان يحثه
تفصيلا بجملة الواقعة وبطلب منه امداد يستعينون به في الصبوم على
موتويو وهي قلعة كبيرة كانت في اراضي عائله فيسكن وكان
جيروم قد تحصن بها فغلبا وصل انصار الى الامير بطور فحجب غاية العجب وداخه
الفرع والحيرة ولم يصدق بأن قوته لوانه ولو بلغ في العلم ما بلغ وعظمت
جسارته مهما عظمت يقتصر على مثل هذا المشروع الخطر بدون حث
ولا تحريض من دولة اجنية فلما علم أن الامير فرينزدوق برمة كان له علم
بتلك الفتنة ادرك حالاً أن البابا لا يجهل هذا المشروع الذي كان ابنه يحرض
على المجازة وتتميمه وبني على هذا الظن فلما آخر بعيدا وان كان لا يتبعده
العقل بالنظر الى سلوك البابا پولس وهو أن البابا اتفق مع ملك فرانسوا
على أن ينشأ فرمة عواقب هذه الحادثة فصار من وقتئذ يخشى أن تعظم
الفتنة وتضطرم نيرانها (اذ مستعظم النار من مستصغر الشرر) فيعمل
ببلاد ايطاليا كاتيا انطراب والده ماروحيث ان حرب في بلاد ألمانيا كان
قد ارمه باحضار عساكره من دولة التي خلف جبال ألبه بحيث صار لا يمكنه
اقتاد هذه الدول عند اغارة العدو عليها رأى انه يلزمه أن يكون مستعدا لذلك
حتى يحميه بجمعة دعروض الخطر أن يقتل اليها معظم جنوده وبناء على ذلك
رأى انه ليس من الحزم أن يتوجه بنفسه الى قتال الامير منتخب سكس قبل
أن يتحقق هل تعصبت عليه في بلاد ايطاليا عصبه تمنعه عن استقرار الحرب
في بلاد سكس مع الجنود اللازمة والعساك الكافية اولا

مطلب
اجتماعه في بلاده
ألمانيا الى وقت آخر

تم طبع الجزء الثاني من اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامير بطور شيرلكان
وفيات بدار الطباعة القاهرة المنشأة بمصر القاهرة لعشر مضين

من ذي القعدة الحرام سنة ١٢٦٢ هـ هجرة حات

الرحل الكرام صلى الله عليه وسلم



